جامعة الجزائر -2-
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة

عنوان البحث

فلسفة الاصلاح والتجديد في فكر مالك بن نبي

(دراسة مقدمة للحصول على شهادة الماجيستر)

تتكون لجنة المناقشة من

أ/د- لخضر شريط .....رئسا.

أ/د-عبد الرزاق قسوم.....مقررا.

أ/د-محمد يحياوي .....عضوا.

أ/د- أمال علاوشيش..... ..عضو

من إعداد الطالبة **تحت اشراف الدكتور**

فازية بوتلجة **-عبد الرزاق قسوم**

السنة الجامعية: 2014-2015

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

فى البداية أشكر الله

إلهي لايطيب الليل إلا بشكرك ولايطيب النهار إلاّ بطاعتك .. ولاتطيب اللحظات إلاّ بذكرك .. ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك .. ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك

الله جل جلاله

لى الشرف العظيم أن يكون الأستاذ والدكتور عبد الرزاق قسوم هو المشرف على هذا العمل حيث أتوجه إليه بكل تشكراتي للتوجيهاتك القيمة والإرشادات النبيلة التي كانت بالنسبة لي الدرب الذي سأقتدي به طوال مشواري المهني والدرسي

أشكر الأستاذ الفاضل الدكتور فؤاد مليت على تقديمه يد المساعدة

وأشكر أيضا أساتذة اللغة العربية بثانوية البيجاوي ووقوفهم معى فى سبيل إنجاح هذا العمل الذي أتمنى أن يكون يوما مرجعا مهما لكل قارئ لفكر مالك بن نبي

كما اشكر زوجي عارف الذي وقف إلى جانبي، وأتوجه بالشكر الجزيل إلى زميلاتي فى العمل السيدة سميرة وشروق على كل التسهيلات التى قمن بها ومدهم يد العون لي من أجل نجاح هذا العمل

وفي الأخير أشكركل الذين أعانوني من قريب أومن بعيد فقد صدق من قال :

" فمن علمني حرفا صرت له عبدا

الإهداء

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار .. إلى من علمني العطاء بدون انتظار .. إلى من أحمل إسمه بكل افتخار .
إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

. أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثماراً قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد
..
والدي العزيز الغالى على قلبى

إلى من علمتنا الصبر والشجاعة
إلى من كان دعائها سر نجاحي

أمي الحبيبة

.. إلى الشمعة التى أنارت ظلمة حياتي
.. إلى من بوجوده أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها
إلى من به ذقت طعم الحياة

زوجى العزيز عارف

إلى اللذين أتمنى أن يذكروننى يوما وأن تبقى صورتى فى عيونهم إخوانى وأخواتى

إلى أفضل ما رزقني الله به ابنتي العزيزتين مارية سيرين وريتاج أنابيس

إلى من عرفت كيف أجدها وعلمتني أن لا أضيعها

صديقتى خديجة كربوس

إلى أرواح اللذين سقطو برصاص الغدر لأنهم ببساطة يمثلون الطبقة المثقفة والواعية فى الجزائر

مقدمة

تعددت الجهود الفكرية في الواقع العربي والإسلامي الحديث والمعاصر حول إشكالية الإصلاح والتجديد في العالم العربي والإسلامي -منذ سقوط الحضارة الاسلامية - حيث إهتم الباحثون والمفكرون والمصلحون منذ ما يقارب القرنين ونصف.وراحو يبحثون عن مخرج للإصلاح والتغيير لواقعنا الحضاري، وذلك لإخراجه من وطأة الهزيمة الحضارية التي مُني بها المسلم المعاصر، نتيجة لعوامل داخلية وخارجية لا تخفى تداعياتها على كل راصد ومتابع لمسار المرحلة وما أفرزته من تحديات شكلت تهديدًا مباشرًا لكياننا السياسي والحضاري. وقد وجد الفكر العربي الإسلامي نفسه وهو يواجه ضمن واقع عالمي تتسارع وتيرته في التغيير والتقدم في ظل محاولات السيطرة والهيمنة على الشعوب العربية الإسلامية، ضمن مواجهة محورين يبلور من خلالهما توجهاته الفكرية والإصلاحية تجاه تحديات المرحلة: المحور الأول، يقف عند حدود الاستلاب الفكري الذي سعى إلى الترويج للنمط الحضاري والثقافي الغربي، وتكريس القناعة بالبديل الغربي للنهضة والتقدم. والمحور الآخر هو الذي سعى إلى التمسك بهويته التاريخية والحضارية العربية والإسلامية كتعبير عن الخصوصية الثقافية التي تشكل ضرورة مصيرية لكل مشروع فكري يسعى إلى النهوض واستشراف آفاق مستقبلية ناجحة وفعالة غير أن سيطرت الخلافات المذهبية على كافة التيارات الفكرية التي ظهرت في ساحة الفكر العربي الإسلامي الحديث والمعاصر، والتي يمكن أن تلمسها حتى في إطار التيار الواحد،قد تباينت أطروحاتهم حول كيفية إصلاح واقع العالم الإسلامي

تباينت إذن وجهات النظر في جوهر المشكلة التي تعاني منها الأمة الإسلامية،.فإذا كان البعض يرى في الإصلاح السياسي حلا للمشكلة ،فإن البعض الآخر يعتقد أن الخلل الذي أصاب الأمة يكمن في الفهم والتأويل الخاطئ للعقيدة الإسلامية ،ولهذا ينبغي أن يبدأ الإصلاح من هده العقيدة ،ويذهب فريق ثالث إلى حد اعتبار المشكلة التي تعانيها الأمة الإسلامية يكمن فى عدم قدرتها على الإصلاح والتجديد بل لا بد لها من إستيعاب النموذج الحضاري الغربي ، فهو وحده الكفيل بإحداث النقلة النوعية لحاضر العالم الإسلامي ،وإخراجه من دائرة التخلف والانحطاط.وأمام تباين هذه الأطروحات التي ساهمت بشكل أو بآخر في تأخير عملية الإصلاح والتجديد ،وأمام هذا الخلل في الطرح، ،والقصور في الفهم ،والإنحراف في الفكر والتعصب في الدين والرأي ظهر المفكر الجزائري ا مالك بن نبي بتحليلاته وتفسيراته حيث أراد أن يعالج إشكالية الإصلاح والتجديد من جذورها.و لعلّ أهم ما شغل باله (مالك بن نبي) موقفه من الحراك الإصلاحي الإسلامي في عصره، حيث كان مفكرو النهضة والإصلاح في العالم العربي

والإسلامي وقد اضطلعوا بالدفاع عن الهوية وتحسين صورة الإسلام وشرح تعاليمه في وجه الهجمات التي يتعرض لها باستمرار وفي وجه مساوئ الأيديولوجيات الأخرى الغربية والشرقية، أما فلسفة الحضارة والتاريخ لدى بن نبي فقد تجاوزت موضوع الهوية والدفاع عن الدين وانصبت على تحليل الواقع المعيشي بمنهج علمي يركز بالدرجة الأولى على أسئلة الحضارة فهو يرى أن الخلل السياسي والعقائدي وجل الأمراض التي تعانيها الأمة الإسلامية ،إنما هي مظاهر لأزمة وليست جوهرها ، فجوهرها يعود إلى خلل في ثقافة الإنسان واضطراب في منظومته الفكرية ،وقصور في نسقه المعرفي الذي أسهم بشكل أو بآخر في وصول الأمة الإسلامية إلى ما هي عليه الآن. والتي تعود بالدرجة الاولى إلى الخصائص النفسية والفكرية والاجتماعية لإنسان مابعد الموحدين والتي تمثل أهم المعوقات الذاتية التي وقفت في وجه المحاولات النهضوية ومنعتها من تحقيق أهدافها الحضارية والتي تتجسد معوقاته في الجهل المركب الذي يتميز به المثقف العربي والذي يشكل مرضا مزمنا ومعديا ومتوارثا بين الأجيال، وهذا لوقوعه في أسر الغرور وجنون العظمة وبالتالى عدم الاعتراف بأخطائه. وقد أدي هذا الوضع إلى تمزق البناء الاجتماعي للأمة، وسيادة النزعة الفردية في المجتمع وتعارض مصالح الأفراد والجماعات فيما بينها، فحدث الإصطدام الداخلي الذي قضي على العمل التكاملي الجاد وأدي إلى إهدار الكثير من الطاقات الاجتماعية وصرفها فيما لاجدوى منه. كما أن الجماهير في مجتمعنا لم تعد تؤمن بمشاريع فكرية معينة،

وما زاد الامر تعقيدا إنحراف الممارسة السياسية في الوطن العربي، بحيث انفصلت السياسة عن القواعد والأسس العلمية التي تقوم عليها وتحولت إلى خداع ومكر وتضليل يمارسه بعض الدجالين لمغالطة أصحاب النوايا الطيبة ، وإستخدام جماجم الضعفاء كجسر للوصول إلى السلطة أو البقاء فيها.كما أن طغيان الشيئية أعمى بصيرة المواطن وجعله يغفل عن البناء المرحلي التكاملي ويبدله بتكديس منتجات الحضارة معتقدا أن هذه المنتجات هي التي تصنع الحضارة كما رأى بن نبي أن الاستعمار ما كان ليعمر طويلا في العالم الإسلامي لو لم يجد الأرضية مهيأة لبقائه من خلال ذلك الاستسلام التام بل والوقوف إلى جانبه من طرف البعض وتبنى أطروحاته والدفاع عنها من طرف البعض الآخر

ولهذا فإن عملية الإصلاح والتجديد عند مالك بن نبي إنما تتمحور حول بناء العالم الثقافي للإنسان، هذا من جهة، ومن جهة ثانية ينبغي أن نحدد بدقة جوهر المشكلات الفرعية الذي تتفرع عن الإشكالية الجوهرية وهي إشكالية الأزمة الثقافية حيث يرى بن نبي أننا لا يمكن أن نتحدث عن كيفية الإصلاح والتجديد الحضاري ، إلا إذا بحثنا عن كيفية سقوط وأفول الحضارة

الإسلامية.لان الذي يعجز أو يخطئ في تشخيص العلل والأمراض ،سيعجز أو يخطئ ولا شك في وصف علاج هذه العلل ومداواتها

ولهذا فعملية الإصلاح والتجديد لن يتم لها النجاح إلا إذا استطاعت الأمة أن تحدد بدقة أزمتها الحقيقية ،وبالتالي تكون مؤهلة لتقديم العلاج الشافي والكافي لها " إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارية ،ولا يمكن لشعب أن بفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الإحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبنى الحضارات أو تهدمها

بعدما تحدث مالك بن نبي عن الجذور التاريخية للأزمة التي يعيشها العالم الإسلامي وصل بنا إلى تشخيص الأزمة التي يعيشها العالم الإسلامي بنوع من التحديد والضبط ،وكان ذلك من خلال جملة من الأسئلة المحورية ، التي تضبط منهجية طرح الإشكال اعتقادا منه ،أن الكثير من تحليلات العلماء والمفكرين لا تتوفر على آلية ضبط إشكاليات الإصلاح والتجديد ، فالبعض منها ينطلق من أعراض الأزمة ويحاول علاجها ، فيكون جهده كالطبيب الذي يقدم مسكنات المرض ولا يستأصله من الجذور

وانطلاقا من هذه المقدمة ارتأينا طرح الإشكالية على النحو الآتي

ما هي سبل تجاوز هذه المعوقات في نظر مالك بن نبي؟ وهل هذا البديل الذي طرحه كفيل بأن يحدث نهضة عربية إسلامية شاملة تعيش عصرها من غير أن تنقطع عن مرجعيتها الذاتية والتاريخية؟

إلى أي حد كان الخلل الذي أصاب الانسان المسلم سببا في سقوط الأمة الإسلامية ؟

ما هو جوهر الأزمة الحقيقية للعالم الإسلامي في منظور بن نبي؟ وكيف تصور عملية الإصلاح والتجديد؟

إن هذه الأسئلة ذات أبعاد اجتماعية وسياسية وثقافية ذات علاقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، إنصرف عنها رواد الإصلاح في العالم العربي والإسلامي الحديث واكتفوا ببذل الجهد في وصف الوضع القائم ورصد سلبياته وشرح الإسلام ومحاولات التوفيق بينه وبين منتجات الحضارة الغربية الحديثة، وتراوحت اتجاهات الفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر بين مؤيد للغرب ولحضارته وبين معارض لهما وبين من يقف في الوسط مضطلعا بالتوفيق

والتلفيق، ولم تمس صميم مشكلة التخلف وأزمة النهضة. وفي المقابل نجد أن البعد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في فكر مالك بن نبي وارتباطه بالواقع المعيشي وبالمنهج العلمي هو الذي إنتهى به إلى إرساء نظرية الحضارة التي تجاوز بها مفكري عصره، واكتشف قصور الفكر الإصلاحي النهضوي المرتبط بالإسلام وفشله في حل مشكلة النهضة التي هي في أصلها مشكلة حضارة وليست مشكلة دينية ، ففي الدين عوامل الحضارة وأسباب النهوض والأمر يعود إلى فهم الدين والتعاطي معه، فالتخلف مثل التحضر يحل بالمسلم وبغير المسلم، والإسلام عامل تحضر إذا تمكّن المسلمون من تحريكه نحو الإقلاع والبناء الحضاري، وإلاّ كيف نفسر تخلّف المسلمين وتقدم غيرهم، فالإسلام ليس مجرد شعارات تُرفع ومناسك تُقام وشروح تُبرز محاسنه وتفند أقاويل ودعاوى خصومه وأعدائه، بل الأمر يتعلق بالمنهج الإسلامي المتبع من طرف المسلمين في التعاطي مع الواقع والحياة عامة ولهذا فقد نجد مالك بن نبي -. في جميع كتاباته بالفرنسية والعربية تحت عنوان مشكلات الحضارة - حريصا على تحديد الوضعيات وطرح المشكلات بدقة وتحليل الوقائع باستخدام المنهج العلمي والصرامة المنطقية، ركز على الحضارة وقدم نظريته فيها مستخدما أوضاع العالم المتخلف بصفة عامة وظروف العالم العربي والإسلامي بصفة خاصة ،انتقل بفكر متميز له خصوصياته المنهجية والعلمية ونجح أيّما نجاح في تشخيص الداء وتحديد الدواء لشعوب مريضة بالتخلف والضياع ولا نجد سوى الحضارة والتجديد الحضاري لتتجاوز محنتها .وللتوسيع أكثر في الموضوع وللإجابة عن إشكالية البحث اعتمدنا المنهج التحليلي ألاستنتاجي، وذلك بتحليل أهم أفكار مالك بن نبي المتعلقة بموضوع البحث، وحاولنا قدر الإمكان استخلاص النتائج المترتبة عن هذا التحليل. فقمنا بتقسيم البحث إلى خمسة أبواب مترابطة ومتكاملة يعالج كل منها جانبا هاما من جوانب فلسفة بن نبي .حيث تناولت في الباب الأول إلى أهم المحطات الأساسية من حياته ومجاهداته الفكرية ونشاطاته الثقافية المعرفية، خالصاً إلى تسليط الضوء على جملة إهتماماته الفكرية والفلسفية وهذا من حيث النشأة وأهم العوامل الأساسية التي ساعدته على تكوين شخصيته بما فيها الخصائص الذهنية والعقلية (كإمتيازه بالذكاء الحاد والبعد في النظر والدقة في الملاحظة) وما زاد لشخصيته ثراء تلك المميزات الأخلاقية والسلوكية بما فيها علو الهمة وقوة الطموح.كما كان لأسرته المتدينة دور هام في غرس ثقافة الدين في نفسيته منذ صباه.وقد أبدي إعجابا بالتجربة الغربية وفلاسفتها –كونه عاش في أوروبا لمدة طويلة- أمثال "روني ديكارت"حيث تأثر به خصوصا في طريقة تفكيره وكذا دقة منهجه

أما في الفصل الثاني فقد خصصته لبوادر التغيير في العالم الإسلامي وأخذت الجزائر كنموذج، لكن قبل تناول هذه الفكرة تطرقت إلى أهم الأسباب الرئيسية التي دفعت بمختلف المنظمات والاحزاب السياسية الى المطالبة بالتغيير.حيث كانت الجزائر في وقت الاحتلال الفرنسي تعاني من اوضاع مزرية وقاسية جدا مما انعكس ذلك بالسلب على جميع الميادن بما فى ذلك (التخلف السياسي و الاجتماعي و الثقافي والسياسي)

ونتيجة لهذه الأوضاوع المتأزمة ظهرت وتبلورت الفئة المثقفة على شكل أحزاب ومنظمات سياسية ونقابات طالبت ونادت بضرورة التغيير.كما كان للجمعيات دورا هاما في العمل على توعية الشعب بما فيها "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكذا الجمعيات الرياضية والطلابية والكشافة الاسلامية..

و قد إتبعت المنهج التحليلي و الإستدلالي لتجسيد ذلك

أما الباب الثاني: فقد كان خصيصا لفلسفة مالك بن نبي وأهم خصائصها مبرزا أهم المحاور الكبري التي عالجها كتحليله لمفهوم الحضارة والديمقراطية والعمل .والثورة الجزائرية ونقده للفيلسوف فرانس فانون .كما دعا من خلال فلسفته إلى ضرورة فك التبعية الاقتصادية والتخلص من القابلية لها. وبلا شك فإن فلسفة بهذا الحجم وقفت وراءها مجموعة من الخصائص فهي فلسفة ثابتة، إرتكز في معظم تحليلاته على أصول دينية، وكذلك فهي فلسفة نقدية لانه تبني موقفا نقديا سؤاء من الفكر الغربي أو من الفكر الإسلامي المعاصر.غير أنه أبدي إعجابا وتأثرا ببعض الشخصيات الاسلامية البارزة أمثال الشهيد حسن ألبنا والمفكر محمد إقبال.

أما في الفصل الثاني قفد تطرقت إلى معني التخلف وأسبابه ، حيث الهدف من هذا التحليل هو إبراز أهم الأسباب الرئيسية التي أدت بمالك بن نبي الى أن ينادي بضرورة التغيير والإلحاح عليه حيث حصر أسباب التخلف في شقين، منه ما يتعلق بالأسباب الداخلية بما فيه القابلية للإستعمار وفيه قام بتشخيص أمراض المجتمع مبرز فيه أصل الخلل الفكري والذي يعود إلى كون نظام الأفكار في العالم الإسلامي يقوم على نوعين من الأفكار وهي (الأفكار الميتة والأفكار المميتة) وهي أفكار ناتجة من العجز عن التفكير والعمل وهو ما ولد خللا وشللا وتمزقا في بناء الشبكة العلاقات الاجتماعية وعدم توازن العوالم الثلاثة (الأفكار والأشياء والأشخاص)مما فتح المجال للصراع الفكري والثقافي والاجتماعي. التي ظلت تكبل حركة النهوض لمدة قرون من الزمن والنوع الثانى هو الجانب الفكري والذي حاولنا من خلاله كشف الغطاء عن أمراضنا

الفكرية المتعددة والمعقدة في آن واحد ممثلة في النزعة التجزيئية والسطحية التي تتناول المشكلات مجزأة بعيدا عن إطارها الكلي المترابط والمتكامل، بالإضافة إلى غياب أهم آلية من آليات التطور المعرفي والمتمثلة في النقد الذاتي البناء الذي يصحح الأخطاء من أجل الدفع بحركة النهوض لتجاوز معوقاتها واختصار مسافة سيرها، وكذا الابتعاد الكلي عن العمل المنهجي العلمي المنظم الذي يعتمد على مبدأ السنن والقوانين الكونية والنفسية، بالإضافة إلى ظاهرة الاغتراب بنوعيه الزماني والمكاني: الأول يبحث عن حلول مشكلاته في الماضي والثاني يبحث عن حلول مشكلاته عند الآخر الغربي. وما زاد للتخلف تخلفا هو إنحراف الممارسة السياسية عن أهدافها وغاياتها المثلى.

غير أن مالك بن نبي لم يتوقف عند عرضه لهذه الجوانب بل قام بتحليل ظاهرة الاستعمار مبرزا مخاطره من الناحية النفسية وهو ما سماه ب " ظاهرة التعفن السياسي"

أما السبب الثاني فهو يمثل الجانب الخارجي من أزمتنا الحضارية والمتمثل في دور الاستعمار في إعاقة حركة النهوض الحضاري للأمة وما سببه من ركود وجمود في مختلف الميادن بما فيه الميدان الإداري والعسكري والاقتصادي والثقافي). فهو الآخر تم تقسيمه إلى ثلاثة أقسام. بحثنا في بدايته عن دوره -الاستعمار- في تلغيم الثورة التحريرية المجيدة أثناء مرحلة إنطلاقها أما ما بعد الاستقلال بيننا من خلاله مختلف الصيغ والآليات التي إستخدمها لتحقيق أهدافه، والدور الذي ألعبه في اختراق الممارسة السياسية واحتوائها لغرض توجيهها وفق مصالحه التوسعية التي تقوم على إلغاء الآخر، لننتقل بعدها من الممارسات الاستعمارية التي تقوم على أساس القوة إلى الممارسات التي تقوم على أساس الصراع الفكري وما سببه من أزمات نفسية حادة إنعكست بالسلب على نفسية الجزائريين وهو ما يسميه بن نبي ب ظاهرة التعفن السياسي وهي تمثل أهم الخطط العلمية الجهنمية التي يعتمدها الاستعمار لتحطيم الأفكار والمشاريع النهضوية الجادة والفعالة..

وكان منهجي في البحث منهجا تحليليا بقدر استطاعتي.

فأما الباب الثالث فقد خصصته للحديث عن حتمية التغيير وهي نتيجة منطقية و واقعية عن تلك الظروف المزرية التي كان يعيشها الشعب إبان فترة الإستعمار حيث قمت بضبط مفهوم التغيير عند مالك بن نبي مبرزا أهم خصائص منهج التغيير(ك العلمية والشمولية والانسانية والمسؤولية والفعالية..... ومدي أهميته في تحقيق عملية التغيير و أنواعه بما فيها التغيير

الاجتماعي والنفساني, والثقافي والسياسي و أخيرا التغيير الاقتصادي و بينت اهم الوسائل اللازمة والضرورية لتحقيق عملية التغيير في المجتمع بما فيها (الانسان، التربية، العقيدة ،العنف والثورة.)مبرزة أهم الأهداف الأساسية والرئيسية ك بناء الانسان وتحقيق الديمقراطية .....إلخ

فاما الباب الرابع فقد خصصناه للحديث عن التغيير الحضاري بإعتبار أن "مشكلة الحضارة " من أهم المسائل الجوهرية التي عالجها مالك بن نبي، وتمهيدا للموضوع قمت أولا بعرض نظرة تاريخية في نشوء حضارتنا العربية الأصيلة وأسباب عظمتها وفرض هيمنتها ، ثم عرفت الحضارة مع أهم العوامل الأساسية المؤثرة في التحضر. أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه حركة التحضر مع أشهر المفسرين لها أمثال إبن خلدون ،شبنجلر، تويمبي،هيجل

وقد سلكت في ذلك المنهج التحليلي الاستنتاجي

وأخيرا الباب الخامس الذي تناولت فيه عملية البناء الحضاري عند مالك بن نبي، حيث تناولت فيه مفهوم الحضارة عنده مع أهم المراحل الأساسية التي مرت بها الحضارة الإسلامية وكذا العوامل الأساسية التي تساهم في تكوين الحضارة بما فيه (الانسان والتراب والوقت) غير أن هذه الحضارة لا تكتمل إن لم يتوفر العامل الروحي (الفكرة الدينية) نظرا للدور المهم الذي يلعبه -هذا العامل - في خلق التوازن النفسي،وإعادة بعث الروح الإنسانية مع تكوين مجتمع متماسك وموحد وقوي. لقد وجدت أنه قد تعمق في الاطلاع على علم الاجتماع والتاريخ والفلسفة، وأنه قد تأثر أكثر بمفكرين عظيمين جمعا بين هذه العلوم ؛ ينتمي أحدهما إلى الثقافة العربية في عصورها القديمة، وهو ابن خلدون، وينتمي الآخر إلى الثقافة الغربية وعصورها الحديثة، وهو أرنولد توينبي.

سار بن نبي على خطى ابن خلدون في التوقف عند الحضارة باعتبارها ظاهرة اجتماعية، بغية فهم السبل التي تؤدي إليها والعوامل التي تؤثر فيها. وهناك أوجه شبه كثيرة بين أفكار الأستاذ والتلميذ؛ فقد قدم الأول نظرية الأجيال الثلاثة التي تتجسد في البداوة والحضارة والترف؛ وقدم الثاني نظرية المراحل الثلاثة المتمثلة في الروح والعقل والغريزة

ونظر لأهمية التحضر ومدي تأثيرها فى حياة الفرد والمجتمع فقد عمدت إلى إبراز علاقتها بالفنون الاخري كالتاريخ والثقافة والدين

أما الفصل الثاني فكان حول عملية التجديد الحضاري عند "مالك بن نبي"لأنه في تحليله لعملية البناء الحضاري لم يكتف بعملية السرد التاريخي للحوادث بل جدد فيها. ولتحليل الفكرة قمت أولا بضبط مفهوم التجديد (لغويا وإصطلاحا) ثم أجريت مقارنة بين المفكر محمد إقبال ومالك بن نبي حول معني التجديد لنبين في الأخير أن مالكا لم يكن ناقلا ولا مقلدا لأصحاب حركة التجديد في الفكر الإسلامي والدليل على ذلك أن التجديد أخضعه لشروط محكمة ومضبوطة بما فيه العدة الدائمة،البناء لا التكديس والتغيير الإجتماعي) وهي شروط لم تتوفر لدي المفكرين السابقين لحركة التجديد. وقد شمل التجديد عند مالك بن نبي عدة أبعاد بما فيه البعد االتاريخي والنفساني،ومن بين أهم الجوانب الأساسية التي جدد فيها نجد مزجه بين النظرية والتطبيق،الفكرة والواقع والتغيير الاجتماعي معتبرا الانسان هو محور التغيير الحضاري،وأخيرا تطرقت إلى أهمية التجديد الحضاري بما فيه البناء الحضاري وتحقيق التقدم وبناء الانسان

قد إتبعت المنهج التحليلي النقدي و الإستدلالي

فبعدما رأينا مختلف الأسباب الرئيسية التي أدت بمالك بن نبي الى أن ينادي بضرورة الإصلاح والذي يتم عن طريق التغيير الجذري ثم راينا أهم الجوانب الأساسية التي ركز عليها لكي تتم عملية التغيير ونادي بما يسمي ب التغيير الحضاري ’فقد إنتهينا إلى تحديد أهم الميادن التي جدد وأبدع فيها المفكر العبقري مالك بن نبي

ولعل خير ما نختم به نصنا فى قوله: "إن من الواجب ألا توقفنا أخطاؤنا عن السير حثيثا نحو الحضارة الأصيلة.. فإن الحياة تدعونا أن نسير دائما إلى الأمام، وإنما لا يجوز لنا أن يظل سيرنا نحو الحضارة فوضويا، يستغله الرجل الوحيد، أو يضلله الشيء الوحيد، بل ليكن سيرنا علميا عقليا، حتى نرى أن الحضارة ليست أجزاء مبعثرة ملفقة، ولا مظاهر خلابة، وليست الشيء الوحيد، بل هي جوهر ينتظم جميع أشيائها،وقطب يتجه نحوه تاريخ الإنسانية".

مبررات إختيار الموضوع :

بالرغم مما قدمه مالك بن نبي للأمة من أفكار قد تُشكل مشروعا نهضويا متكاملا إلاّ أن جيلنا لايزال يجهل هذا المشروع ويجهل المكانة الحقيقية لصاحبه في أوساط النخب العلمية ومراكز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. كيف لا، والأغلبية الساحقة من الفئة المثقفة في الجزائر لا تعرف من هو الفيلسوف مالك بن نبي؟ فما بالك بالطلبة أو المتمدرسين

ولعل سبب هذا التهميش والتجاهل هو الثمن الذي يجب أن يدفعه كل من أراد أن يكون متحررا من العصبيات الحزبية والإيديولوجية لصالح الموضوعية والفكر الحر. كما أنه ضحية أفكار مسبقة عند فريقي الأمة، فالسلفيون ينظرون إليه بأنه تغريبي ولا يمتلك تحصيلا شرعيا ومرجعهم في ذلك اختلافه مع سيد قطب حول مفهوم الحضارة، وكذا إشادته بإنجازات الرئيس جمال عبد الناصر الذي كان يحارب الإخوان في مصر... إلخ من المبررات الخالية من الموضوعية، أمّا العلمانيون فيعتبرونه شيخا في ثوب عصري خصوصا وأنه جعل من الفكرة الدينية عنصرا مُركِّبا للحضارة، ومقوما أساسيا من مقومات النهوض، وكذا رفضه لاستيراد النماذج الحضارية الجاهزة. كل هذا كان دافعا ليكون هذا البحث محاولة لإعادة لفت الانتباه للمفكر بن بني

-فمالك بن نبي لم ينل حقه من الاحترام والتقدير والدليل على ذلك التهميش الذي تعرض له في حياته حيث منعت كتبه من النشر ومنع هو شخصيا من السفر .....ولك أن تتصور الكارثة الكبري التي ألمت به بعد وفاته حيث جنازة بحجم مالك بن نبي لم تحضرها الهيئات الرسمية للبلاد

-مالك بن نبي الذي غير البلاد وأصلح العباد وبني حضارة ذات أسس متينة وصلبة، نجد في وطنه الأم الجزائر أسماء لبعض الشوارع الجزائرية تحمل أسماء مجرمين بينما اسم مالك بن نبي يكاد يكون منعدما في كل المؤسسات العمومية او التربوبية ؟

لقد حظى مالك بن نبي بالاهتمام الواسع من طرف الطبقة المثقفة العربية والاجنبية أمثال نورة خالد السعد من السعودية وفوزية بريون من ليبيا و الدكتور سليمان الخطيب من سوريا أكثر مقارنة بالطبقة المثقفة الجزائرية على غرار د/عبد الرزاق قسوم و د/الاخضر شريط

في حين يمثل ظاهرة بارزة في خريطة الفكر العربي والإسلامي المعاصر، تستحق الدراسة والاهتمام . وهذا البحث هو محاولة للاقتراب من جوانبه الشخصية والموضوعية ، ومن عصره وبيئته،

ومن الناحية الواقعية وتزامنا مع ما يحصده العالم العربى من الام فقداجتمعت أسباب كثيرة دفعتني لاختيار هذا الموضوع ولعل أهمها، الوضع الثقافي والفكري والاجتماعي والسياسي الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية، وأزمة اللاوعي التي شكلت في أوساطنا المرض العضال الذي يحتاج لتكثيف الجهود من أجل القضاء عليه. فنحن لا نستطيع أن ننكر أن الاستقلال الذي نالته الشعوب الإسلامية مازال استقلالا فارغا من حيث المحتوى والمعنى، لأن الاستعمار مازالت جذوره ضاربة في بنيتنا الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. صحيح أننا تخلصنا من الاستعمار المباشر -العسكري- ولكننا لانزال نعاني من الاستعمار غير المباشر وهو الذي ضرب سياجه على الفكر والثقافة في البلاد الإسلامية، فشخصية الفكر الإسلامي لم تكتمل بعد"ولم يظفر بعد بحقه في السيطرة على وجوه الحياة،

ولعل السبب الذي جعلني أتعلق أكثر بفلسفة مالك بن نبي هو مدي إعجابي وإندهاشي بالقضايا الحساسة والمسائل المصيرية التي تنبأ بها في سنوات الخمسينات والستينات من القرن الماضي والتي نعيشها في الواقع المعاصر حيث تنبأ وقال أن العالم الاسلامي لا بد له من تغيير جذري لان العالم سوف يخضع لثلاثة اقانيم الا وهما المراة والدولار واليهود ولذلك فقد ركز في معظم مؤلفاته على ضرورة التغيير وهو ما يترجمه فعليا واقع العالم اليوم حيث شهد القرن الماضي ظهور تيارات فكرية وسياسية كثيرة إقتسمت فيها القوى البشرية وأحدثت إنقلابا جذريا في شتى الميادين , غيرت مجرى التاريخ وأجبرته أن يعيد تنظيم خريطته السياسية والإقتصادية والإجتماعية على قواعد وأسس جديدة

أما القول أن هناك دراسات كثيرة أجريت حول فكر بن نبي، فنجيب عنه بأننا نطمح لتقديم إضافة نوعية لقراءة فكره بمنظار جديد ومختلف، لأن أغلب البحوث والدراسات التي أجريت في الجزائر تراوحت فترة إنجازها بين النصف الثاني من الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي، الأمر الذي أدى إلى انعكاس خصوصيات هذه المرحلة سلبا على نتائج تلك الدراسات والتي كانت في أغلبها تبريرية لواقع معين، والدليل ذلك أنها لم تفرض نفسها على القارئ والباحث عكس دراسات أخرى تمت خارج الجزائر.

يضاف إلى هذا دافعان آخران فرضا نفسهما أثناء مسيرة البحث فأمّا الأول فتلك الخاصية المتمثلة في أنك كلما أعدت قراءة كتاب من مؤلفاته إلاّ واتضحت لك أفكار جديدة وكأنك تطالع عليه لأول مرة، فقد دفعني ذلك إلى الإصرار على التكرار الكثير لإعادة القراءة ومازلت أشعر بأنني بحاجة إلى قراءات أخرى

وهنا استحضر قول أبو نواس حينما قال:

فقلْ لمنْ يدَّعِي في العلمِ فلسفةً حفِظْتَ شَيئًا ، وغابَتْ عنك أشياء

أما عن العوائق فتتمثل في كون أفكار مالك بن نبي نجدها متداولة لدي أغلبية الطلبة والباحثين لكن المشكلة أنه لا يوجد من تعرض إلي أفكاره بالتحليل والنقاش بصفة دقيقة ومفصلة فلا توجد دراسة خاصة متميزة لموضوع التغييروا وكذا التجديد ومنحه حقه وما يستوفيه من تحليل ومناقشة , فالشيئ الذي عثرت عليه عبارة عن أشتات من المعارف ففكرة الاصلاح والتجديد مثلا لم أعثر لها على دراسة خاصة بها من طرف دارسي فكر " مالك بن نبي بالرغم من أنهم يشكلون المئات " مما جعلني أعقد العزم على تناول هذا الموضوع وبذلت أقصي ما في وسعي في البحث عن عمق أفكاره .ودرسها أينما وجدت وهناك أخري تتمثل في قلة المراجع المتخصصة في موضوع التجديد والتغيير

لكن هناك صعوبات أخرى والتي أعتبرها الأصعب حيث كادت تقضي على أملى ومشروعي والتي تتمثل في سلسلة من المشاكل الاجتماعية والأسرية الملقاة على عاتقي مع صعوبة التوفيق بين العمل ومتطلبات الاسرة وتربية الأولاد من جهة وبين البحث من جهة اخري،

الباب الأول:

مالك بن نبي النشأة والتكوين وبوادر التغيير

الفصل الأول:

النشأة والتكوين

1-النشأة

ولد مالك بن نبي بمدينة قسنطينة شرق الجزائر في الفاتح من شهر جانفي سنة 1905 الموافق ل 1323 من شهر ذي القعدة. (1) ربته جدته زوليخة في قسنطينة وكان شغوفا بقصصها المشوقة التي ساهمت في تكوينه الروحي والعاطفي.وفي سن السابعة انتقل مع أبيه إلي مدينة تبسة حيث زاول تعلمه الابتدائي بالمدرسة الفرنسية على الطريقة النظامية.وموازاة مع ذلك كان يتردد على المدرسة القرآنية لحفظ القران 2 وبعد إنتهاء المرحلة الابتدائية بتفوق إنتقل سنة 1920 إلى قسنطينة لإتمام دراسته الثانوية وكان يتلقي دروسه بالفرنسية.لكنه كان يتردد على دروس النحو العربي بالجامع الكبير.كما تعلم الموسيقي على يد عمه (محمود بن نبي) ومن خلال جده تعرف على الزاوية العيساوية كإحدى الطرق الصوفية المنتشرة في ذلك الوقت لذلك عرف منذ طفولته بحب القران (.3) وبعد التحاقه ب القسم الداخلي بدأ وعي الفتي السياسي والديني يتفتح على فكر جديد.خصوصا وأن فكر الإصلاح والتغير قد تلقاه على يد أساتذته في التوحيد والسيرة مثل المولود بن الموهوب.وموازاة مع ذلك كان متاثرا للكاتب الفرنسي شاتو بريان château Briand وقرا له كتابه المشهور (mémoire d outre tombe) وقرا للمفكر الحسي الفرنسي وكندياك Condillac كما أعجب ببراغماتية الأمريكي جون ديوي John Dewey ولم تقتصر قرأته على الفرنسية بل قرأ رسالة التوحيد لمحمد عبده. وفي هذه المرحلة كان منشغلا بمشكلات العالم الإسلامي من خلال قراءته المزدوجة ومشاهدته الشخصية مع ما إمتاز به من دقة الملاحظة مما جعله يحمل هم المجتمع المتخلف المستعمر.ولشدة ما كان يؤلمه حال آمته الممزقة ووطنه الجريح من طرف عدو أنهكه منذ قرون. فى ذلك الوقت وقد إشتغل فيما بعد بمحكمة تبسة ثم إنتقل إلى محكمة افلو بالاغواط عام 1927حيث مكث بها سنة,وكان خلال ذلك كان يطالع جريدة (الشهاب) الإصلاحية.وفي مارس 1928 سافر إلى قسنطينة لزيارة أهله وأقاربه وهناك التقي لأول مرة بشيخ الإصلاح عبد الحميد ابن باديس والذي كان شديد الإعجاب به معترفا بفضله الكبير.وبعد انتهاء عطلته في قسنطينة انتقل في العام نفسه إلى مدينة شلغوم العيد(بميله)للعمل بمحكمتها لكنه سرعان ما إستقال منها(4)

1-استناد إلى نسخة من شهادة الميلاد الصادرة من بلدية قسنطينة تحت رقم 9 محررة في2003/04/20
2-مالك بن نبي.مذكرات شاهد القرن(الطفل) دار الفكر الجزائر سنة 1964 ط2 ص33
3د-عبد اللطيف عبادة.فقه التغير في فكر بن نبي(عالم الأفكار) ط2 .2007 ص30
4 د- البشير قلاتي.هكذا تكلم مالك بن نبي.منشورات دار إقرأ قسنطينة الجزائر2005 ص17

رحلته إلي باريس لمتابعة الدراسة الجامعية.

نظرا لما لقيه من فشل في بلده. قرر السفر إلى باريس فنزل بها في سبتمبر عام1930 حيث سارع إلى التسجيل في المشاركة في إمتحان الدخول لمعهد الدراسات الشرقية ولم يكن يشعر بأي رعب تجاه الإمتحان فتوجه بكل إطمئنان وهدوء إلى المعهد.غير أن الصدمة كانت قوية حينما لم ينجح في الامتحان. (1) ولشدة تأثره بالحدث نجده يقول(**ونودئ عليا فدخلنا ولم تبد ولي أية صعوبة في الاختبارات ولكن النتيجة كانت خيبة الأمل....**) وليس كل هذا ما في الأمر بل طلب منه مدير المعهد وفي هدوء في مكتبه عدم الإصرار على الدخول لمعهده ,ومنه أدرك بن نبي أن الدخول لمعهد الدراسات الشرقية لا يخضع بالنسبة لمسلم جزائري لمقياس علمي وإنما لمقياس سياسي وهذا خوفا من بروز المثقفين المسلمين علي غرار المسيحيين.إلا أن السياسة الإستعمارية لم تثن من عزيمة الرجل ,فبعد نصيحة تلقاه من صديق له والإرادة القوية التي يمتاز بها قرر الإنتساب إلي مدرسة اللاسلكي ,ولم يكن الشيء سهلا حيث أقدم علي قراءة الجبر والهندسة والكهرباء والميكانيكا والطبيعة.التي غيرت جذريا إتجاهه الفكري بل فتح له باب عالم جديد أخر كل شيء خاضع لمقاييس دقيقة. وقد كان يتردد على متحف الصناعات والفنون حيث يعتبر المستودع الذي أودعت فيها الحضارة الأوربية أغلي ما أنتجته عبقريتها العلمية والتكنولوجيا. وفي مدرسة اللاسلكي تعرف على شاب يهودي وكان يذهب معه كل يوم سبت إلي سوق ***البرغوث*** (2) حيث يتسكع الباحثون عن خردوات يشترونها بالثمن الرخيص ,أما بن نبي وزميله فكانوا يبحثون عن أجهزة اللاسلكي القديمة من أجل تفكيكها وإعادة تركيبها من جديد حتى يتمرنوا في مهنتهم (3)

---

1 عبد اللطيف عبادة .فقه التغير في فكر بن نبي.عالم الأفكار.2007 ط2.ص20
2-البرغوث هكذا كان يسمي بسبب الأشياء القديمة التي تعرض في السوق
3-مالك بن نبي.مذكرات شاهد القرن(الطالب) دار الفكر ط1 بيروت 1970 ص28/.38/ 39.

زواجه ونضاله السياسي.

في عام 1931 تعرف على فتاة فرنسية إسمها سيليستي بول فيلي **Silisti Paul Phily** فتزوج بها بعد أن أسلمت وسمت نفسها خديجة(1) وقد وفرت له الجو العائلي الذي يفتقده في ديار الغربة وحصنته أخلاقيا ولعبت دورا هاما في تشكيله الذوقي والجمالي كما وفرت له الجو الملائم والهادئ ليفكر مع أصدقائه في مشكلات العالم الإسلامي. إما داخل بيته أو في الحي اللاتيني(2) .خصوصا وقد وقفت له الإدارة الاستعمارية بالمرصاد حتى قسمته إلي شقين.وبدأت المعركة تدور بين (الوحدويين)والمنشقين) ويضم المنشقين الأغلبية الجزائرية وهم في الواقع أبناء مستعمري الجزائر(الحركة) وكان يمثلهم الطالب **عمار نارون** الذي كان يعمل بإيغاز (بتواطؤ) مع الإدارة الفرنسية تحت إشراف رئيس المجلس البلدي لمدينة باريس السيد (كوليين)الذي كان علي اتصال بالأوساط الاستعمارية العليا المستعدة لتحقيق رغبات أئ منشق.وفي المقابل نجد الوحدويين أمثال بن نبي و.**حمودة بن الساعي** الصديق الأقرب إلي بن نبي حيث تعرف عليه في الحي اللاتيني وهو جزائري وهو طالب في الفلسفة وكان يعد رسالة دكتورا حول الغزالي. وقد بدأت بوادر الصراع والنضال تظهر على شكل محاضرات ومحاضرات مضادة حيث ألقي بن نبي محاضرة في ديسمبر1931 تحت عنوان(لماذا نحن مسلمون؟) كما كان لصديقه حمودة بن الساعي محاضرة حول (القران والسياسة) اللتين كان لهما صدي طيبة في أوساط الطلبة. لكن ما كان لفريق المنشقين ليتركوا فرصة كهذه تمر دون رد فعل.فعندما إنتهي بن نبي من إلقاء محاضرته إنطلق صوت يقول **"لماذا تلتفت إلى الماضي في الوقت الذي يهمنا فيه المستقبل.؟"**وكان لنشاط بن نبي أهمية كبيرة إلى درجة أن الشرطة حققت معه وطرحت عليه بعض الأسئلة.وبعد بضعة أيام أخبره صديقه أن البروفيسورلويس مسينيون. **Louis Massignon** ، (المستشار الخبير للحكومة الفرنسية للشؤون الإسلامية) ,يرغب في رؤيته.غير أن بن نبي رفض الدعوة مما جعل مسينيون ينتقم منه.حيث أمر بنقل والد بن نبي من منصبه (موظف لدي محكمة تبسة)إلي مكان أخر حيث لايسطيع فيه العمل نظرا لبعد المسافة وهو يقارب الثمانين من عمره ثم ضاعت كل حقوقه كموظف(3)

---

1 -إستنادا إلى ما كتب في الهامش في شهادة ميلاد بن نبي
2 -الحي اللاتيني. Latin Quarter من أشهر الأماكن الفرنسية فيه تتواجد جامعة السوربون .وفي هذا الحي تم تشكيل المنظمة الطلابية المغاربة وهي تضم .مجموعة من الطلاب المغاربة, عن الطرف المركشي. محمد الفاسي..ومن تونس صالح بن يوسف /سليمان بن سليمان/ومن الجزائر على بن احمد/بن تشكو/بن الساعي حمودة/عمر العياشي/
3- مالك بن نبي مذكرات شاهد القرن(الطالب)ترجمة بقلم المؤلف.دار الفكر.ط 1 بيروت 1970 ص.61

وفي عام 1932 وصل إلي باريس **المهاتما غاندي(1)** من أجل علاج مشكلات تتعلق بمصير الهند حيث أعجب بن نبي وبأفكاره التحررية المشبعة بالروح الوطنية خصوصا انه (المهاتما غاندي)كان من دعاة اللاعنف. وفي الحي اللاتيني الذي لا يزال ساحة للعمل والنشاط السياسي. تعرف عليه مصالي الحاج الذي كان رئيس حزب (نجم شمال إفريقيا) بواسطة الدكتورمحجوب بن ميلاد (طالب تونسي في قسم الصيدلة) وكان الْاجتماع يتم في فندق(الهجار) فلم يحضر حمودة بن الساعي بسبب تحفظه إزاء كل نشاط سياسي وكان النقاش يدور حول مستقبل الحركة الوطنية في الجزائر**2** لكن (بن نبي) لم يكن متفقا مع مصالي الحاج لكونه يتميز بالثرثرة وشهوة إلقاء الخطب إلى جانب ما يتميز به من تسلط.بل إن بن نبي كان مقتنعا بان التغيير يأتي من الثورة وليس من التجمعات والخطابات ولذلك نجده منشغلا ببعث روح الوعي في نفوس الطلبة وهو ما يسميه بالفعالية وقد اقتنع بهذه الأفكار من خلال ما عايشه في فرنسا، وكان متحمسا لفكرة الوحدة المغربية حتي أطلق عليه في الحي اللاتيني (زعيم الوحدة المغربية) وكان معه شكيب ارسلان (مناضل مصري) صاحب جريدة الأمة العربية وكذالك فر يد زين الدين (دكتوراه في الحقوق وهو نائب وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة زمن الوحدة بين سوريا ومصر**3** وقد أسس بن نبي بمرسيليا سنة 1938 مدرسة صغيرة لمحو الأمية لدي العمال المغاربة .غير أن السلطات الفرنسية منعته وذلك بخلق مبررات وهمية لكن الأسباب الحقيقية تعود إلي تخوفها (السلطات الفرنسية) من بروز الطبقة المثقفة ضمن أبناء العرب. ولم تقف الأمور عند هذا الحد بل واصلت إلي حد إتهامه بالعمل لصالح النازية فأودع السجن بشار تر(غرب فرنسا) في أوت 1944 وهو في السجن كتب **الظاهرة القرآنية** الذي كان له التأثير الواضح علي الكثير من الفرنسيين مما دفع بالسلطات الفرنسية إلي إصدار قرار سحبه من الأسواق . ولما خرج من السجن واصل نشاطه في العمل السياسي والفكري وهذا بإلقاء المحاضرات بنادي المؤتمر الإسلامي.حيث بعث برسالة إلى مصالي الحاج سماه الخطوة الجزائرية.كما أصدر عددا من المقالات تضمنت رؤيته الفكرية لمشاكل العالم الإسلامي التي لخصها في مشكلة كبري وهي(**مشكلة الحضارة**)فحدد لها **شروط النهضة** ورسم لها **وجهة العالم الإسلامي** ووضع لها فكرة الافرو أسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ ثم توالي إنتاجه

1-المهاتما غاندي (Mohandas Karamchand Gandhi (1869 /1948) السياسي البارز والاب الروحي للهند دعا الي استعمال سياسة العصيان المدني اللاعنف ضد الاحتلال البريطاني وفعلا فقد نجحت سياسته
2 -مالك بن نبي.مذكرات شاهد القرن(الطالب)ترجمة بقلم المؤلف. دار الفكرط1 بيروت 1970 ص65
3-عبد السلام الهراس.ذكرياتي مع بن نبي. حاوره الدكتور محمد البنعيادي :مجلة الفيصل السعودية.العدد146 ص16

الفكري من خلال مقالات منشورة **(1)**

سفره إلي القاهرة

في عام 1956سافر إلي مصر من اجل نشر كتابه (الفكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر (باندونغ) حيث كانت مصر آنذاك تشكل ملتقي المثقفين من أبناء المستعمرات الراغبين في التحرر.بالإضافة إلي ما حملته ثورة تموز(يوليو) في 07/23/من شعارات التحرر والوحدة خاصة وان الثورة الجزتئرية في أوجها .وقد كان بن نبي يرغب في العمل في جبهة القتال كممرض عسكري وكمؤرخ **'(2)** ولعل السبب الأخر الذي جعله يختار مصر يتعلق بإرسال خطابات موجهة إلي **غي مولي(3)** رئيس وزراء فرنسا كي يذيع مقالاته مع نشرات الأخبار لجبهة التحرير الوطني بالقاهرة.لكن طلبه كان مرفوضا.ورغم ذلك فقد نشر عام 1957 مقالا أخر تحت عنوان**"النجدة الشعب الجزائري يباد"**خصوصا بعدما كشف الوجه الحقيقي لفرنسا المتمثل في نفي ملك المغرب محمد الخامس إلي مدغشقر ومقتل احد زعماء تونس هادي شاكر مما جعله يقرر إن السلسلة الإجرامية لفرنسا واضحة لا شك فيها إذن لا بد من محاربته(4)(

وفي مصر أتقن اللغة العربية وصار يكتب بها حيث كتب **(الصراع الفكري في البلاد المستعمرة)** وقد اطلع **أنوار السادات (5)** (رئيس مصر)علي كتابه شروط النهضة وأعجب بأفكاره وعينه مستشارا للمؤتمر الإسلامي بالقاهرة سنة 1958 وكان يساهم في بث التغير الاجتماعي ضمن إطار مشكلات الحضارة عبر محاضراته وندواته وقد عرف بن نبي بشاسعة نشاطه الفكري حيث إلتف حولها العديد من الطلبة في حي(الدقي) وكان إلي جانبه المحامي اللبناني وصاحب حقوق نشر فكره(عمر كامل مسقاوي) والأستاذ المغربي عبد السلام الهراس.والأستاذ المصري(عبد الصبور شاهين) مترجم كتبه (**6)**

1-د/البشير قلاتي.هكذا تكلم بن نبي.مكتبة اقرأ قسنطينة الجزائر سنة 2005 ص23:
-2حوار أجرته جريدة الشروق مع الدكتور عمار طالبي يوم الاربعاء 2013/03/20.الموافق ل 08 جمادي الاول 1443.تحت عنوان "طالب الابراهيمي أقال مالك بن نبي من منصبه وأبعده عن الجامعة" ص 17
3 -غي مولي. Guy Mollet (1905 /1975) سياسي فرنسي لعب دورا قويا خلال الجمهورية الرابعة ينتمي الى الحزب الاشتراكي.أسس حكومته في 24 /02 1956 / وسقطت فى.08 /19583/02
4-عبد اللطيف عبادة فقه التغير في فكر مالك بن نبي عالم الأفكار ط 2.سنة 2007 ص19
5-نور السادات.(1918/ 1981) رئيس جمهورية مصر العربية من (28 /09 /1970)الى غاية(06 /10 /1981)وهو يوم اغتياله.ومن أهم أعماله.قرار حرب أكتوبر ومعاهدة السلام مع اسرائيل
6-د بشير قلاتي. ص24

العودة إلي الوطن

عاد بن نبي إلى وطنه الجزائر سنة **1963**.وكان كله أمل في نشر ورسم معالم بناء مجتمع جديد ومتحضر فعين مديرا للتعليم العالي.لكن الظروف الصعبة حالت دون مواصلته للعمل الذي عين فيه**(1)**

إنتقل عام 1967 ليعمل بحرية في نشر الفكر وبث قيم الثقافة ,فكان يعقد في بيته ندوات للتوجيه الفكري من أجل التصدي لمرحلة ما بعد الاستقلال .وكان يؤمن بأن التغير امرجوهري وضروري وقد خاطب ذات يوما طلبته قائلا "إن وظيفة الفرد إزاء مجتمعه مثل وضيفة المحرك في الآلة فكل واحد له دوره الخاص يجب أن يؤديه "وقد كانت لجهوده أثرا عظيما في المجتمع الجزائري وبالخصوص في الوسط الطلابي وقد أثمرت هذه المجهودات في الحد من هيمنة التيار الشيوعي حيث كان الفضل للمفكر بن نبي في إنقاذ صديقه عبد العزيزالخالدي الذي وقع تحت تأثيرالفكر الشيوعي وإعادته إلى أصالته مستعينا بفكرفريديريك نيتشه (الفيلسوف الألماني).(2)

في عام 1972 أدى فريضة الحج وفي طريق العودة أقام بدمشق(عاصمة سوريا) وحاضر فيها عن "دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين".وفي عام 1973 أشتد به المرض فأجريت له عملية جراحية في البروستات بباريس غير أن القدر شاء أن يتوفي في يوم الأربعاء 04 شوال 1393 هجري الموافق ل 31/أكتوبر/1973.م رحمة الله عليك يا من سبقت عصرك في الإصلاح والتنوير3

---

1 -حوار أجرته جريدة الشروق مع الدكتور عمار طالبي ص 17
2- فريديريك نيتشه neitzche(1944/1900)فيلسوف الماني اشتهر بنظريته النقدية لكل مبادئ المسيحية.اشتهر بكتابه "هكذا تكلم زرادوشت 1883 .العلم المرح 1882
3 - د/البشير قلاتي.هكذا تكلم بن نبي.مكتبة اقرا.قسنطينة.الجزائر سنة200

ب التكوين

-يمتاز المفكر بن نبي بمجموعة من الخصال التي لعبت دورا هاما في تكوين وتنظيم أفكاره القائمة علي منهجية مستقيمة كاستقامة فكره وطريقة تحليله لمختلف الظواهر مما جعل البعض يصفه بالفيلسوف الذي سبق زمانه

ملامح شخصية الفيلسوف

أولا/. الخصائص الذهنية والعقلية

التفكير الرياضي.لقد إمتاز الفيلسوف بن نبي منذ صباه بحب الدقة في التحليل والإستدلال ونجده دائما يدعو إلي ضبط المصطلحات والمفاهيم ولا يقبل التعميم إلا إذ كانت القضية منضبطة ومحددة.وكان مجتهدا في حل المسائل الرياضية التي تأخذ الكثير من وقته وكان يبقي مع حل المسائل إلي غاية ساعة متأخرة من الليل1

الذكاء الحاد ودقة الملاحظة.يتميز(رحمه الله) بالفطنة والذكاء الشديد والدليل علي ذلك تلك المناقشات التي كان يجريها مع بعض الطلبة وخاصة بكشفه لمكائد اليهود .فقد أرادت سيدة يهودية أن تعجزه أمام الملاء (قاعة المحاضرات) فسألته من هو الله فأجابها على الفور(لأنه أدرك خطتها) الله هو السبب بلا سبب لكل الأسباب.وبذلك افشل خطتها

بعد النظر. لقد كان لشدة ملاحظته وتحليله للظواهر الإجتماعية وللأحداث السياسية دور في بعد نظره والتنبؤ بالإحداث التي أثبتت الأيام والتاريخ صحتها.وكان يعرف من خلال أعمال اليهود انه سيأتي يوم يستولون فيه على العالم..فعلا هو ما نراه ونلمسه اليوم من سيطرة اليهود على أجهزة الإعلام العالمية والاقتصاد الدولي وحتى الاستيلاء على الثقافة والفكر كما حلل آليات الصراع الفكري وتنبؤه بأمركة العالم وتوقعه لسيطرة عالمية لما يسميه ب الاقانيم الثلاثة :المرأة والدولار واليهود 2

ثانيا /المميزات الأخلاقية والسلوكية من خلال شهادات من عاشره من أصدقائه وطلبته داخل الوطن وخارجه يمكننا استخلاص بعض ما تميز به المفكر من مميزات

العاطفة والسماحة. إمتاز بن نبي بالعاطفة القوية منذ صغره والمشاعر المرهفة فكان يبكي وهو يستمع لذكريات جدته عن الحج كما كان يسارع إلى مساعدة الناس المحتاجين ولو كلفه ذلك التضحية بحاجاته الخاصة فكان ذا نفس كريمة مضيافة وقد كان يقتصد الأموال طول الأسبوع من اجل إنفاقها في يوم واحد (الجمعة)لأنه يوم يلتقي فيه مع أصدقائه3

1-د/عبد اللطيف عبادة .صفحات مشرقة من فكر بن نبي .دار الشهاب باتنة .سنة 1984 .ط 1 .ص 18
2-د/البشيرقلاتي (هكذا تكلم بن نبي)منشورات دار اقرا قسنطينة الجزائر سنة 2005 ص31
3-مالك بن نبي مذكرات شاهد القرن (الطالب) ت.بقلم المؤلف دار الفكر بيروت سنة 1970 ط1 .ص65

فهو إجتماعي ومحب للناس كان بن نبي يكثر في مخالطة الناس ومن جميع طبقات المجتمع حيث يخاطبهم ويستفيد من خبراتهم سواء كانوا مثقفين أو من أصحاب الحرف منهم (التاجر والحداد) فيجلس مع العامة يحادثهم في المقاهي ويستمع إليهم وله أصدقائه من أسيا وأوروبا ولم يكن من أصحاب الغرور فكان يجتهد في تعليم العمال القراءة والكتابة رغم تدخل السلطة الفرنسية في وقف العمل بذرائع وهمية وكان ينفر من الثرثرة والكسل ويحب العمل والإنتاج (معناه تحويل الكلام إلى عمل مجسد)وفي هذا المعني يقول مالك بن نبي **(اذا ما قررنا الصعود إلي القمر فعلينا أن نضع من الآن سلما ونبدأ في الصعود)**

علو الهمة وقوة الطموح كان يتمتع بإرادة قوية وطموح كبيرفكان يريد إقامة مصنع للاسمنت والاصبغة والعطور وفكر في الهجرة إلي أفغانستان والعربية السعودية وكان يطمح مع صديقه حمودة بن الساعي أن يكونا الوارثين لجمعية العلماء المسلمين حيث نجده يقول**(فالبرعم من اختلافنا في درجة التفاؤل والتشاؤم كنا من مشرب واحد فيما يخص دور الإسلام في النهوض بالشعوب الإسلامية)**

الالتزام الديني والنزعة الوطنية كان رحمه الله ملتزما بصلاته وتلاوة القران شديد الإيمان والسرعة إلى تغير المنكر ولو بأضعف الإيمان كالدعاء والتضرع الى الله .ويشهد على ذلك أصدقائه اللذين عاشروه حيث يقول فإذا كانت نافذة غرفته مفتوحة فهو يكتب أو يفكر واذ كانت مغلقة فهو يصلي ويطلب الله ولم يكن إطلاقا يرتاد أماكن التسلية أما وطنيته وحبه لبلده فجسدها في رغبته الشديدة في المشاركة في الثورة التحريرية بقلمه ولسانه

الإعتراف بالخطأ والتراجع عنه. لم يكن (رحمه الله) صاحب كبرياء ولا عنيدا بل يمارس النقد الذاتي.فكان يسارع إلى الرجوع عن خطئه. وكان موضوعيا في الاعتراف بتقديره لبعض الطلبة اليهود ممن كانوا يجتهدون ويثابرون في العمل والدراسة خلافا لما كان الكثير من الطلبة الإسلامين من الكسل واللامبالاة

حب النظافة والجمال.كان بن نبي يحب النظافة منذ صغره حتى معلمته الفرنسية كانت تضرب به المثل لبقية زملائه.فقد كان مثالا للنظافة في الصف بالإضافة إلى دور زوجته التي كانت تحرص على تنظيم وترتيب البيت **1**

---

1 - د/البشيرقلاتي.هكذا تكلم بن نبي.منشورات دار اقرأ قسنطينة الجزائر سنة 2005 ص28.

ثالثا/ عوامل إثراء ثقافته

. لقد توفرت لدي المفكر بن نبي مجموعة من العوامل الإيجابية التي ساعدته علي تكوين شخصيته القوية واستقامة فكره القائم على أساس منهجية محكمة ودقيقة كدقة علمه واختصاصه.(كمهندس كهر وبائي) ومن أهم هذه العوامل

1 أسرته المتدينة والمحافظة:

.نشأ بن نبي في أسرة متدينة غرست فيه منذ صغره أخلاقا حميدة وقيم ثابتة مبنية علي أساس القران و قد ساهمت أمه وجدته بدور أساسي في زرع حب الوطن فيه والالتزام بقواعد الدين الإسلامي فهو أساس كل تطور1

***2* الحركةالنهضوية في المشرق:**

.كان بن نبي من بين المتتبعين للحركات النهضوية في المشرق سواء عن طريق شيوخها اوعن طريق الكتب والمطبوعات و المجلات منها المنار.ومن الشخصيات التي اعجب بها بن نبي نجد (جمال الدين الأفغاني)الذي قرا له كتابه**"الرد على الدهرين"**كما إطلع على كتاب الكواكبي **"طبائع الاستبداد"ورسالة التوحيد"**لمحمد عبده.كما تأثر بالأمير عبد القادر2 وشكيب ارسلان وعبد الكريم الخطابي3 حيث كانت لثورة الخطابي المشهورة أثرها العظيم.كما تأثر بحركة الأمير خالد الذي نشر جريدة **"الأقدام"**ردا على مورينو **Marineau** رئيس بلدية قسنطينة الذي نشر هو بدوره مقالا في أحد الجرائد الفرنسية يشتم فيها الشعب الجزائري . كما ساهم مع مصالي الحاج في بعث نجم شمال إفريقيا(4)

1- نفس المرجع السابق ص32.

2-الامير عبد القادر(1808 /1883) احد مؤسسي الدولة الجزائرية الحديثة.خاض معارك ضد الاحتلال الفرنسي.وبعدها نفي الي دمشق وتوفي هناك ونقل جثمانه إلى الجزائر سنة 1966 وقد ألف كتابا مشهور تحت عنوان "المواقف"وكذلك كتاب "ذكري العاقل وتنبيه الغافل"وهو كتاب موجه إلي السلطات الفرنسية .

3-عبد الكريم الخطابي.(1882 /1963)قاضي القضاة تحرج من جامعة القرويين بمدينة فاس بعد ان تشبع بالفقه الإسلامي والحديث. كما يعتر مؤسس ورئيس جمهورية الريف ما بين (1921 /1926) حارب الاحتلال الفرنسي والاسباني لقب ببطل الريف لأنه استطاع توحيد صفوف قبائل ريف شمال المغرب وقد تشبع بالفقه الإسلامي كما اشتغل قاضيا في مليلية المحتلة وقد لقن الأسبان درسا في معركة أنوال (مايو1921)الشهيرة حيث انهزم الأسبان أمام المقاومة الريفية.وهو أول عربي أشاع استعمال لفظ المغرب العربي: من كتاب Bernard Reich (2002). The Government and Politics of the Middle East and North Africa ص393

4-عبد اللطيف عبادة.فقه التغير في فكر بن نبي.عالم الأفكار.طبعة 2 سنة 2007 ص27 /28.

3 البيئة الإصلاحية

تأثر بن نبي بأساتذته من علماء التيار الإصلاحي وخاصة أساتذة التوحيد والسيرة من أمثال الشيخ (المولود بن الموهوب)الذي ركز على إصلاح التعليم وكانت صرخات (بن الموهوب) فى قومه ذات تأثير فعال في فكر بن نبي خاصة تلك الدروس الحية في فحص الفكر الخرافي وكذالك جهود الشيخ العلامة (**عبد القادر المجاوي)** والشيخ (**صالح بن مهلة)**والدور البارز الذي قام به في محاربة الخرافة والشعوذة .والتركيز على بعث روح الأمل في الشعوب.كما تأثر برئيس جمعية العلماء المسلمين(**عبد الحميد بن باديس)** من خلال الخطب والمحاضرات التي كان يلقيها وهو ما ساهم في إعادة بعث روح الوعي الوطني والديني وإيقاظ النائمين.الواقعين تحت هيمنة التيار الإستعماري (1)

4 تأثره بالحضارة الأوربية

لقد أعجب بن نبي بطبائع الحضارة الغربية الذي يخضع كل شيء فيها للقياس الدقيق.حيث تأثر ب الفيلسوف الفرنسي (روني ديكارت) في دقته وصرامته ومنهجيته في التفكير وطريقة استدلاله لمختلف القضايا الرياضية(2) ولقد كان إنخراطه في جمعية (الوحدة **المسيحية للشبان البارسين)**المجال الأوسع حيث كشف نمطا من العلاقات الاجتماعية التي تتسم بالتسامح وعدم التعصب والتنظيم والتعاون بين الأفراد رغم الفوارق الاجتماعية والثقافية مما جعل بن نبي يندهش من هذه المفارقة بين السلوك الفرنسي في مجتمعه وسلوكه الهمجي داخل الجزائر

5 الفترة التي قضاها في مصر

تعتبر مصر البلد الذي وسع فكره وجعله أقرب إلى مصادر الثقافة الإسلامية واتخذها كمنبر عبر من خلالها عن قضايا وطنه والتي تتعلق خصوصا بالثورة التحريرية وهذا من خلال مشاركته في (***إذاعة صوت العرب)*** المشهورة آنذاك كما أعجب به بالرئيس المصري **(أنور السادات**) مما جعله يحظي بتأيد معنوي أكثر (3)

إن هذه العوامل كلها كان لها قد كان لها الأثر الكبير في صياغة فكره وتحديد وجهته

1-د/البشير قلاتي.هكذا تكلم بن نبي.منشورات دار اقرا قسنطينة الجزائر سنة 2005 ص33
2-د/عبد اللطيف عبادة.فقه التغير في فكر بن نبي.عالم الافكار ط2 2007 /ص29
3- مالك بن نبي.مذكرات شاهد القرن (الطالب) ت بقلم المؤلف.دار الفكر بيروت سنة 1970 ط1 ص210

الفصل الثاني:

بوادر التغيير

تمهيد:

لقد كانت الدعوة إلى التخلص من الوجود الإستعماري تظهر خصوصا عندما أوشكت فرنسا على الاحتفال بالذكري المئوية من التواجد الفرنسي في الجزائر .وقد إمتازت فترة الوجود الإستعماري في الجزائر تقهقر في كل الميادين سؤاء السياسية، الإجتماعية الثقافية الإقتصادية وحتي العسكرية .فبعدما كانت الجزائر البلد الرائد في تصدير القمح والشعير أصبحت بعد 1830 مضطرة لإستراد المواد الغذائية البسيطة لتلبية حاجيات السكان .إن مثل هذه المفارقة تعرض علينا طرح أسئلة كثيرة وفي مقدمتها كيف إنقلبت الأوضاع بهذا الشكل الرهيب والمخيف وبهذه السرعة؟

يتضح لنا من خلال تحليلنا لوضعية المجتمع الجزائري ما بين 1931 / 1954. أن فرنسا الإستعمارية رسمت كل مخططاتها في مختلف النواحي (السياسية.الاجتماعية.الاقتصادية والثقافية) هدفها محو المقومات الأساسية و الشخصية القومية للشعب الجزائري حتى تتمكن من إحتواء الجزائر نهائيا في الكيان الفرنسي العام. ولا يزال الشعب يحصد ثمنها الى غاية يومنا هذا

فلنا الحق اليوم إذن أن نطلق عليك إسم **الاستدمار** بدلا من **الاستعمار** ولقد صدق الجنرال لفيتنامي العظيم **جياب Giáp** (1)حينما قال عن فرنسا **"إن الإستعمار تلميذ غبي لا يفهم الدروس**

1-الجنرال جياب)1911-2013 :هو عسكري وسياسي فيتنامي وضابط سابق في الجيش الشعبي الفيتنامي، يُعد من أهم شخصيات حرب فيتنام، وهو أيضاً صاحب خطة معركة ديان بيان فو التي هزمت فيها فرنسا في 7يونيو سنة .1954وكذلك تمكن من هزيمة القوات الأمريكية بعد ذلك وقد تولى بعد ذلك منصب وزير الدفاع في بلاده.

1/التخلف السياسي.لقد عمدت فرنسا إلى إصدار مختلف القوانين بواسطة مناشير والذي يقتضي التجنس بالجنسية الفرنسية على شرط التنازل عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية كالزواج والطلاق.والميراث.كما عملت على زرع بذور الخلافات والإنشقاقات بين الجزائريين حتي ينشغلوا بمحاربة بعضهم البعض كي تتمكن من تنفيذ مخططاتها المتمثلة في القضاء على كيان الثورة والشخصية القومية.وهذا عن طريق القضاء على مختلف أجهزة الدولة.المتمثلة سواء في العلم الوطني أوسائر مظاهر السيادة الوطنية. ذلك عن طريق فرض حكم مباشر على الجزائرين باعتبارها مستعمرة فرنسية لا كيان لها ولا ممثل لها من الناحية الدولية إلا (فرنسا) .ولم ينتهي الأمر عند هذا الحد فقد أقامت ستار حديدي حول الجزائري من أجل عزلها عن أشقائها العرب والمشرق معا كي لا يتاثرو بما يجري في داخل التراب الجزائري أو ينفعلوا بأحداثها .وقد زادت في إصدار المراسيم قصد تجديد فترة النوم العميق حيث أصدرت مشروع **بلوم فيوليت** (1)الهادف إلى حرمان الشعب الجزائري من ممارسة حقوقه السياسية. كما أخضعت الشعب لقوانين عنصرية تعتمد على المراسيم والقرارات هدفها إذلال الجزائريين ومحاولة تحطيم روحهم المعنوية حتي تنهار مقاومتهم للاحتلال.ولقد كانت مشاريع الإحتلال تمر كلها في نطاق سياسة الإدماج تماشيا مع سياسة محو الكيان القومي للجزائريين(**2)**

2/التخلف الاقتصادي:من الناحية الاقتصادية تدهور الوضع بشكل جد رهيب حتي وصفت الجزائر بأنها "مملكة البؤس"وقد إختل الوضع الإقتصادي للجزائريين بسبب إستحواذ الإحتلال على معظم مصادر الثروة .في كل الميادين .ففي الميدان الزراعي عمل الإحتلال علي إنتزاع الأراضي الخصبة من سكان الريف حتي أصبحت معظم الأراضي الخصبة بأيدي الأوروبيين بينماالجزائريين هجرتهم إلى المناطق الجرداءة القاحلة في الجبال والصحراء .ومن المعروف أن الأراضي الزراعية هي مصدر الرزق الأساسي لسكان الريف وقد بلغت نسبة اللذين يعيشون من الزراعة حوالي 70 في المئة وبذلك أحدثت عملية نزع الملكية الزراعية خللا عنيفا في البناء الاقتصادي إمتدت أثاره إلي كل النواحي الأخري من حياة السكان **3**

1-بلوم فيوليت:نسبة إلى موريس فيوليت ظهر عام (1936) وهو مشروع يتكون من 08.فصول و50.مادة يتضمن إصلاحات دستورية بإعطاء حقوق متساوية بين الجزائريين والفرنسيين وإصلاح التعليم وكان من أسباب المشروع كثرة الإضطرابات التي واجهتها الجزائر ما بين 1935و1936. من جهة وإنعقاد المؤتمر الإسلامي وتزايد الوعي الوطني

2 - تركي رابح. التعليم القومي والشخصية الجزائرية (دراسة تربوية للشخصية الجزائرية).ط 2 .ص 80

3-النصوص الكاملة للثورة الزراعية والمركز الجزائري للإعلام والثقافة .بيروت سنة 1975 ص80

وقد أعلن الجنرال الفرنسي **بيجار Bijard بأن نزع ملكيات** المواطنين هوالشرط الاول الذي لا مفرمنه لتثبيت أقدامنا في الجزائر.وقد ترتب على خروج الملكيات من أيادي الجزائريين إلي إنتشار الفقر والبطالة بينهم بحيث بلغ عدد العاطلين عن العمل خلال الثورة ب 90 /:والى جانب هذه النسبة هناك أيضا 80/ :من العاملين يعملون بصفة متقطعة يعيشون في أحياء متلاصقة في ظروف قاسية جدا حيث انعدام الصحة وندرة المرافق الحيوية.أما في الميدان التجاري فقد استولي الاستعمار علي البنوك وشركات الاحتكار الكبري واصبجوا يسيطرون على التجارة الداخلية والخارجية معا حتي أصبحت الجزائر تمثل سوقا رئيسيا للتجارة الفرنسية وموردا ضخما لجلب المواد الخامة التي تحتاج اليها بثمن جد زهيد **2** ومما لا شك فيه أن هدف فرنسا من خلال هذه السياسة هو إبقاء الاقتصاد الجزائري مرتبطا بفرنسا حتي لا تبرز الجزائر بكيانها الاقتصادي وتبقي تتخبط في مشاكلها الاقتصادية وإبقاؤها ضعيفة متأخرة حتى تسهل عليها السيطرة واستغلالها بطريقة تتماشي مع سياسة الإستعمار في الإستحواذ علي ثروات الشعوب3

التخلف الاجتماعي :ومن الناحية الاجتماعية فقد إنقسم المجتمع الجزائري إلي مجموعتين .فالمجموعة الأولي تتكون من الجالية الأوربية التي جاءت إلي الجزائر والتي تمكنت من السيطرة على أهم النشاطات الاقتصادية حيث أصبحت تحتل مركزا إجتماعيا ممتازا نظرا لثرائها وحماية دولة الإحتلال لها.ويتكون منها الإقطاعيون وهم يرتكزون في الريف والرأسماليون في المدن والطابع الذي يميز هذه المجموعة هو الإنغلاق على نفسها والتعصب والعنصرية ضد الجزائريين باعتبارهم يشكلون خطرا على وجودها في الجزائر. أما المجموعة الثانية فهي تتكون من الشعب الجزائري الذي وصل تعداده في نهاية مرحلة الدراسة إلى أكثر من عشرة ملاين نسمة وهم يحتلون المركز الأدنى من السلم الاجتماعي ويعيشون على هامش الحياة باعتبارهم كما يلي:

1-.مارسيال بيجار (1916 _2010)جنرال فرنسي. شارك في معركة ديان بيان فو .وبعد هزيمة فرنسا عاد الي الجزائر وقاد عدة معارك حيث اشرف شخصيا علي قيادة الحرب النفسية ضد خلايا الفدائين في الجزائر العاصمة حيث استباح كل الممارسات القمعية حتي اقترن اسمه بالممارسات الوحشية ومظاهر التعذيب اثناء الثورة التحريرية الكبري.
2- عمار بوحوش .مجلة الثقافة الجزائرية عدد 14 /افريل سنة 1973 ص 52 .
3 - تركي رابح.التعليم التعليم القومي والشحصية الجزائرية (دراسة تربوية للشخصية الجزائرية)-ط 2 .ص89.

مجموعة خاضعة للاحتلال. مكروهين ومحقورين من طرف الجالية الأوروبية وهو ما يفسر لنا الحرمان الذي كان يعانيه الجزائريون في كل الميادين مما أدي بالمنظمات الدولية إلى القول بان مستوي المعيشة في الجزائر أحط مستوي في العالم كله 1

فقيمة الجزائري لم تكن أفضل من قيمة البهائم لان الحياة اليومية للجزائريين تمشي وفقا لمشيئة المعمر الذي يخطط للمداخيل والمصاريف و يوزع المهام حسب إرادته حيث أصبح الفلاح الجزائري يقدم غرامة مالية لأتفه الأسباب مثل أنه ذبح ديكا دون رخصة.وكانت المرأة بالإضافة إلى ما يعانيه الرجل تخضع لظروف قاسية جدا الناتجة عن التاويل الخاطئ لمبادئ الإسلام. أما حالة البنت فاءنها تتلقي تعليما قرانيا في السنوات الأولى ثم تلازم البيت نزولا عند رغبة العائلة. إن هذا الجهل جعل المجتمع الجزائري يتخلي عن الكثير من مميزاته حتى أصبح يعيش فاقدا لهويته2

ولعل ما ساعد على تردي وضع الجزائريين من الناحية الاجتماعية أكثر هو إبعادهم عن الوظائف الإدارية في البلاد حتى أصبحوا يشكلون في قطاع الموظفين والتعليم ب 7% أما الوظائف العليا فقد أغلقت في وجوههم إغلاقا كاملا ، وقد أصبح يمثل أغلبية الطبقة العاملة التي تتكون بصورة رئيسية من عمال الفلاحة في الريف اللذين يكونون 90/ من جملة سكانهم من مهنيين ويدوين 3

التخلف الثقافي.

إذا كان الوضع الثقافي لأي مجتمع يعتبر انعكاسا لواقعه السياسي وبنائه الاقتصادي وتركيبه الاجتماعي .فلا شك أن حالة الجزائريين من الناحية الثقافية تعتبر أسوء للغاية نظرا للضغوطات العنيفة التي تعرض لها الشعب الجزائري خلال قرن وثلث قرن من الإحتلال.ولما كانت اللغة العربية هي كيان وأساس الثقافة العربية'، فقد ركز عليها لكي يتمكن من القضاء على معاليمها. وتماشيا مع هذه السياسة فقد قام بمحاربة اللغة العربية ومطاردة روادها حيث أبعدها عن الإدارة وعوضها بالفرنسية وهي وحدها لغة العمل السياسي وحتي في الجنوب التي يقطنها عدد قليل من الجزائريين فقد قضي على معظم مراكز الثقافة العربية التي تتمثل في المدارس

1- نفس المرجع السابق .ص 90
2 -محمد العربي زبيري.الثورة الجزائرية في عامها الاول .المؤسسة الوطنية للكتاب ص 40-45
3 - تركي رابح .التعليم القومي والشخصية الجزائرية (دراسة تربوية للشخصية الجزائرية) ط2.ص92

والجوامع والزوايا,فالبعض منهم حولته إلى معاهد للثقافة الفرنسية وبعضها سلمت إلى الهيئات التبشيرية والبعض حولته إلي مراكز التعذيب,أما البقية فهدمته .لقد أصبح المجتمع الجزائري فاقدا لهويته .ففي قسنطينة مثلا قبل دخول الإحتلال كان فيها ثمانون مدرسة وسبعة معاهد وزاوية وبعد الإحتلال لم يبق منها سوي ثلاثون مدرسة.لقد نهبت فرنسا كل الكتب والوثائق والمخطوطات وباعوها لتجار الكتب الأوربيون وإلا من أين لفرنسا هذا التراث الهائل من الكتب النادرة؟ فبدون شك فهي كتب أجدادنا التي سرقتها خلال فترة الاحتلال.وهذا فضلا عن المكتبات والكتب التي بعثروها أو احرقوها كما فعلو بمكتبة الأمير عبد القادر بعد أسره كما وقفت في وجه الصحافة والجرائد والمجالات العربية فبمجرد أن تبدأ في الظهور حتي تختفي مثلما فعلته لجريدة المنتقد للشيخ (**ابن باديس**) فقد صدر الأمر بإغلاقها نهائيا بعد أشهر قلائل من صدورها بحيث لم يصدر منها سوي18 عددا.بل كانت الجريدة العربية تُغلق قبل أن يعرفها القراء كما وقع لجريدة (ميزاب) للأستاذ (إبراهيم أبو اليقظان)فقد صادرت الإدارة الفرنسية عددها الأول وهو ما يزال في المطبعة ثم قررت تعطيلها نهائيا 1 وفي المقابل فقد هدمت المساجد حتي أصبح 19 % فقط من الجزائريين مثقفين ويدخل في هذه النسبة من يحسن القراءة والكتابة باللغتين العربية والفرنسية وتعتبر فترة 1930-1956 من أصعب الفترات التي عاش فيها الشعب الجزائري تخلفا ثقافيا لان فرنسا أصدرت مرسوما يتعلق بفرنسة التعليم خصوصا الابتدائي .فهدفها من ذلك هو ان لا تتكون لدي الأطفال شخصيات ذات تكوين قومي ووطني منذ الصغر لان الطفل الذي لا يتلقي لغته ينشأ طفلا مفكك الشخصية 2

النتيجة: بينما كانت السلطات الاستعمارية تواصل سياسة الإستبداد والإستعباد وتطبيق سياسة الإذلال والإهانة على الشعب مستخدما جميع الوسائل,إقتنع حينئذ الشعب الجزائري آن فكرة الإدماج مجرد هذيان وفكرة المساواة ضرب من الخيال وإن فرنسا الخادعة ليست أبدا الجزائر ولن تكون , ثم تولدت فكرة إنشاء حركات وطنية وجمعيات علمية من اجل القضاء على الاستدمار الفرنسي

---

1 - احمد توفيق المدني .كتاب الجزائر ط2 الجزائر سنة 1963 .ص 345
2- د/رابح تركي التعليم القومي والشخصية الجزائرية (دراسة تربوية للشخصية الجزائرية) ط2 . ص 133

موقف مالك بن نبي من سياسة الإستعمارفي الجزائر

بعد دراسة وتحليل عميقن من طرف المفكر العظيم مالك بن نبي والتي جسدها في كتابه الرائع (في مهب المعركة) أدرك مالك بن نبي في نهاية الأمرأن الشعب الفرنسي –بفضل خيرات الجزائر-أنه وصل إلى عتبة التطور والرقي و بالمقابل نجد الشعب الجزائري في قافلة المتخلفين بعيدا عن جبهة التطور العالمي.لم يخرج بعد من مرحلة الامية.وحينما نريد ان نعبر عن هذا الواقع بلغة النسبية فإننا نقول أن قرنا من حياة مشتركة لم يخفض من التخلف بين الشعبين،بل زاد فيه كأن الشعب الفرنسي انطلق الى الامام بينما الشعب الجزائري رجع الى الوراء.ولعل هذا التخلف بين الشعبين يبدوا بطبيعة الحال في الحالة الثقافية حيث يمكن توضيح هذه الحالة ببعض الارقام التقريبية.فلنذكر ان عدد الطلبة الجامعيين يبلغ 300،000 طالبا بفرنسا،بينما يبلغ عددهم فى الجزائر 300 (على وجه التقريب) واذا كان لهذا الرقم معني من حيث الكم فإن الواقع يكشف وراءه حقيقة الامر من حيث الكيف كما استنكرمالك بن نبي السياسة التي انتهجتها فرنسا اتجاه النشاط البحري الذي وضعته تحت تصرفه تطبيقا لما يسمي ب " احتكار الراية" بحجة وضع حد لقرصنة الاسطول الجزائري القوي انذاك وهذا الاحتكار قتل في حينه النشاط البحري الجزائري العظيم وبذلك فقد وجد الجزائريين انفسهم مطرودين من الملاحة بقانون احتكار الراة ية.وهذه الوضع يظهر على وجه الخصوص في صورة أي مدرسة مهنية في مدينة من مدن الجزائر،فإن المدرس تضم عددا من الاقسام يناسب عدد القاعات الموجودة غالبا فى الوطن لكن الطالب الجزائري يوجه الى قسم صناعة الخشب على وجه الخصوص – أي إلى صناعة غير مربحة –لان السوق مكتظ بمن يشتغل في مثل هذه الصناعات.بينما يوجه الطالب الاوروبي الى الصناعات الميكانيكية التى لها رواجا في المستقبل وبالطبع فإن هذا التوجيه ليس من محض الصدفة بل من اثر التوجيه العام للتعليم الفرنسي لان هذا التعليم يستهدف تكوين نخبة مثقفة وتشكيل نواة من البرجوازين الفرنسين يحملون شهادات علمية **1**

وعلى هذا نستنتج ان التخلف الذي يعيش فيه الشعب الجزائري اليوم ما هو إلا نتيجة منطقية وسياسة حتمية للإدارة الفرنسية منذ 1830.بعد أن نأخذ في الحساب الأسباب التي تعود إلى القابلية لإستعمار.**2**

1-مالك بن نبي:في مهب المعركة (مشكلات الحضارة) دار الفكر –دمشق-الطبعة 3.سنة 1981.المقالة تحت عنوان : الجمهورية الجزائرية في 1954/03/26. ص 34-35-36.
2-نفس المصدر السابق ص 39.

بوادر التغير السياسي قبل ثورة نوفمبر 1954

نشأة الأحزاب السياسية"

1/حزب الشعب الجزائري: تأسس فى 11 /03 /1937 وهو الوارث لحركة نجم شمال إفريقيا.1 وقد كان الحزب ينادي باستقلال الجزائر التام في نطاق حضارتها العربية الإسلامية.ولذلك لقيت من الاحتلال إضطهادا عنيفا وتعنتا شديدا بسبب مبادئها الثورية وتمسكها بمقومات الهوية الوطنية للجزائر

2/حركة إتحاد المنتخبين الجزائريين: تأسست عام 1930 تدعوا إلى المحافظة على الشخصية الإسلامية للجزائريين

3/حركة أحباب البيان والحرية: نشأ هذا الحزب في بداية سنة 1945 يضم الفئة المثقفة (جماعة النخبة)وقد بعثت هذه الحركة الأمل في قلوب الجزائريين باعتبارها حركة قومية تضم في صفوفها كل الحركات الوطنية الأخري وبذلك أصبحت كلمة الجزائريين لأول مرة موحدة وراء هدف واحد وهو الحرية والاستقلال ضمن إطار الشخصية الوطنية .وفي عام 1946 وبعد مجازر 05/08 1945 ظهر حزبان جديدان حلا محل حركة أحباب البيان والحرية وهم حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بزعامة فرحات عباس.2 والحزب الثاني (MTLD) حركة الإنتصار للحريات والديمقراطية بزعامة مصالي الحاج .يتفق هذان الحزبان في مبدأ المحافظة علي الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها الروحية والفكرية واللغوية لكن يختلفان في طريقة الحصول علي الاستقلال للجزائر

دور المؤتمر الإسلامي: تأسس عام 1936 وكان أول من فكر في عقده هو الإمام (ابن باديس) وكان الغرض من الدعوة إليه وانعقاده هو محاولة جمع صفوف الأمة على اختلاف مشاربهم السياسية من أجل الإتفاق على الحد الأدنى من المطالب السياسية والإجتماعية والاقتصادية وقد انعقد في نادي الترقي في السابع من شهر يوليو سنة 1936 وشاركت فيه حركة إتحاد المنتخبين المسلمين الجزائريين.وقد أسفر عن جملة من المطالب المتمثلة في إلغاء القوانين الإستثنائية مثل قانون الأنديجان المسلط على الجزائريين منذ 1874 ومنع حرية التعليم بالغة العربي

1-نشأة حزب الشعب كان امتدادا لحركة نجم شمال افريقيا الذي أنشئ سنة 1926
2-/د.رابح تركي:التعليم القومي والشخصية الجزائرية (دراسة تربوية للشخصية الجزائرية)ط 2 ص70/68/67/65/.

4/**حزب جبهة التحرير الوطني: FLN** في بداية الخمسينات أمن الشعب الجزائري بأن الكفاح المسلح هو السبيل الوحيد لتحرير الجزائر.وما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بها وهذا بعد فشل كل الأحزاب السياسية في اقناع فرنسا على الخروج بالطريقة السلمية.وهكذا ولدت سنة 1954 منظمة **FLN** وقد **قام** بتكوينها مجموعة من الرجال الأحرار الذين ألمهم ما وصلت اليه حالة الجزائر بعد إحتلال دام اكثر من قرن.وقد ضمت الجبهة في صفوفها الأمامية كل العناصر الحية والثورية وقادوها بنجاح طوال ما يقارب عن 08 سنوات.غير أن فرنسا الخادعة أرادت القضاء على هذا الحزب وعلى رجالها الأكفاء, ففي 1956/10/22/.قامت بتحويل الطائرة التي تضم زعماء الثورة التحريرية القادمة من تونس إلى المغرب حيث أجبرتها على الهبوط في الجزائر.وهي اول قرصنة جوية قامت بها فرنسا وكانت الطائرة تضم **محمد بوضياف1992/1921 محمد خيضر (1912/ 1967) حسين ايت احمد ا(1926)احمد بن بلة 1916/ 2012(رابح بيطاط (2000/1925) ومصطفي الاشرف (مصور).**حيث أودعتهم السلطات الفرنسية في السجن قصد قتل العمل الثوري. 2إن فرنسا لم ترحم يوما الشعب الجزائري البريء الذي كافأته غاليا في حوادث 1945/05/08/ حينما فتحت شرطة السفاح **موريس بابون 3 Maurice Papon** النار على المتظاهرين الجزائريين إحتفالا بنهاية الحرب العالمية الثانية وكان الثمن غاليا في ذلك اليوم المشئوم حيث سقط فيها ما يقارب (خمسة وأربعون ألف شهيد) في مناطق عديدة من الوطن منها سطيف.قالمة خراطة. وما زالت قائمة الضحايا عالقة حتي يومنا هذا في مقبرة الشهداء بسطيف ....إن التاريخ شاهد على جرائم فرنسا التي أعدمت ونكلت وانتهكت الحرومات في حق شعب هدفه فقط المطالبة بالحرية والاستقلال .واليوم تعود علينا بقناع الديمقراطية والمساواة والحريات وكأن التاريخ بدأ من حيث تشاء ونسيت خداعها وخبثها الذي لطالما لازم سياستها

1-نفس المصدر السابق ص 71.

2-فرحات عباس.ليل الاستعمار.) La nuit coloniale : ● ت:ابو بكر رحال.المغرب -الرباط ص200/2002/.

3- موريس بابون:1910-2007. صاحب الشهادات العليا في القانون والحقوق والسياسة, ومجرم حرب فرنسي حيث شارك في القمع الدموي لمظاهرات 1960/10/17.التي نضمتها (جبهة التحرير الوطني) و كان في ذلك الوقت رئيس شرطة باريس (محافظة سين)حيث القي بالآلف الجز ائرين في نهر السين والحصيلة خلفت 300.شهيد و400.مفقود. في عام 1998.أدين بتهمة التواطؤ في جرائم ضد الإ نسانية وحكم عليه ب 10.سنوات سجنا نافذة

الجمعيات:

جمعية العلماء السلمين الجزائرين:

لقد كان لظهور علماء السلف ك ابن تيمية وابن القيم الجوزية وظهور حركة الإصلاح الديني في الجزائر أثرا بالغا في تهيئة البلاد لقبول الدعوة الإصلاحية حيث أكد رجال الجمعية في كل مناسبة تأثرهم بدعوة الشيخ **محمد عبده**. 1ويقول الشيخ محمد خير الدين وهو من الأعضاء المؤسسين لجمعية علماء المسلمين في مذكراته :(ان **الحركات التحررية** في بعض **بلدان المشرق العربي مدينة لحركة الإصلاح الفكري والديني** التي **قادها موقظ الشرق "جمال الدين الافغاني" ومن بعده** ....) وقد أحدث الإمام عبد الحميد ابن باديس في الجزائر ثورة تعليمية بفضل دروسه الحية وتربيته الصحيحة وقد كان كثير الاتصال بالشيخ رشيد رضا بالمراسلة وبطريقة سرية خوفا من السلطات الفرنسية .و نظرا لما أل إليه الشعب من ضعف وتمزق نتيجة الضربات الاستعمارية الموجعة. إجتمع علماء الجزائر في نادي الترقي بالجزائر العاصمة يوم 1931/03/05/.وأسسوا جمعية علماء المسلمين في الجزائر وانتحبو بالإجماع الشيخ ابن باديس رئيسا لها وعملت على إصدار مجلة الشهاب ثم المنتقد 2 وقد أنشأ باديس فروعا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في شتي أنحاء الجزائر فخلق طائفة من الدعاة والمرشدين وهم شباب من المدرسة البادسية يحملون أمانة الكلمة.ويكشفوا وجه الحق. وكم كانت طريقة المقاومة أمامهم شاقة ومرهقة ,حيث كان الاصطدام عنيفا بين قوم يؤيد الإحتلال ومخازيهم الزائفة وبين جماعة من الفدائيين الأحرار صدقوا ما عاهدوا الله عليه فواصلو الكفاح تحت راية قائد باسل يرسم الخطة ويهدي إلى الحق .وهذا بفضل اعتمادها على القران والسنة عند وضع مبادئها الإصلاحية وأصولها العامة التي سارت على هديها, فالإسلام هو دين البشرية الذي لا تسعد إلا به وذلك لأنه دين يدعوا إلى الإخوة بين جميع المسلمين,يسوي بين الأجناس البشرية مهما كانت الأجناس والألوان,كما حرم الظلم بجميع أشكاله ويمجد العقل ويدعو إلى بناء الحياة على

1-محمد عبده.1905/1849.مفكر مصري اشتغل عدة مناصب عليا حيث عين في منصب المفتي العام (1899).ثم عضو في مجلس الاوقاف 1890.ثم عضو في مجاس الشوري (1890)وقد الف عدة كتب .اهمها رسالة التوحيد.

2-بهي الدين سالم :إبن باديس فارس الاصلاح والتنوير.دار الشروق.ص 73/66/. 77.

أساس الفكر ونشر دعوته بالحجة والإقناع **1** لقد خاضت الجمعية معركة المصير على كافة الجبهات وفي كل الميادين,من صراع ضد السلطات الاستعمارية إلى صراع ضد الانحرافات المذهبية, والرد على أعداء الدين في الخارج. وكان هذا التحول برهانا على إنتصار حركة الإصلاح الإسلامي المبنية على أساس العزيمة القوية ,وإرادة صلبة وعلم غزير وإيمان عميق بفضل ابن باديس ومن وقف معه في ساحة العسر.أمثال العالم الجليل أمبارك ألميلي. الطيب العقبي .البشير الإبراهيمي. العربي التبسي .أحمد توفيق المدني .المرحوم عبد الرحمان شيبان.الى غاية الدكتور عبد الرزاق قسوم وقد لقيت الجمعية إستجابة قوية من طرف العلماء والجماهير وكانت أياما مشرقة باسمة,وحدث من أسعد الحوادث وأكثرها نورا وإشراقا عاشها الشعب الجزائري وعلى هذا الأساس وجهت الدعوة ل 120. عالما اشتهروا بإستقامة ونقاء سيرتهم وإخلاصهم لعقيدتهم من أجل إيجاد الطرق الصحيحة لإزالة أثار الإستعمار وإقتلاعه من جذوره ومازالت هذه الجمعية تتعامل بهذه المعاير وتنشط بنفس الحماس والإرادة إلى غاية يومنا **2**

كان ابن باديس دارسا متعمقا للقران والسنة. وباحثا له صاحب الرأي المتزن وقد شق طريقه على النهج القويم, مستخدما أدوات معاصرة لإبلاغ دعوته وفي مقدمتها الصحافة حيث أصدر مجلة الشهاب الشهرية وجريدة المنتقد سنة 1926.وصحفا أسبوعية أخري مثل (الصراط.الشريعة والسنة) **3.** وقد ركزت الجمعية على عدة أسس هدفها تقوية الوحدة الوطنية وردع الاستعمار حيث عملت على تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة السلف وإصلاح اللغة العربية حيث نجد عبد الحميد بن باديس يقول"**إن فهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الاولى وانه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم"**وقد التقي مع الشيخ محمد عبده من اجل تصحيح المفاهيم والعقائد وتطهير العقول من ركام التقاليد البالية وهتما كلاهما بالتربية والتعليم وإنشاء المدارس للنهوض بالأجيال القادمة.وكانت الجمعية مدرسة الإصلاح الجزائرية وكانت نعمة من الله رافقت الجزائريون في محنه وشدائده مقتبسة مبادئها من نور الإسلام المبين.وهي استجابة واعية للظروف السائدة في البلاد ومعالجة حكيمة لها بهدي الإسلام وإخلاص رجالها

1--بسام العسيلي:ابن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية .دار النفائس ,ص116
2-نفس المرجع السابق.ص117 2
3-د/عمار طالبي .ابن باديس .حياته وأثاره ج4 .ص37.

إن إلقاء الضوء على سيرة الدعاة والمصلحين عبر تاريخ الحركة الإسلامية في مختلف حلقاتها وأزماتها وأماكنها فاءنها أضفت تنويرا وتبصيرا للعالم الإسلامي سواء في الماضي أو الحاضر. تمكنت الجمعية بفضل رجالها المخلصين من بث روح الإيمان في قلوب الجزائريين,تحصلوا على حقوقهم من فرنسا دون أن يتنازلوا عن حالتهم الشخصية ,كما تمكنوا من إدخال اللغة العربية بصفة إلزامية إجبارية في كل المناهج وعظمت الوعي الديني في أوساط الجماهير واتجهت نحو فهم الدين فهما حقيقيا وهذا بالعودة إلى الكتاب والسنة **1**..يقول الله عز وجل في كتابه العزيز **(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ 2**

☒الجمعيات الرياضية والطلابية:

ظهرت الأنشطة الرياضية والطلابية من أجل لم شمل الطلبة والكشافة والشعب الجزائري وقد ظهرت **جمعية الطلبة المسلمين** بالجزائر في 1953/12/06/ فكانت التشكيلة على النحو التالى **صابر صادق الشريف.رئيسا,مراد على.كاتبا عاما,اسكندر نور الدين.وبلحاج محي الدين.نائبين له** وقد اتفقوا على تعين الرئيس السابق للجمعية وهو عبد **السلام بلعيد**. **رئيسا شرفيا.**وكان الوعي الوطني والإسلامي منتشرا وكبيرا بين فئة الطلبة المغاربة عموما والجزائريين وكان الهدف من تأسيس هذه الجمعية هو مواجهة المشاكل السياسية .وقد إمتدت نشاط التنظيم الى خارج الوطن وبالضبط في فرنسا وأطلق عليه اسم **"الإتحاد الإسلامي للطلبة المغاربة "**وكان رئيسها الجديد محمد أمير الذي هو في نفس الوقت رئيس طلبة شمال إفريقيا المسلمين بباريس.لقد كانت هذه الجمعية خطوة متقدمة من أجل تجميع القوي الطلابية لصالح الحركة الوطنية .فقد إمتد نشاط الجمعية إلى تونس حيث تشرف عليه بعثات من شيوخ بني ميزاب. وقد تكونت في تونس جمعيات طلابية التي ترأسها "الشاذلي المكي" . و جاءت هذه البعثات بنتائج جيدة وباهرة اذ تخرج منها عدد هام من الطلبة الذين توجه معظمهم للتعليم في المدارس الحرة . والبعض الأخر توجه إلى السياسة أو الإقتصاد.وقد أصدرت الجمعية مجلة بعنوان (الثمرة الأولي)التي ظهر عليها الطابع الوطني والإسلامي,وقد اشترك في الكتابة فيها:الشيخ أبو يعلي الزواوي.أحمد حماني. محمد الأخضر السائحي (من الجزائر)محمد الشبوكي(من تونس) بينما إعتذر عن الكتابة المبارك الميلي.وقد شهد نشاط الجمعية تصعيدا

-محمد فتحي عثمان .بن باديس رائد الحركة الإسلامية في الجزائر دار القلم الكويت ص 41
2-سورة أل عمران: الأية 104

قويا خصوصا بعد مجازر **1945/05/08.** حيث أشرف عليها أعضاء ينتمون إلى جمعية العلماء المسلمين أمثال احمد بوروح والمرحوم عبد الرحمان شيبان **1**

دور الكشافة الإسلامية :

لقد كانت الكشافة الإسلامية نشطيه ولها إنتشار واسع ,عبرت عنه من خلال بياناتها وأناشدها الوطنية التي كانت تلقنها لأعضائها, وكانت جريدي المنار والبصائر تنقلان أخبار الكشافة .ينسب تأسيس الكشافة الإسلامية إلي (محمد بوراس) 2.الذي إتخذ من الكشافة وسيلة للعمل العسكري والسياسي ضد الاحتلال وحينما اكتشف أمره القي عليه القبض من طرف السلطات الاستعمارية وحكمت عليه بالإعدم سنة 1941..ثم ترأسها فيما بعد السيد (محفوظ قداش)الذي اصدر بلاغا في **1950/10/28.** عين فيه المسؤلين في اللجنة المسيرة للكشافة وهم:محفوظ قداش/رئيسا.عمر الأغا/نائبا.حمدان بن عبد الوهاب/أمينا للمال.وقد وسعت الكشافة من نشاطاتها التربوية حيث أصدرت جريدة بعنوان (صوت الشباب)وهي جريدة تربوية إخبارية تهتم بمشاكل الشباب الجزائري.وفي أبريل 1952. أقامت الكشافة حفلا في مدرسة التربية والتعليم التي تديرها جمعية العلماء المسلمين ,حيث صادف ذلك ذكري وفاة العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس فأحيوا الذكري.وقد تحدث الشيخ "محمد القباطي عن ضرورة التعلق بالوطن وأن الجزائر بخير ما دا م لدينا شباب يؤمنون بالروح الوطنية ,كما ركز على ضرورة الحفاظ على العروبة والإسلام بإعتبارها أحد الركائز الأساسية للدولة الجزائرية .وقد تعرضت الجمعية للقمع والاضطهاد من طرف سلطة الإحتلال حيث هاجمت الشرطة الفرنسية مقر الكشافة وفتشت أوراقها وأخذت ألتين راقيتين وناسخة ثم أتلفت البقية.وبعد هذه الحادثة إجتمعت الهيئة العامة للجمعية وأصدرت احتجاجا وتنديدا باعتبارها أن الجمعية منظمة قانونية تربوية لا علاقة لها بالسياسة .ومع بداية ثورة نوفمبر المجيدة,وسقوط الأقنعة من فرنسا إتخذت الكشافة موقف متشددا ضد الإستعمار حيث نددت بأعمالها الإجرامية وأصدرت بيانا هاما دعت من خلاله

1-د/ابو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي,ج 10.دار البصائر الجزائر ص.25/20/

2- ولد محمد بوراس بمدينة مليانة, عام 1908 تلقي تعليمه الابتدائي والثانوي بمسقط راسه ثم انتقل الى العاصمة واستقر في ضواحي بولوغين شارك. اسس اول فوج للكشافة بالعاصمة سنة 1933. وفي عام 1936 عمل على توسيع الافواج الكشفية .وحينما اكتشفت امره السلطات الفرنسية اتهمته بالعمل لصالح الالمان فاعتقلته ثم اعدم في محاكمة سرية .

.

جميع العناصر المخلصة من أبناء الشعب الجزائري الأصيل إلى رفض المناورات الخطيرة لفرنسا الكاذبة,كما إستنكر البيان التفرقة بين عناصر الوحدة الوطنية فنبهها بعدم الوقوع تحت الفخ الذي نصبته إياه فرنسا.وما يلفت النظر أن الكشافة تدعو وتصر بالتمسك بمبادئ الإسلام ونبذ الإلحاد وإلى التحذير من الانحراف الديني ونشر الأفكار المتطرفة بين عناصر الأمة الواحدة, والى غاية يومنا هذا لاتزال الجمعية تنشط بنفس العزيمة وبنفس الإرادة ,تهدف إلى نشر أفكار الدين والتسامح وتمجيد الأخلاق والاقتداء بسيرة الرسول (ص)1

1 -د/ابو القاسم سعد الله.تاريخ الجزائر الثقافي.ج.10.دار البصائر الجزائر.ص31 .

الباب الثاني:

مالك بن نبي : فيلسوفا

الفصل الاول:

فلسفته وأهم خصائصها

فلسفته:

إمتازت فلسفة بن نبي ب الأسلوب العلمي الدقيق وتحليل منهجي مميز وعميق لمختلف القضايا الكبرى و الحساسة التي كانت تسود العالم الإسلامي, بحيث ركز في فلسفته على فكرة جوهرية وهي إبراز مشكلة العالم المتخلف و اقتراح الحلول والتخلص من أزمته .وقد كان محور تفكيره وشغله الدائم هي مشكلة الحضارة والإستعمار و التخلف باعتبار أن الإستعمار أصل كل المشاكل.أما باقي المشكلات ماهي إلا إفرازات لهذه المشكلة.

ولقد تخصص الرجل المهندس بنوع من الهندسة الفكرية معادلاته حضارية.و بناياتها الصعود و الهبوط الإجتماعي .أعدادها درجات التخلف وأسبابه .

وقد تعرض بن نبي في فلسفته إلى التحد ي الكبير الذي واجه العرب و المسلمين وهي مشكلة الإستعمار مما دفع الشعوب المستعمرة كرد فعل مباشر أن تقدم تضحيات جساما لنيل حرياتها و استقلالها ,و للتخلص منه فاءن هذه الشعوب بذلت مجهودا ت كبيرة في سبيل التغير و البناء .إلا أن انعكاسات الظاهرة الإستعمارية و تأثيراتها السلبية بقيت مستمرة وأثرت سلبا على أوضاع هذه الأمة وهذا في مختلف الميادين,.الإجتماعية ,الثقافية السياسية . فالتغير الحقيقي أو المراجعة النقدية تبدأ من خلال الثورة غير أنها(الثورة) في نظر الفيلسوف لا تنتهي بإخراج الجيوش والانتصار،المسلح .بل الثورة عملية مستمرة باستمرار العمل البنائي والتغيري مع ضرورة المراجعة الدائمة لخطواتها ومسيرتها. و تقبل النقد البناء الصريح كلما إستدعي الأمر لذلك ,ويجب أن يكون العمل الثوري التغيري ذا نفس طويل لا تنتهي با الحصول على الاستقلال بل ما بعد الاستقلال (1) . وقد وقف مطولا في فلسفته عند ظاهرة الإستعمار وقام بتحليله بصفة دقيقة و محكمة .بحيث إعتبره أخطر شيء أبتلى به الشعب الجزائري والعالم العربي. لانه شل كل الطاقات وخرب العقول واستنزف كل الثروات.لكن لم تكن الظاهرة الاستعمارية (في نظره) جزافا أو صدفة بل كانت نتيجة طبيعيه للإ نحطاط الحضاري الذي عاشته الأمة الإسلامية. فلو كانت الأمة تتمتع بصناعة حضارية و ثقافية لما تمكن المستعمر منها.2

1-مالك بن نبي: بين الرشاد و التيه :دار الفكر المعاصر الجزائر ط2 ص 14.
2-مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي :ترجمة عبد الصبور شاهين دار الفكر سوريا ط:9 ص 85

إن هزيمتنا أمام الاستعمار لم تكن هزيمة سياسية أو عسكرية فحسب بل هزيمة حضارية أمام القيم الغربية فمن الضروري في نظره أن نواجه معركة حضارية حيث لانكتفي بتحرير التراب الوطني من السيطرة الخارجية, بل علينا أيضا أن نعمل على تصفيته من النفوس والعقول التي عشعش فيها الإستعمار لمدة تزيد عن قرن ونصف قرن من الزمن . ويعد الاستعمار الثقافي أكثر خطورة عن الاستعمار المسلح وهذا ما تترجمه المعاناة الكثيرة التي عانت منها الجزائر غداة الاستقلال, فالواجب علينا في نظر بن نبي أن نركز في دراستنا حول ضرورة نزعه من النفوس وتطهيره من الفكر لآن مركب النقص لايزال يتحكم في نفسية الشعوب المتخلفة في تعاملها مع الدول الكبرى .كان مالك بن نبي يدعو إلى ضرورة تحليل الخلفية الحقيقية للهزيمة و البحث عن نقاط ضعفنا في ذواتنا إذا أننا نحن من نصنع هزائمنا و نتسبب في خسارتنا. إذ يذكر مالك بن « نبي أن مجلة تجارية " boom نشرت في 1949 تضم ما تطلبه إسرائيل من منتوجات والذي يشمل الحديد ومختلف مواد البناء.ومواد صيدلانية. وفى المقابل نجد بعض الدول العربية أمثال : العراق-الكويت –الأردن تطلب المجوهرات,مساحيق,عطور,العاب')**1**

وانطلاقا من هذه المفارقات البسيطة نجده يقر بضرورة إتخاذ مواقف و إتباع مناهج متنيه غداة الاستقلال من أجل. تنمية المجتمع و تجاوز مخلفاته الإستعمارية .فمن الخطأ أن تستورد حلولا خارجية لعلاج مشاكلنا الخاصة, لأنه في نظره لكل مجتمع معادلاته و خصوصياته 2 فعلاج مشاكلنا لا يكمن في إستراد حلول (جملة و تفصيلا) من بلدان خارجية متطورة و هو الفخ الذى وقعت فيه الجزائر حينما إستورد ت حلولا ماركسية (في الميدان السياسي) مما أدى بها إلى الإضطراب و التشويش في أعز أيام التشييد: مثلما فشل كذالك الإصلاح الإقتصادي الأ ندلسي عندما أعتمد على التجربة الألمانية 3

1- مالك بن نبي : بين الرشاد و التنبه دار الفكر الجزائر ط 2 1974 :ص 33

2- **بشير قلاني: ملامح من عبقرية مالك بن نبي في تحليل الظواهر واستشرافها محاضرة ألقيت سنة 2005 : جامعة قسنطينة) ص:61**

3- مالك بن نبي تأملات ت:عمر مسقاوي : دار الفكر سوريا ط:9 : 2009: ص57

فمن خلال فلسفته فالوصول إلى الحل يكون من خلال فهم أرضية الواقع و دراسة خصوصيات المجتمع التاريخية و الإجتماعية و الثقافية. حيث يجب أن تنسجم أفكارنا و عواطفنا مع ما تقتضيه المرحلة من تطور, وكل تغير يجب إن يخضع للمراجعة و النقد و التحليل وهذا هو التغير الحقيقي. حيث ألح بن نبي على ضرورة التخلص من عقيدة الرفض لكل نصيحة .و النقد ليس عيبا و المراجعة ليست جرما. و إنما العيب و الجرم إذا تكرر الخطاء و تحمل المجتمع لوحده تبعاته. فالذين يرفضون النقد أو التصحيح إنما يحملون في ذواتهم عقدة النقص التي إستفادوا منها من مخلفات الاستعمار فنجد مالك بن نبي يقول **"يجب أن نتخلص من عقدة الرفض التي طالما سدت الطريق أثناء الثورة و على كل محاولات الإصلاح التي أرى فيها بكل وضوح تام أن الإستعمار هو المستفيد الوحيد من هذا الرفض" 1** لقد وقف بن نبي بن نبي مطولا في تحليله لظاهرة الصراع الفكري التي تمثل ساحة الأفكار ميدانها والتي من خلالها رصد لمكائد الإستعمار معتمدا على معارف لا بأس بها في مجالات السياسية و الثقافية و الإجتماعية، التي يحرص فيها دائما (بن نبي) على ضرورة تحويل الأفكار من ما هي مجردة إلى ما هي مجسدة وقد لاحظ بن نبي في مجال الصراع الفكري حرص الإستعمار على الحيلولة بين الفكرة والعمل السياسي حيث أقدمت على غلق دار النشر جريدة "الشهاب" كما تم إستبدال الجامعة الإسلامية التي دعا إليها جمال الدين الأفغاني بفكرة الجامعة العربية التي دعت إليها بريطانيا وقد عبر في دراساته الجريئة والنادرة للعالم عن أسلوب مرن ميزه عن غيره من المفكرين والمنظرين.بحيث عمد إلى صياغة المواقف في تشكيل افكاه ومنها ينتقل إلى تحليل أفكار أخري راسما بذلك تصميما واضحا يقربنا إلى فهم حقيقة أفكاره . فقد كان أستاذه الأول هو الإجتماعي الإسلامي "إبن خلدون"كما أنه أعجب بأفكار"ارلوند تويمبيtwinbi" وأضفي على بعض منها صبغة إسلامية أفادته في فهم بعض العلاقات الدقيقة في حياة الحضارات والشعوب كما إعتمد بعض الأمثلة التي أوردها تويمبي مفادها أن نقص التحدي او زيادته وعنفه يؤثران بصورة واحدة على قوي التاريخ الإنساني 2 أما اسلوبه في طرح السؤال فقد حظي بإهتمام كبير نظرا لكونه أورده بشكل مكثف ومتكرر أثناء مناقشته للقضايا الحساسة والأساسية في مقالاته.

1- - مالك بن نبي : بين الرشاد والتيه ت :عبد الصبور شاهين ط2 دار الفكر دمشق. 1978 ص 14.
2-مالك بن نبي :ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الإجتماعية ج1 (مشكلات الحضارة) ت عبد الصابور شاهين دار الفكر دمشق ط9:ص21.

,حيث الهدف منه تنشيط حاسة النقد وقلب صفحة تفكيره على الوجه الأخر.إذ لم يكن مقتنعا بنمط التفكير الذي يزاوله الإنسان المسلم مما جعله يعيد النظر فى كيفية التوجه اليه ومخاطبته . فعلى سبيل المثال نجده أثناء بحثه عن موقع يليق بالعالم الإسلامي مقارنة بالعالم الغربي يوضح المسألة بالسؤال التالي:ماهي إيجابيات الرجل المسلم؟ لماذا كان الوسط الذي يعيش فيه سلبيا؟كما نجده في موضع أخر يحث على إعادة طرح السؤال بطريقة أخري فعوض أن نسأل لماذا توجد عناصر فكرية قاتلة في الثقافة الغربية؟ ينبغي آن يكون سؤالناعلى النحو التالى ؟ لماذا لا تهتم البلدان الإسلامية بالفئة المثقفة ؟ وذلك لرد كل المشكلات التي كان يعاني منها العالم الإسلامي فى علاقته بالغرب إلى الإنسان المسلم وتحميله المسؤولية حتى يكون على علم بأخطائه ويبادر إلى تجاوزها (1) وقد قام بتحليل القضايا الحساسة بطريقة رياضية نادرا ما نجدها عند أئ مفكر أخر فالحضارة هي:الإنسان +التراب +الوقت . وتوجيه الثقافة يتوقف على:المبدأالأخلاقي+الذوق الجمالي+المنطق العملي +الصناعة .والمجتمع هو عبارة عن:عالم الأفكار+عالم الأشخاص+عالم الأشياء.والطاقات الإجتماعية و أساس الفاعلية هي: اليد+القلب+العقل .أما حل المشكلة فيتوقف على:توجيه الثقافة +توجيه العمل +توجيه رأس المال. لقد كانت هذه الصياغات المنطقية إطارا رتب فيه بن نبي فلسفته وهيأ حلولا في ضوء دراسته لأسباب تقهقر المسلمين الذي لم يشهده تاريخ المسلمين

في تحليله لسوسيولوجية الثورة الجزائرية:

يعتبرا لأستاذ الراحل بن نبي من أكبر المفكرين إلتزاما بقضايا الوطن والثورة لأنها تشكل جزء لايتجزا من قضايا الحضارة الإسلامية والنهضة التي خصص لها حصة الأسد من مؤلفاته (2) فقدحلل الثورة الجزائرية تحليلا فريدا من نوعه ويظهر ذلك في مختلف الكتب التي ألفها من جهة .كما أنه عاش في خضم الصراع الذي خاضته الحركة الوطنية والحركة الإصلاحية ,بوجدانه ونضاله وقلمه داخل الجزائر وخارجها.وتحتوي (مذكرات شاهد القرن)علي أروع

---

1 - مالك بن نبي : فكرة الافرو أسيوية: ت عبد الصابور شاهين دار الفكر دمشق سوريا ط 9 :ص 232-233
2-عبد اللطيف عبادة صفحات مشرقة من فكر بن نبي .دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة الجزائر ص84

تصوير لهذا الصراع لأنها نابعة من فكر عاش مرحلة الثورة التحريرية. ففي نظره أن الثورة الجزائرية قادها الفلاح وهو من حمل عبئها قبل العامل. فقد كانت الثورة في الواقع ثورة الفلاحين قبل المثقفين . إن هذا الصدام المرير(بين شعب لم تركعه لغة الحديد والنار وبين إستعمار غبيي لايفهم الدروس التي يتلقاها من مستعمراته, نجد الأستاذ يقرر أن هذا الصدام يقتضي (حتمية الثورة للنشاط المسلح) .وأن ثورتنا ذات إيديولوجيا بدأت بسيطة ثم تعمقت مع وعي الشعب بأبعادها وأصولها التاريخية. وكان بن نبي يعتقد أن الثورة لا تستطيع الوصول إلى أهدافها إذا لم يغير الفرد بحد ذاته طريقة تفكيره وكلماته ونمط حياته وطريقة إستهلاكه لمحتلف المنتوجات والسلع 1

إن الثورة في جوهرها –كما يري بن نبي - ما هي إلا عملية تغيير داخل المجتمع نتيجة لإنتفاض الشعب وتمردهم على وضع معين إلى درجة يستحيل تحمله. ولا تتم الثورة الا بتوفير مجموعة من الشروط الاساسية وهي الوعي والفعل والعقيدة، وقد أكد مالك بن نبي على علمية العمل الثوري وحدد أركانه والتي تتمثل في بداية الأمر في حصول التغيير ثم تحديد أسلوبه ووسائله مع تحديد الأهداف والمواضيع المراد تغييرها.ومن خلال هذه الشروط يتضح لنا أن الظاهرة الثورية لم تخضع بعد لعلم معياري- مادامت لم تخضع لعناصر الثورة وشروطها وأهدافها ، مما أدي بالبلدان التي عرفت مثل هذه الثورات إلى أن تجد نفسها بعد الثورة في وضع سابق عن الثورة أو أكثر.والدليل على مدي صحة نضرية مالك بن نبي هو الإنزلاق الخطير جدا الذي وقعت فيه معظم الدول العربية التي عرفت حاليا ما يسمي بربيع الثورات العربية بحيث أرجعتها هذه الحروب الدامية إلى إذيولوجية القرون الوسطي مثلما هو الحال في ليبيا والعراق وسوريا حيث وجدت الشعوب نفسها تتقاتل من أجل الموت لا غير دون أن يدرسوا الخلفيات الاساسية التي من اجلها يتم هذا الصراع ،.ولكي تنجح أية ثورة وتستمر لا بد من ممارسة ما يسميه مالك بن نبي ب النقد الثوري. فبدون شك أن الثورة مرتبطة دائما في الأذهان بالمجال السياسي، وإذا كان مالك قد عالج واقع العالم الإسلامي من خلال العوالم الثلاثة :عالم الأفكار وعالم الأشخاص وعالم الاشياء ، فإن أي ثورة يجب أن تتم في إطار هذه العوالم أي أن الثورة نفسها نتناولها كمشكلة من "مشكلات الحضارة"، وبالتالي يتوجب الحديث عن التغيير الشامل في مجال الثقافة والفكر بالدرجة الأولى باعتباره الانطلاقة الحقيقية لأي ثورة :

1-نفس المرجع السابق ص94 -95.

ناجحة وما سينتج عنه من تغير في عالمي الأشخاص والاشياء .ومعنى هذا أن السياسة ليست الميدان الوحيد للثورة "ففي الاجتهاد ثورة على التقليد وفي الجهاد ثورة على الاستسلام وفي التجديد ثورة على الجمود وفي الإبداع ثورة على المحاكاة وفي التقدم ثورة على الرجعية والاستبداد.

، وإذا عرفنا أن مشروع مالك بن نبي الفكري كله يقوم على الآية الكريمة **(إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)** 1علمنا أن جذور أي ثورة في العالم الإسلامي لا يمكن أن تتم إلا من خلال الحقيقة القرآنية التي تغير النفس كأول خطوة للبناء الحضاري الشامخ، لأن أي تغيير لم لا يستهدف تغيير الإنسان لن يكتب له النجاح، "

فالإنسان إذا لم يتغير بطريقة جذرية من حيث سلوكه وأفكاره ونمط حياته واستهلاكه، فليعلم المتصدون للعمل الثوري ورواده أن الثورة لم تستطع أن تصل إلى أهدافها، ويستلهم الأستاذ مالك بن نبي أفكاره هذه الثورات الإسلامية الكبري التي غيرت وجهة التاريخ البشري ببناءاته الأخلاقية والثقافية والسياسية والاجتماعية ، بل حتى أسماء معتنقيه كانت - حسب مالك -النمو الثوري في أدق معانيه وذلك عندما كان يقدم المرء مباشرة بعد إسلامه على تغيير اسمه رغم ما يعز في النفس من ذلك، وفى هذا السياق يقول مالك بن نبي" **فالثورة ليست كإحدى الحروب تدور رحاها مع العدد والعتاد، بل إنها تعتمد على الروح والعقيدة"** التي جعلت المعذبين في ساحات مكة وشعبها شهداء للفكرة الإسلامية الثورية المطاردة من طرف الجلادين والخونة . وحتى تستطيع الثورة الحفاظ على شبابها وعطائها وديمومتها وتحقيق أهدافها - وبالإضافة إلى ما سبق ذكره - رصد مالك بعض الأخطاء والثغرات التي يمكن أن تلحق بالثورة وبذلك فقد حذر الثوريين الحقيقيين من الغرور الذي يصيبهم كلما استطاعوا إعادة تنظيم الإدارة أوأجهزة العدالة أو تشكيل الاحزاب او الجمعيات أو تعديل النظام الاقتصادي، لأن هذا كله ليس إلا مظهرا من مظاهر الثورة لا غير. وفي هذا الصدد يقول كذلك : **"إن لكل ثورة منهجها يتضمن المبادئ التي تسير عليها كما يتضمن فحوى القرارات التي ستمليها عليها ظروف التاريخ "2**

1- سورة الرعد الاية 11

2- مالك بن نبي : بين الرشاد والتيه ت :عبد الصبور شاهين ط2 دار الفكر دمشق. 1978 ص 51.

فالمنهج إذن في نظر مالك بن نبي يعتبر ركن أساسي لكل ثورة، وكلما تخلت عنه كانت مرشحة للتراخي وللسقوط في كثير من الأحيان ولو على المدى البعيد، . إنه ينبغي للثورة - لتفادي الإبهام - رسم إطار واضح لموضوع التغيير بعيدا عن الغموض والضبابية. وقد ركز مالك على ما سماه "النقد الثوري" لانه يمثل علاجا دائم المفعول لتصحيح مسار الثورة وحمايتها من كل الآفات التي يمكن أن تصيبها أثناء الطريق، لأن التغيير لا يكون في الأمة الإسلامية بحاكم يسقط ويعوض بالاخر -مثلما وقع في مصر- ولكن التغيير الفعلى يتم بالشعوب التي تصنع الحضارة والثقافة والفكر. وكما يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله **"نحن في حاجة إلى عمل واسع وعميق ولابد أن نتحسس كياننا وجماهيرنا وقضايانا حتى نعرف أغلاط أمتنا ونداويها "** لأن الظلم لا يتغير من تلقاء نفسه و لا يتغير بالأماني التي تداعب أحلام الكسالى ، إنما تتغير الأوضاع حسب قوة وعزيمة ويقضة الشعوب ،فلا يجب على الامة أن تنتظر متي يستقيل فرعون، إنما يجب أن يتغير فرعون عندما يوجد موسى ويربي شعبا.1

إن عملية النقد أصبحت أمرا لا مفر منه، يفرضه الواقع والمنطق والشرع معا . "فالثورة التي تخشى أخطاءها ليست بثورة.. فالثورة الإسلامية مثلا كانت دائما ومنذ نشأتها تعمل على ضبط سلوك المسلم ونبذه للماكيافيلية وممارسة النقد والنقد الذاتي الذي يضمن تصحيح المسار الثوري واستمراريته عن طريق تنقية الصف من كل الطفيليات والميكروبات التي يمكنها أن تهدده من الداخل.فالثورة الإسلامية، ومن خلال غزوة أحد – مثلا - كانت تؤمن بأن الغاية تتأثر بالوسيلة ولذلك لم يسمح الرسول صلى الله عليه وسلم - قائدها - بإنضمام متطوعين غرباء عن الثورة باعتبارهم مجرد مرتزقة لا يشدهم إلى الثورة إلا مصالحهم المادية وليس النفحة الروحية. إذن فالثورة لا يصنعها إلا الثوار ذوى العقيدة الراسخة والروح التواقة إلى الأجر العظيم الذي يناله في الدار الآخرة.ولقد إستشهد في ذلك بأروع مثل في الاسلام حيث إنتقل عمر بن الخطاب رضي الله من ذلك الراعي للغنم إلى ذلك الرجل العظيم الذي جعل الإسلام منه خليفة مؤمنا

1- نفس المصدر السابق ص 16

إن التشبث بفضيلة النقد الثوري و بالفكرة الثورية ضروري بالنسبة للثوريين الحقيقيين "لأن الثوريين المزيفين لا يتوانون عن استعمال سلطة الأشياء وإغرائها ضد الأفكار إن المتأمل في تاريخ الثورات يستطيع استنتاج أن فشل أو نجاح ثورة ما مرهون بما تحتفظ به أو تضيعه في الطريق من محتواها.مثلما يعكسه واقع الشعب الفلسطيني وثورته حيث تباع قضيته وأرضه في "المزاد العلني تحت غطاء مؤتمرات السلام" و"مفاوضات السلام" أومجموعة من الشعارات أثبتت الأيام والوقائع عدم جدواها. وفراغ محتواها 1 لهذا ركز مالك على المطالبة بإحكام الرقابة على هؤلاء الخونة "واللذين سماهم مالك بن نبي بالطفيليات المحقونة داخل ثورة ما من طرف الاستعمار وعملائه داخل العالم الإسلامي، هذه الطفيليات التي مثل بها مالك أولئك الأشخاص الذين عادوا للظهور بعد وقف إطلاق النار غداة الثورة الجزائرية، واصفا إياهم "بالذئاب" و"الضباع" التي تريد اغتنام الفرص قبل تصفية مشاكل الاستقلال الطوباوي "الخيالي" ومشاكل البنية القاعدية، على حين غفلة من أولئك الجزائريين الذين كانوا "يحاربون الفرنسيين على أنهم كفار صليبيون. وللأسف، الثورة يخطط لها الإسلاميون وينفذها الفدائيون، ويسرقها المرتزقة. ولقد سرقت ثورة الجزائر، ولكن هاهي الجزائر عائدة إلى الإسلام من جديد" إن شاء الله رغم كل الصعاب التي تمر بها اليوم. وفي تطور الثورة الإسلامية "يرى مالك بن نبي أنه يجب أن نستخلص منها العبر الكافية والدروس الضرورية لكل ثورة مقبلة" ومعنى ذلك أن صانعي الثورة - ومنهم أبو بكر الصديق قد حافضوا على مبادئها احتراسا من الانحراف عن المسار وخشية ظهور "ثورة مضادة" بزعامة المرتدين فالثورة الحقيقية هي تلك التي تعترضها عقبات ضخمة تستلزم أشرف التضحيات وأطهر البطولات يقودها الزعماء وقادة الجماهير وفي الوقت نفسه يجب أن تحمي نفسها من سائر المحاولات التخريبية التي يكون فيها أصحابها سلطة جانبية في وطن ثوري، يؤثرون عليها لحساب الخارج بما في أيديهم من وسائل السلطة (.2) وفي إطار هذا الموضوع فقد أطال نقد مالك بن نبي بعض الوجوه التاريخية المعروفة في ساحة الثورة الجزائرية أمثال المناضل الكبيروأحد الوجوه التاريخية المعروف بمساندته المطلقة للثورة الجزايرية إنه المفكر والكاتب

1- مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ص 90 .
2- مجلة العالم، في حوار مع الشيخ محمد الغزالي رحمه الله. العدد 134. ص 39

العظيم **فرانس فانون fanon frantz** 1 حيث تكونت لدي بن نبي فكرة خاصة عنه- فرانز فانون - تخالف الأفكار الشائعة التي جعلت منه محللا للثورة الجزائرية. وقد إ عتمد مالك بن نبي في هذا التحليل على مجموعة من المقايس إلمقايس موضوعية أهمها:

إن فرانز فانون لا يقاسم الشعب الجزائري معتقداته، وهو كما يعرفه الجميع ملحد وفي خضم هذه الفكرة نجد بن نبي يقول : **"إننا نظلم فانون عندما نجعله صاحب النظرية الثورية فلا لغة تجمعنا ولا دين يوحدنا"** كما أنه غريب عن الروح الجماعية التي أدت إلي انفجار الثورة الجزائرية ولا يمكن له أن يؤلف سنفونية وطنية ذلك لأن النشيد الذي يحشد طاقة الشعب ويرعشنا أثناء سماعه لا يمكنه أن يثير نفس الإحساس والمشاعر بالنسبة لفرانز فانون لأنه لا يتقاسم معنا نفس الإحساس لأنه أجنبي.وفي هذا المعني نجد بن نبي يقول عن فانون **"كان يفتقد إلى اللمسة التي تهز الروح الجزائرية التي دفعت به إلى النضال المحرر 2**

فرغم ذلك يبقي فانون من أهم الشخصيات الأجنبية النادرة التي دافعت عن الثورة الجزائرية بقلمه التي جسدها في مقالاته الرائعة التي كان يد عو من خلالها الشعب الجزائري إلى رفع السلاح في مواجهة الإستعمار الغاشم،الذي يراه فانون خيارًا وحيدًا لا يمكن التخلِّي عنه في مواجهة الإمبريالية الكولونيالية الذي يتزامن و تلك المرحلة الملتهبة من تاريخ التحرر الوطني الجزائري والأفريقي. وقد إختار فانون ممارسة مهنة الطب النفسي في الجزائر، فتناول موضوالاستعمار من وجهة نظر الطب النفسي ،والدليل على ذلك مختلف اللقاءات والخطب التي كان يلقيها من اجل توعية الشعب الجزائري ، ولعل من أبرز خطاباته ذلك الذي ألقاه في المؤتمر الأول للمؤلِّفين السود في العام 1956. تحت عنوان **العنصرية والثقافة"** ومن خلال تحليل هذا الخطاب االمعادي للكولونيالية الفرنسية ،أصبح من الضروري الإلتزام بسلوك المقاومة المسلَّحة ضد تلك الكولونيالية وقد أصبح أمرا صريحًا وواضحًا. لأن النهاية المنطقية لإرادة الكفاح هذه تكمن في التحرير الكامل لأرض الوطن." وهذا "الكفاح" ينبغي أن لا يقتصر على مجال الكلام فقط، بل يجب أن يتعداه إلى استعمال السلاح ونظرا لاهمية الكفاح المسلح في

1-فرانس فانون frantz fanon:1925/07/20-1961/12/06. فيلسوف إجماعي وكاتب وثوري وطبيب نفساني.فرنسي الجنسية. كان متعاطف مع القضية الجزائرية ومناضل فيها.اشتغل بمستشفي البليدة من 1957/1953/..وقد تم تعينه كممثل للحكومة الجزائرية المؤقتة الاستعماري. ومن أهم مؤلفاته المعذبون في الأرض 1961. من أجل ثورة إفريقية 1964ب شرة سوداءه أقنعة بيضاءه 1952

2-د./ عبد اللطيف عبادة صفحات مشرقة من فكر بن نبي .دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة الجزائر ص 90

الجزائر فقد ربط فانون مصير القارة الأفريقية بكاملها، بمصير الثورة الجزائرية وقد كان فانون شديد القرب والحنان من مرضاه حينما إشتغل كطبيب مختص في الأمراض العقلية حيث لاحظ أثناء معالجته للمرضي الجزائريين عن وجود العلاقة بين الإضطرابات النفسية والوجود الإستعماري رأى فيهم أنهم ضحايا النظام الكولونيالي الذي يحاربه،.ولعل الشيئ الذي يميز شخصية فرانز فانون هو أنه لم يقتصر نشاطه على الطب فقط، بل ناضل فعليًّا كعضو في المنظمة الثورية الجزائرية. وقد اشتد نضالُه بعد انطلاق الثورة، وقد عمل فانون كمناضل في "جبهة التحرير الوطني" FLN الجزائرية إلا أنه سرعان ما إستقال وهذا خوفا من جلب أنظار الشرطة الفرنسية إليه وراح يمارس الكتابة في الخفاء وقد ظهرت كتاباتُه في صحيفة *المجاهد*، التي بات فانون عضوًا فاعلاً في فريق تحريرها منذ صدور أعدادها الأولى. وثابر بلا هوادة على فضح الجرائم الاستعمارية الفرنسية كلها، وكشف عن خبثها ومكرها .كما قام بدراسة شروط قيام تحالُف أشد وثوقًا بين الأفارقة، بالإضافة إلى تجنيد متطوعين سود وفتح جبهة جديدة في الصحراء الجنوبية. وفي تحليله لمسألةَ المثقفين اليساريين وموقفهم من حرب الجزائر خصوصًا على صعيد اليسار الفرنسي، يفضح فانون خبث اليساريين الذين يدعمون الاستعمار ومخلَّفاته، من حرب وتعذيب، وتدمير والذي لا تزال أثار هذا الدعم إلى يومنا هذا (وهذا ما نلاحضه في ذلك الحقد الدفين الذي يكنه الحزب اليساري الفرنسي للجزائريين)1

عاد فانون إلى الجزائر منهوكًا من هذه المهمة التي كُلِّف إياها، مصابًا بسرطان الدم، فكرس جهوده الأخيرة لكتابة ، كتابه المشهور معذبو الارض . وقد وافته المنية بعد سنة من إنهاء كتابة هذا الكتاب، وقد حافظ فانون على ثقته بالتحرير القريب لأفريقيا بكاملها. إذ كان مقتنعًا بأن الثورة الأفريقية ثورة لا رجوع فيها".إلا أن المشاكل والمتاعب لا تزال تقف دون تحرر أفريقيا وتقدمها والتي لا تزال تعرقل مسيرة القارة السوداء – حتى أيامنا هذه ! 2

1-عبد الحميد عبادة:صفحات مشرقة في فكر مالك بن نبي.دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة الجزائر: ص 74
2- فرانس فانون لاجل الثورة الإفريقة Pour la revolution africaine ترجمة ماريا وديالا طوق ، دار الفارابي بيروت الجزائر،منشورات anep .2007 ص 71 74.

- **في تحليله لمشكلة الحضارة**

لقد نقد بن نبي بعض فلاسفة الحضارة المحدثين وفي مقدمتهم أرنولد تويممبي 1 **twinbi (arland)** في فكرة نشوء الحضارة الذي يكمن في التحدي والإستجابة حيث يوضح من خلالها أن الفرد عندما يتعرض لصدمة فاءنه يفقد توازنه لفترة ما.ومن ثمة يستجيب لها بنوعين من الإستجابة فالاولي تمثل النكوص إلى الماضي لإستعادة التوازن والتمسك به.(إستجابة سلبية) أما الثانية فهي قبول الصدمة والإعتراف بها ثم محاولة التغلب عليها.وهذا ينطبق تماما على العرب حينما تعرضوا لصدمة حضارية فلجأوإلى الماضي دفاعا عن النفس بأساليب منها البقاء في أراضيها حاملين لكل أشكال البؤس والفقر.

ففي نظر بن نبي الحضارة لا تستورد ولا هي تمثل تكديسا ولا جمعا لركام الأشياء,وإنما هي بناء وتركيب للعناصر الثلاثة (الإنسان التراب الوقت) وهذه العناصر لا تؤدي مفعولها ضمن حالة من التشتت ولكن ضمن تركيب متجانس يحقق بواسطتها جميعا إرادة وقدرة قوية للمجتمع المتحضر ويلاحظ بن نبي أن للعقيدة الدينية أثرا هاما في تشيد وبناء الحضارات فا الأمة الإسلامية شهدت تقهقرا لا مثيل له في العالم لان ذلك راجع إلى الفهم والتأويل الخاطئين لمعظم آيات القران الكريم, فالحضارة تبدأ حينما تدخل إلى المجتمع فكرة معينة ثم يتاثر بها سواء بالإيجاب أو بالسلب وتنتهي عندما يفقد هذا المجتمع نهائيا السيطرة على هذه الأفكار التى لطالما كان أسيرا لها ولمبادئها (النموذج واضح من خلال ما نعيشه في مجتمعنا اليوم)2 وعن وجهة نضره حول المستشرقين فقد قسم مالك بن نبي المستشرقين إلى قدامي ومحدثين وقسم المحدثين الى قادحين فى التاريخ الإسلامي والثقافة الإسلامية ومادحين لهما. فأما القدامي فهم الذين أثروا ولا يزالون يؤثرون على أفكار العالم الغربي وقد ساهمت مؤلفاتهم في الإعداد لعصر النهضة الأوروبية.والدليل على ذلك نظرية إبن الهيثم في الضوء .ابن سيناء في الطب.....وآخرون.حيث تأثر بها فلاسفة عصر النهضة .أمثال العالم الفلكي غاليلي وديكارت وآخرون

1-.ارلوند .تويمبي arland .twinbi :(1975/1889).من أشهرا لمؤرخين في القرن العشرين حيث بحث في مسالة الحضارات بشكل منفصل وشامل .ومن اهم كتبه (دراسة التاريخ) .وهو من أروع الكتب,حيث يحتوي على 12.مجلد ,إستغرق في تأليفه 41.عاما.يفسر نشوء الحضارات من خلال نظريته المشهورة (التحدي والاستجابة (بقية التفاصيل في الباب الرابع)

2- د/عبد اللطيف عبادة,صفحات مشرقة من فكر بن نبي .دار الشهاب للطبعة والنشر باتنة الجزائر ص 28

أما الفئة الثانية وهي الحديثة وهم اللذين لم يستطيعوا أن يؤثروا على أفكارنا نظرا لتلقائية أفكارهم وبساطتها, يعالجون مواضيع سطحية. خالية من التحليل والنقد وأن الفائدة من هذه النصوص تكمن في التعرف على أخبار أجدادنا فقط.

أما الفئة المادحة فقد كتبت من أجل نصرة ومساندة الحقيقة العلمية ولقد مرت معرفة أوروبا بالفكر الاسلامي بفترتين

فترة العصر الوسيط حيث كان همهم الوحيد هو إكتشاف الفكر الإسلامي وهضمه وترجمة مؤلفات هؤلاء المفكرين العرب الذي إستلهمت منه أوروبا حضارتها وسددت خطاها وقادها نحو التطور والازدهار أما في العصر الحديث الإستعماري :فقد أصبحت تبحث عن الفكر الإسلامي بغية تكيف ثقافتها أو سياستها وذلك بمعرفة أحسن الثقافات الموجودة لدي الشعوب المستعمرة.وكانت مواقف المثقفين المسلمين متنوعة حيث نجد من وقع في الفخ وبذلك إستسلم على حلبة الصراع كما هو الشأن بالنسبة لأحمد خان;**1 .** وهناك من سعي إلى تعويض مركب النقص الذي كان يشعر به المثقف العربي تجاه الثقافات الغربية حيث عمد بعض مثقفينا إلى تبني التقنية الغربية والتي تتمثل في سياسية (الشيئية والتكديس) فالمراد بالشيئية هو الاقتناع بالقليل وعدم بذل المجهود.أما التكديس فهو تراكم مجموعة من المعارف والثقافات الغربية في مجتمعاتنا الإسلامية دون عرضها للنقد او التحليل (التقليد الأعمى) .مثل هذه الأفكار تشكل نوعا من الإيديولوجية الغامضة المنتشرة وللآسف فاءن العالم الإسلامي المعاصر, يسوده فكر يبحث عن شحنة من الفخر من أجل مواجهة الذل والهوان الذي فرضته عليه الثقافة الأوروبية المنتصرة .إن مثل هذه القراءات تعود علي المجتمع بسلبياتها حيث تربي المجتمع على تذوق العجائب عوضا أن يعلمه فعلية الأفكار وحقيقتها.والخطورة نلمسها أكثر حينما يرتبط هذا الأدب بالصراع الفكري,ذلك كلما طرح الشعب المستعمر مشكلة. يواجهها المختصون من الأدباء والمفكرين بمواقف هزلية جدا وحلول خاطئة للمشاكل زادوها توغلا في الأخطاء

1-أحمد خان 1817 -1898 م مصلح اجتماعي ومورخا وسياسي تركي:تمتاز فترة حكمه بالليونة. معتمدا على نهجا متفتح في نظام حكمه الذي قوبل بالمعارضة الشديدة من الاطراف الداخلية لانه لم يتبع السياسات التوسيعية كما لم تتسم تصرفاته بالقسوة ففي نظر حاشيته فاءنه كان يفتقد لسمات القيادة نضرا لعدم اضهاره الحزم الواضح في مواجهة التحديات

وإذا أتي بجزء من الصواب فإنهم سيبذلون قصارى جهودهم من أجل إبطال مفعولها .ويستعمل الأدب الاستشراقي في الصراع الفكري من طرف أخصائيين وذلك بإرجاع مثقفينا إلى الماضي البعيد حتى يتقوقع فيه,عوضا أن يواجه واقعه الملئ بالمشاكل.وهناك طرق أخري لصرف الانتباه عن المشكلة الرئيسية وهي تقسيم العالم الإسلامي إلى دويلات صغيرة حيث لا تستطيع أن تنشئ حضارة.

يقدم لنا بن نبي مثالا عن **الطنطاوي1** (الرجل الذي يدعي انه مثقف) فى حين أنه أعجب بالحضارة الغربية فخلف لنا تفسيرا خاليا من كل بعد فكري,تحركه النزعة التكدسية الجوفاء(الخالية من كل إبداع).لقد كان للأدب الإستشراقي اثأرا وخيمة على المجتمع الإسلامي (بكل ما تحمله الكلمة من معني) ذلك لأنه باعد بيننا وبين مواضيع التفكير في الحاضر في صورته الواضحة ,وأغرقنا في مناقشات كاذبة.لقد جعل منا محامين لمجتمع ما بعد الموحدين **2** في الوقت الذي يجب علينا أن ننقده بشدة وعنف وينتهي بن نبي إلى حقيقة موضوعية في هذا السياق وهي أن الإنتاج الإستشراقي كان شرا على المجتمع الإسلامي لأنه ركب في عقله عقدة النقص وفي لسانه صورة المديح وغمسته في النعيم الوهمي **3**

- في تقديره لأهمية وقيمة العمل

يتضمن مفهوم العمل عند مالك بن نبي معنيين: معني تربوي ومعني كسبي,ويكمن المعني التربوي للعمل في بيان أهميته الإجتماعية بالنسبة لمجتمع لا يزال في طور التكوين ويرتبط هذا المعني بفكرة"الواجب فوق الحق"بينما المعني الكسبي له مدلول الأجر(salaire)أي كل جهد

1-الطنطاوي: الشيخ علي(1909-1999) مفكر عربي ولد بدمشق ودرس بها الحقوق إشتغل معلما فى الإبتدائ,وكان رئيس لجريدة الأيام ,إنتقل إلى العراق عام 1936.ليعمل مدرسا ثم إلتحق بسلك القضاء لمدة تفوق ربع قرن ثم سافر إلى العربية السعودية عام 1963.واستقر بها إلي غاية وفاته ,وقد الف حوالي 24.كتاب,أهمها أبو بكر الصديق, أخبار عمر,أعلام التاريخ

2-مجتمع ما بعد الموحدين :أصل التسمية تعود إلي كلمة التوحيد والتي تعني الإيمان بوحدانية الله لا شريك له وهي دولة حكمت المغرب العربي حيث إمتدت من أقصي الشرق إلي أقصي الغرب (من تونس وليبيا ومصر إلى غاية المغرب الأقصى والصحراء الغربية

3- نفس المرجع السابق :ص 60-62-6

يستحق أجرا ويترجم هذا المدلول فكرة "الواجب يساوي الحق"مثلما هو الحال بالنسبة للمجتمعات التي خرجت من طور التكوين منذ قرون إلى التنظيم القائم على تقاليد عريقة وعليه يري بن نبي بأنه يجب على المجتمع الإسلامي الذي يريد أن يشق طريقه ثانية نحو الحضارة.أن يركز كل إهتماماته على الجانب التربوي للعمل كي يتسنى له تغير وضع الإنسان ويتم هذا عن طريق التوجيه المنهجي للعمل كشرط عام ثم كوسيلة عيش بعد ذلك لكي يتخلص من فكرة الإستحالة والإستسهال. لان المسلم اليوم تسكنه أحكام مسبقة يطلقها على الأعمال المراد إنجازها والتي يراها إما مستحيلة تفوق الوسائل التي يمتلكها ، أوأنها سهلة لا تتطلب مجهودا. إن لهذه الأحكام تأثيرها السلبي و الخطير عليه (المسلم) فليس لكون الحاصل هو اللاعمل دائما وإنما أيضا كونها تكبل قدراته الفكرية وطاقاته العضلية.والتخلص من هذه الأحكام السلبية حسب بن نبي يتم بإعادة الإعتبار لقيم كل من اليد والعقل والقلب التي تقف وراء كل إنجاز عملي,**1**.إن تفاعل هذه القيم من خلال إنسجام العناصر يؤدي حسب مالك بن نبي إلى الشعور الفعلي في تحقيق فكرة ما حتي ولو كانت بسيطة,وهو الذي يعيد للعمل مكانته وبالتالي يجعل الإنسان يحسن تقديره للأشياء لأن إتصاله المباشر بها وتعامله معها يكسبانه خبرة تنعكس على أحكامه فتصير موضوعية. **2**

, وقد إعتبر العمل المخطط له هو العمل الناجح با الضرورة، وكل عمل له هدف ايجابي يعود بالنفع يستحق التشجيع حتى ولو كان بسيطا , لانه في الوقت نفسه يشكل خطوة نحو التغير العام و مساهمة فعالة في طريق البناء الحضاري ومن ثمة تغيير وجه التاريخ، فالعمل وحده هو الذي يضع مصير الأشياء في الإطار الإجتماعي وهو كنشاط يتولد من تفاعل الإنسان مع الزمن والتراب

- في إلحاحه على ضرورة التغيير وأهميته

لقد ركز مالك بن نبي على ضرورة التغير انطلاقا من المبدأ القرآني والتغيير هو فعل إرادي **"إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِم" 3** يمثل نقطة تحول تاريخي تفصل بين مرحلتين زمنيتين متباينتين من حياة المجتمع,مرحلة سابقة على التغيير

1-مالك بن نبي :شروط النهضة, (بإشراف ندوة مالك بن نبي) ت عبد الصابور شاهين و عمر مسقاوي,دار الفكر سوريا ط 9 سنة 2009ص114
2-مالك بن نبي افاق جزائرية ت :الطيب شريف، ط 4، مكتبة النهضة الجزائرية (بدون تاريخ) ص 148
3-سورة الرعد الأية 11.

ومرحلة التغيير أو الإقلاع الحضاري,يهدف في نهاية المطاف إلى إقامة حضارة وأن إرادة التغيير يجب أن تنبعث من داخل الإنسان نفسه وهي الترجمة الفعلية لذالك الوعي بالذات بقدراتها الكامنة فيه وينحصر هذا الوعي الباعث لتلك الإرادة عند بن نبي في هذا الإختيار المحدود**"إما أن نغير**(بكسر الياء) **وإما أن نغيّر"1.**إذن فليس هناك سبيل من عدم الإختيار فأي تخاذل إزاء التغيير الإرادي الهادف الذي يأخذ بأسباب الحضارة يعني الإستسلام والخضوع السلبيين لإرادة الغير ومشيئته.ف الشرط الأساسي للتغيير فبالنسبة لمالك بن نبي فإن العلاج الجذري لمشكلات التخلف ليس في مواجهة هذه المشكلات بوسائل أنتجتها حضارة شقت طريقها وخرجت من المرحلة البدائية المتسمة بمنطق الأشياء.بل لا بد من مواجهتها بإنشاء حضارة توظف الطاقات الإجتماعية الموجودة مهما كانت الظروف, وهذا يتم عن طريق إعادة الإعتبار لقيمتي الوقت والتراب"وهي من العناصر الأساسية التي تدخل في تركيب الحضارة عند بن نبي ويستمد هذان العنصران قيمتهما من فعالية الإنسان فكلما كان نشاط الإنسان هادفا فعالا كان لهذين العنصرين قيمة و أن إعادة الإعتبارلهذين العاملين المهمين يتم عن طريق التربية التي تسعي إلي إشعار الفرد بأهمية إصلاح التراب والتخطيط له كما ألح على ضرورة تغير الفرد لأنه لا يمكن للمجتمع أن يتطور نحوا حياة أفضل إذا لم يغير الفرد نفسه .و قد أدرك بن نبي أن أخطر مرض يتعرض له أي مجتمع هو الخلل الذي يحدث في نفسه و عقليته ففي نظره فإن المجتمع لا يتغير إلا إذا تغير الفرد و هذا وفقا للمبدأ الذي قرره القرآن الكريم. **(إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)** فالفرد يجب أن يكون شخصا منتجا لا شخصا مستهلكا يشعر بمسؤولياته إزاء المجتمع حيث يقول مالك بن نبي **" ليست القضية قضية أدوات إنما القضية في أنفسنا علينا أن ندرس الجهاز الاجتماعي وهو الإنسان وليس السلال.1 وتغير الإنسان في نظره يكون بتصفية نفسه من رواسب التخلف "2** كما دعا إلى ضرورة فك التبعية والتخلص من القابلية لها . وقد تأخذ التبعية عند مالك بن نبي أبعادا إقتصادية وثقافية وتتمثل الأبعاد الإقتصادية في تبعيتي "الاستهلاك" "والإنتاج" وتتمثل تبعية الإستهلاك أن نستهلك ما ينتجه الغرب,و تتمثل تبعية الإنتاج أن ننتج على شاكلة ما ينتجه الغرب دون مراعاة ظروفنا المحلية

1-نفس المصدر السابق: ص 50
2-السلال فرد السلة وهو الوعاء الذي نضع فيه الأوساخ
3-مالك بن نبي: تأملات .ترجمة.عبد الصابور شاهين دار الفكر سوريا "طبعة 9 ". ص 129:

. أما الأبعاد الثقافية فتتمثل في تبعية الفكر والعقيدة. واذا كانت تبعية الإنتاج في الجانب الإقتصادي خطيرة فإن التبعية الثقافية تعد أخطر من التبعية الإقتصادية لأن محاولة التخلص من التبعية الإقتصادية لا يتحقق بمنأي (بمعزل) عن الثقافة.ولهذا السبب يري بن نبي بأن تحقيق العالم العربي والإسلامي لسيادته التامة لا يتم إلا بفك هذه التبعية في شتي صورها وأشكالها وعليه إذن ينبغي عليه - العالم الإسلامي - أن لا يكون عالة على الغرب وأن يتحمل مسؤوليته وهذا بأن يبادر بفك هذه التبعية "إقتصاديا"عن طريق إستيراد الضروري الذي يفي بالحاجة فقط دون زيادة أو نقصان.أما ثقافيا فيتم عن طريق وعي الذات بمرجعيتها الفكرية والعقيدية واستعادة الثقة بها بمعني التخلص من ظاهرة "الإقتداء بالغالب"التي تكرس تبعية المغلوب له في المأكل والمشرب والملبس وأنماط تفكيره وأ سلوب حياته (حسب مفهوم إبن خلدون)أي التخلص من القابلية للتبعية وهكذا فإن طريق الإستقلالية الحقة والنهوض الفعلي تبدأ حسب بن نبي بالتغلب على عقلية التكديس ونفسية الشيئية والاضطلاع بمهمة البناء والتجديد الذاتي 1

في إبرازه لأهمية التربية وعلاقتها بالتغيير

ألح فيلسوفنا على أهمية التربية كأساس لتغير الإنسان ففي نظره تمثل التربية في جوهرها مجموعة من القيم الأخلاقية والثقافية النابعة من أصالة المجتمع و دينه وتاريخه التي تستمد أسسها من الدين الإسلامي الحنيف فا التربية يجب أن تكون قادرة على إحداث التغير السليم في فكر الفرد و نفسيته، لأن كل تغير للفرد يعد بمثابة تغير المجتمع فا القيم الأخلاقية في نظر بن نبي بما فيها الصدق والإخلاص و الشجاعة والإرادة و الأمانة ، هي المضامين الجوهرية للتربية الإجتماعية التي تصنع العزائم و تربط الإنسان بأخيه الإنسان فا القيم الأخلاقية بمثابة آليات تحافظ على الشبكة الإجتماعية **(2).**فالتغير يبرز كموضوع وكهدف للتربية من خلال تركيزها على الإنسان كمادة للتغير وإهتمامها بمختلف أبعاده النفسية (السلوكية)والخلقية والعقلية والجمالية وممارسة التأثير (الفعل)عليها بما يحقق التغير المرغوب منه الذي هو هدف التربية

1- إبراهيم العاصي :(جلسة مفتوحة مع مالك بن نبي:) ط 1 دار القلم دمشق ص24

2- مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه دار الفكر، الجزائر"طبعة 2" سنة 1988 ص 52- 53

المنشود وتبرز التربية كوسيلة وكمنهاج للتغير من خلال الممارسة التربوية التي تتطلب إختيار الوسائل الأكثر نجاعة وإنتهاج أفضل الطرق لإحداث الأثر المرتقب وبحكم طبيعتها الديناميكية فاءن للتربية أهدافا تصبو إليها نظرا للموقع الحساس الذي تلعبه داخل البناء النظري.حيث نجد الأهداف القصوى المتمثلة في تشييد حضارة تعمل على توليد حركتها بإستمرارحفاظا على مركزها.أي تجسيد حضورها العالمي وتكريسه وذلك بإرتقائها إلى مستوي الأمال والتطلعات الإنسانية.**1** إن مجهودات بن نبي في التربية ترمي إلى تقديم بديل ثقافي وإجتماعي لما كان موجودا,وهذا البديل يتمثل في بناء مجتمع تتجسد فيه سمات التحضر ويجد كل فرد فيه الضمانات المادية والمعنوية لنموه في كل طور من أطوار حياته هذه الضمانات هي التي تمكن كافة الفعاليات في المجتمع من التعبير عن قدراتها وإرادتها.أما عن الأهداف الجزئية فإنها تكون ذات صلة بالواقع الحياتي موجهة مباشرة إلى الإنسان في مختلف أبعاده.فهي تسعي إلي تشكيل الإنسان المستقبلي وذلك عبر تنمية الوعي وتربية الإرادة وإعادة تشكيل عالم الأشخاص,إن هذه الأهداف الجزئية بمثابة وسائل لتلك الأهداف القصوى (الغايات)**2**

أما عن الأنظمة السياسية فقد سعي مالك بن نبي إلى تجسيد الديمقراطية التي تعتبر في نظره السلوك الذي يطبع أسلوب الحياة في المجتمع وتكمن دلالتها في قيمة الفرد كإنسان حر وهي القيمة التي على أساسها تتحدد علاقاته بالآخرين. والديمقراطية لكي تتحقق لا بد أن يتخلص الفرد من القابلية للإستصغار والحط من قيمته وألا يقبل الإعتداء على حريته ، أئ أن يتخلص من العبودية كما يتخلص هو بدوره من الدوافع السلبية وهذا بأن لا يستصغر غيره من قيمتهم ويعتدي على حرياتهم ولقد جدد مالك بن نبي المفهوم الديمقراطي الذي يختلف عن المفاهيم الموجودة في النظم السياسية والإجتماعية الأخري.إذ يستمد مفهومها من تعاليم الإسلام,ونظرته إلى الإنسان المغايرة لتلك النظم لان ما يميز قيمة الإنسان المسلم هي صفة "التكريم"في النظام الإسلامي وهي صفة تضفي عليه شيئا من القداسة التي لا توجد في النظم الأخري ولكي تنطبع هذه القيم الديمقراطية على أسلوب حياة المجتمع وتتجسد في سلوكيات

1-مالك بن نبي:شروط النهضة (بإشراف ندوة مالك بن نبي) ت عبد الصبور شاهين و عمر مسقاوي دار الفكر دمشق سوريا ط9 سنة 2009: ص89

2-مالك بن نبي :تاملات (بإشراف ندوة مالك بن نبي) ت عبد الصابور شاهين دار الفكر دمشق سوريا .ط9 سنة 2009. 34

أفراده,يري بن نبي وجوب تطعيم الإنسان وتحصينه أي ترسيخ الشعور بقيم تقدير الإنسان لنفسه وللآخرين,لأن قيمة التكريم تفوق الحقوق السياسية التي يتمتع بها المواطن **1** في البلاد الغربية, وكذا الضمانات الإجتماعية التي يتمتع بها الرفيق **2** في البلاد الشرقية .لان الإنسان الذي يحمل ويشعر بتكريم الله له يشعر بوزن هذا التكريم في تقديره لنفسه وفي تقديره للآخرين التي تظهر في توطيد روابط عالم الأشخاص المبنية على الإحترام **3**

خصائص فلسفته :تمتاز فلسفة بن نبي بمجموعة من الخصوصيات التي جعلته من أسمى أنواع الفكر وأهمها الجمع بين الأصالة و المعاصرة,و بين التراث و التجديد. كما نجده يلح على ضرورة التغيير كونه أساس بناء الأمة و استقامة المجتمع.ومن هم هذه الخصائص نجد:

1-فلسفة ذات أصول دينية. دخل الأستاذ مالك بن نبي ميدان الدراسات القرآنية دفاعا عن القرآن وعن أولوهية مصدره و عن صدق رسالة خاتم المرسلين (النبي ص) ليجعل من القران الينبوع الدائم الذي يستمد منه فكره و آراءه،ولعل هذه الإلتفاتة المبكرة للقرآن هي التي جعلت من فلسفته أقوى فلسفة و أعمق نظرة و أشمل تصور.وهو ما دفعه إلى كتابة كتابه المشهور **"الظاهرة القرآنية"**و قد ميز بن نبي بين طريقتين في إحياء الحضارة الإسلامية، طريقة الاهتمام بالفكر و **بعلم الكلام 4**. بعد ان دخلت الدين الإسلامي عناصر خطيرة لم تكن مخلصة في دينها بل أرادت تشويه الدين الإسلامي و تحريفه. و الطريقة الاخري هي التي تهتم بربط هذا الفكر بالعمل، ويريد مالك بن نبي أن يجعل من الإسلام أسلوبا في الحياة ينظم حياة الناس في الدارين و يضمن لهم السعادتين الآجلة و العاجلة، كما يريد أن يجعل من القرآن نموذجا يقتدي به. و كان يعتبر القرآن الوسيلة الأساسية للبناء الحضاري.

ولعل المتتبع والقارئ لفكر بن نبي يشعر منذ البداية بأن الرجل منشغل بإسلامية المعارف بمعناها الصحيح المتمثل في تحرير المعارف من قيود المذهبية الماركسية و الرأسمالية وغيرهما.وقد إمتازت فلسفته بشاعة أفكاره لتشمل المجال الاقتصادي من أجل تصحيح هذه

1- المواطن :صفة تميز قيمة تعاليم الإنسان في المجتمع الرأسمالي
2- الرفيق :صفة تميز قيمة الإنسان في النظم اللإشتراكية
3- مالك بن نبي ,القضايا الكبري. ت عبد الصابور شاهين وعمر مسقاوي دار الفكر دمشق سوريا ص 48
4-علم الكلام: هو علمٌ يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانيّة، بالأدلّة العقليّة، والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنّة (التعريف مأخوذ من مقدمة إبن خلدون ،الجزء الأول. ص 485).

المحاولات المتعثرة التي يتخبط فيها المسلم اليوم حيث يقول "إن العملية الاقتصادية ليست مجرد أموال أو خبرة بل هي قبل ذلك إرتباط بأجهزة نفسية في المعادلة الشخصية لدى الفرد..و هذه المعادلة ليست من المعطيات البسيطة التي نجدها تلقائيا في الجهاز الميكانيكي الذي نقتنيه.(نشتريه)..و لكنها شيء يكتسب جنبا إلى جنب مع تكوينه و نموه الثقافي، كما دعا بن نبي إلى ضرورة التفرقة بين مفهومي" الثروة ورأس المال" اللذين كثيرا ما إختلطا في عقل الإنسان، فمفهوم "الثروة" يرتبط عنده بطبيعة المال الساكن فى المجتمع المتخلف بينما يرتبط مفهوم رأس المال بطبيعة المال المتحرك في المجتمع المتقدم, و هذا ما لخصه في كتابه : **(المسلم في عالم الاقتصاد)**

كما تمثل فلسفته منطلقا لكثير من الدراسات الجادة حول التفسير الإسلامي للتاريخ. و قد رسم نظرية كانت معالمها الأولى في **شروط النهضة** التي تبقى معلما يهتدي به كل المهتمين بفلسفة التاريخ الإسلامي و ما يقال عن فلسفة التاريخ يقال كذلك عن فلسفة السياسة. و قد ركز من خلال فلسفته على ضرورة المزاوجة بين منطق الفكر و منطق العمل بالتأكيد على الوظيفة الاجتماعية العملية. و مما يزيد في فعالية أفكاره تمسكه با المبدأ الأخلاقي و مستثمرات الإنسان لمواهب العقل و الوجدان و تكوين الإطار الإيجابي الملائم و إيمانه بأن الفرد له القدرة علي إدارة عجلة التاريخ.

إنها فلسفة ذات طابع نفساني يلخصها في القابلية للإستعمار وما خلفه من عقد نفسية تعرقل نشاط الإنسان الناتجة من الخوف أو من المرض .ومن أجل ذلك نادي بضرورة التجدد الفكري و النفسي و هذا عن طريق إيجاد منطق عملي يرتبط بفعالية الأفكار وصلاحيتها وليس بصحتها الفلسفية. فلا فائدة ترجي في نظره من فكرة مجردة تبقي حبيسة العقل ولا تعرف تحقيقا في أرض الواقع كما هو الحال عند المسلم اليوم فهو لا يفكر ليعمل بل ليقول كلاما مجردا. إن الذي ينقص أفكار المسلم اليوم هو الإرادة والتركيز اللذاين يعدان من صميم "العقل التطبيقي" ولهذا كان بن نبي يشدد على ضرورة إيجاد أفكار علمية عملية يواجه بها كل جيل ظروفه التاريخية الخاصة حيث يحاول أن يربط بين الأشياء والأفكار وبين وسائلها وأهدافها فبتعامل الإنسان المباشر مع الواقع ليكتسب خبرة تنعكس لا محالة على فكره وسلوكه

أما بالنسبة لوجهة نظره حول تقديم الواجب عن الحق فهو يري أن الواجب لا يمكن أن يفهم بمعزل عن الحق ولهذا نراه يشدد على قيمة الواجب كي تعلو على المطالبة بالحقوق وذلك من خلال تنمية الشعور بالمسؤولية. ويري بن نبي بأن القيام بالأعمال وإن كانت بسيطة والمداومة

عليها تعوُد الإنسان على تحمُّل المسؤولية وتنير له فكرة الواجب المتضمنة لمعني المصلحة العامة التي ينعكس مردودها عليه

2- فلسفة نقدية بناءة :

أ) موقفه من الفكر الغربي:

لقد كانت بداية القرن العشرين مسرحا للعلاقة العدائية بين المسلمين والغرب حيث ظهرت كتابات كثيرة من قبل باحثين إختصوا في الرد على الشبهات التي طالت الأصول الإسلامية والإنسان المسلم بصفة خاصة. ومن أبرز المفكرين اللذين عبدوا الطريق في هذا الإتجاه نجد:محمد إقبال من الهند محمد النورسي الملقب ببديع الزمان في تركيا وسيد قطب في مصر ومالك بن نبي في الجزائر.فلم يكن مالكا الوحيد الذي تناول قضية نقده للفكر الغربي ولكنه كان الوحيد الذي فهم موقعنا من الغرب وموقع الغرب منا حيث ربط بن نبي بين التحضر الإسلامي وبين حل المشكلات التي تواجه عالم المسلمين بمنطق رياضي لأن أغلب معضلاتنا الحضارية والثقافية أتت من علاقتنا المختلة بالغرب ولهذا فإن الشيء الذي يميز فكر مالك عن الفكر المشرقي وعن فكر المعركة الحديثة هو أنه وقف موقف نقديا تجاه الفكر الأوروبي مبرزا إيجابيته وسلبياته. وقد حث (مالك بن نبي) في مقالاته المتنوعة على ضرورة الإطلاع على تاريخ الغرب الديني والسياسي والإقتصادي لأن دراستنا لأصول الفكر الديني في الغرب تعود بفوائد كبيرة على الفكر الإسلامي وخاصة في مجال تفسير القرأن الكريم. فلا يعقل أن ندرس الإسلام أو القران بعيدا عن تاريخ الأديان الاخري وقد عبر في دراسته "الظاهرة القرآنية" وأثناء تحليله لموضوع الإعجاز القران.في نطاق الظرف الجديد التي يمر بها المسلم اليوم. ومن ثمة يؤكد على الربط الواضح بين الرسل والرسالات من خلال العصور ومنه إستخلص أمرا وهو أنه يصح لنا أن ندرس الرسالة المحمدية في ضوء ما سبقها من الرسالات. غير أنه وجد الغرب متنوعا في مضاهره ومتناقضا في موافقه وعلاقاته بالعالم الخارجي الإسلامي حيث صنفه إلى صنفين أو وجهين : وجه إنساني ووجه إستعماري فالوجه الإنساني أو(الغرب المتحضر) ذلك الغرب الأخر لا علاقة له بالحياة المضطربة و قد تعرف بن نبي على الوجه الحقيقي للحياة الفرنسية من خلال زوجته ومعاناته وفيها وجد صورة الغرب جميلة حيث إكتشف مفاتيح الثقافة المتوازنة المتمثلة في المبدأ الأخلاقي السليم والذوق الجمالي الراقي والمنطق العملي الدقيق والصناعة التي هي الإتقان وكذا ربط الفكر بالعمل وإحترام الوقت و الصرامة المنطقية. أما الوجه الحقيقي الإستعماري فقد جاء في صورة تحليل مالك بن نبي

لأخبث الشرور التي عرفها الإنسان وعرفها المسلم بشكل خاص وقد يصح عليه إصطلاح إسم الشيطان نراه في ذلك الأمس البعيد حينما كانت الحضارة الأروبية في موقف الأخذ الحاقد من الحضارة الإسلامية، سرقت كل كتبها و ترجمتها إلى لغاتها المختلفة (التاريخ خير شاهد) وهي اليوم تقف موقف المدمر إزاء الثقافات الإسلامية العربية حيث جردتها من كل قيمها الدينية و الثقافية وهو ما يعبر عنه حجم المعاناة التي كبدتها الشعوب العربية.إلى غاية يومنا هذا وهو ما تترجمه تلك المشاهد المأساوية التي تتكرر يوميا في بلاد الفن و الثقافة (بلاد الشام) والمشهد نفسه في بلاد الرافدين بلد العلم و الشعراء إن هذه الأوصاف التي وصف بها مالك بن نبي الاستعمار صادرة عن تجربة عاشها شخصيا وكان طرفا فيها من خلال فلسفته وقف على مخطط الإستعمار الذي يسعي أولا إلى إفساد فطرة الإنسان وجعله خائنا ضد مجتمعه الذي يعيش فيه وبذلك تبدأ شبكة العلاقات الإجتماعية في الإنحراف وفقا لما يشفي غليل المستعمر (بكسر الميم)

ب) موقفه النقدي من الفكر الإسلامي المعاصر:(الحركة الحديثة)

سجل بن نبي بعض الظواهر السلبية للفكر الإسلامي المعاصر حيث نقد التربية الأدبية التي تمتاز بالطابع الأدبي الكلامي اللفظي، فالثرثرة التي تتسم بها فقدت للإنسان فاعليته و يضعف قدرته على تقدير الأمور تقديرا صحيحا ف: بن نبي لا يريد لمجتمعه ثقافة تكتفي بالماضي من أجل تبرير ضعفه و إفلاسه وانحطاطه لأنها تجعل الحل مستحيلا . نقد كذلك شعر المدح والفخر التي تجمد الفكر و تجعله عاجزا عن اقتحام عالم الحقيقة، كما نقد كذالك نزعة الجدال و التبرير فهي لا ترمى إلى البحث عن حقائق و إنما هي براهين تقضي على الخصم. و قد ضلت هذه النزعة سائدة في المجال الثقافي بشكل رهيب جدا مما أدى إلى تعطيل العمل الثقافي. أما النزعة الكلاسيكية التي يمتاز بها بعض الأدباء فهي تسبب الإضطراب الفكري و السلوكي لأن الأديب تجعله يعيش عالمين (الواقعي و الرومانسي).مما جعل الفكر الحديث المعاصر يتكون من عناصر خالية من المضمون مأخوذة من المدرسة الاستعمارية ومن عناصر التقطتها الجامعات العربية من الوسط الأوربي التقاطا عشوائيا. فمعظم الأدباء مخضرمون.(يقصد هنا الرابطة القلمية التي تأسست في المهجر) فقد إكتفى الفكر الحديث بموجة المنتوجات الأوربية و إستهلاكها دون أن يفكر يوما في نقده. و من ثمة نجد المسلم لا يكترث لكيفية إبداع هذه المتوجات بل هدفه هو طرق الحصول عليها. فانتشر ما يسمى ب: التطور الظاهري، حيث أن الطالب المسلم لا يهتم إلا بالجانب النظري من الحضارة الغربية و بأشيائها التافهة تجاوبا مع

إستعداداته وشهواته لأنه لم يجرب حياة أوربا بل إكتفى بقراءتها أي أنه تعلمها دون أن يتذوقها. فهو لا يعرف كيف تكونت و كيف أنها في طريق الزوال نظرا لما تحتويه من ألوان التناقض و ضروب التعارض مع القوانين الإنسانية . فرواد الحركة الإصلاحية إنعدمت لديهم فكرة النهضة ذاتها بل ليس للحركة الحديثة في الواقع نظرية محددة في أهدافها ولا في وسائلها، وبعدها تحول المسلم إلى زبون مقلد بدلا من أن يكون تلميذا يتعلم كيف يبتكر وبالرغم من تأثره و إعجابه بجمعية العلماء المسلمين والدور الفعال الذي لعبته في توجيه الحركة الفكرية وصدها للإستعمار الغاشم. إلا أن بن نبي أبدى بعض النقائص إتجاه الجمعية ففي نظره فقد تخلت الجمعية عن المهمة الإجتماعية المنوطة إليها و دخولها الساحة السياسية وهو ما أغرق العلماء في وحل المطالبة با الحقوق و أهملوا الدعوة للقيام با الواجب

كما سلموا الراية إلى زعماء المزيفين المتخرجين من المدرسة الغربية بعد مؤتمر **1936 (1)** وقد سجل بن نبي هذا الإختلاف في إطار النقد العلمي من جهة ومن جهة أخري و في إطار أخلاقيات الإسلام .و لكنه يبقي مؤمنا إيمانا قويا بأن الحركة الإصلاحية الجزائرية حتى و إن أخطأت في المنهج سنة 1936 تبقي وافية لهدفها بفضل زعمائها مثل (ابن باديس) الذي شيد القاعدة التي خضعت لها الحركة الإصلاحية في المشرق.

تأثره بشخصية الشهيد حسن البنا"2

1- يقصد بها مؤتمر جوان 1936.الذي إنعقد بقاعة الماجيستيك الأطلس حاليا (باب الواد)في ظل ضروف ميتميزة داخليا وخارجيا فمن الناحية الداخلية تأسيس جمعية العلماء الجزائريين عام 1931.وكذا تأسيس الحزب الشيوعي الجزائري 1936.أما خارجيا إنعقاد مؤتمرات إسلامية مثل مؤتمر مسلمين أوروبا بجنف.شارك فيها ابن باديس إبن جلول.اهم ما جاء فيه إلغاء المعاملات الخاصة بالجزائرين.إلغاء المحاكم العسكرية والعفو عن المحكوم عليه.والمساواة بين النواب المسلمين والفرنسيين

2- تعريف حسن البنا:(1906/10/14)(1949/02/12) من مصر نموذج فريدا للزعيم الروحي والمفكر الديني والمصلح الإجتماعي والقائد الجماهري الذي إلتفت حوله مختلف الطوائف والمستويات, يمكن إعتباره مزيجا متميزا بين الفكر السلفي والروحانية الصوفية,وكان التصوف هو الجانب الروحي المشحون بالعاطفة العميقة العميقة بارزا في حياته فهو يصوم (رجب شعبان ورمضان),وفي عام 1927.عين مدرسا للغة العربية بإحدي المدارس الإبتدائية ب الإسماعلية.وفي 1949/02/12. عندما غادر جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة,إغتالته يد الغدر والخيانة ..... ولكنها لم تسطتيع أن تغتال أفكاره التى إنتشرت لتملا ربوع الأرض.إستشهد حسن البنا ولكن أفكاره ما زالت حية تنبض بها القلوب وتتوهج بها النفوس

نلاحظ إنجذاب مالك بن نبي نحو شخصية حسن البنا **2** في فكرة تحويل الشروط الواقعية (تغير الفرد) لإحداث التغير الإجتماعي و محو التخلف العام وعودة شبكة العلاقات الإجتماعية إلى فعاليتها (و نفس الأفكار أشار إليها بن نبي تقريبا) وقد أشار حسن البنا إلى أن الإنحراف الذي وقع فيه الإصلاحيين عندما عدلوا عن مشروعهم الاجتماعي لصالح العمل السياسي هو الذي أغرقهم في بحر الخطب الرنانة و موجة المطالبة با الحقوق دون الوجبات و هي الفكرة التي أشار إليها بن نبي كذالك . و قد كان حسن البنا متفاعلا إيجابيا مع التيارات الفكرية التي ترمي إلى إسلامية المعارف و التي يعتبر هو ذاته أحد روادها الأوائل و كان تفاعله واضحا مع تلاميذ الشيخ: مصطفي عبد الرزاق هذا التيار الفكري الذي إرتسمت معالمه منذ عهد الشاعر المفكر "محمد إقبال" صاحب الضمير المتمتع با العقل و العاطفة أي يميزه الفهم و ميزة الإنفعال و قد تأثر بن نبي بهذه الفكرة و التي لخصها في فكرة ضرورة التزاوج بين - العقل و القلب - وهو العنصر الفعال الذي ينقص الإنسان ما بعد الموحدين.
إن هذا الإنسجام مع ما حدث من تطورات إ يجابية في الفكر الإسلامي المعاصر كان عليه أن تيتحقق,وكان من الممكن كذالك أن تؤدي أفكار بن نبي إلى القيام بفكر إسلامي معاصر بالمواصفات التى حددها في مختلف كتبه لولا ظهور الطرق المتطرفة في العالم الإسلامي (أمثال : الإخوة المسلمين في مصر بعد الشهيد حسن البنا وظهور الفرق المتطرفة في العراق أمثال الشيعة و السنة كما شهدت الجزائر انقلاب على سياسة الحزب الواحد.)

إهتمامه بمستقبل العالم الإسلامي:

سعى مالك بن نبي من أجل لم شمل دول العالم الإسلامي قادر على تحديد نفسه ليتحول الى طاقة نشيطة و زاد أمل بن نبي حينما نظر الى أولئك الفتية من رجال الدعوة الدين جعلوا فكرة القرآن نصب أعينهم.و قد رأينا الاهتمام الخاص الذي أوله الأستاذ مالك لي حركة الإخوان المسلمين بزعامة الشهيد حسين البنا كما أولي اهتماما متزايدا لتحولات التي شهدتها إيران في عهد الخميني و الحركة الإُصلاحية في الجزائر و ثورتها التحررية فهو لم ينقص من قيمة أي جزء من أجزاء العالم الإسلامي و هذه هي الفكرة التي يعبر عنها الكومنولث إسلامي ، حيث قسم العالم الإسلامي إلى ستة أجزاء رئيسية و هي العالم لإسلامي الأوربي العالم الإسلامي المغولي الصيني العالم الإسلامي الماليزي العالم الإسلامي العربي ولكل هذه العوالم دور فعال في تحقيق الوحدة الإسلامية المنشودة.

ومن خلال إستعراضنا لفلسفة مالك بن نبي وما تملكه من خصائص يمكننا أن نستخلص عدة نقاط هامة،والتي تتمثل فيما يلي:

- **ممارسة النقد البناء** : لأن قيمة النقد تتجلى في فعاليته و لذلك فمن شروطه أن يكون الناقد مخلصا صاحب الكفاءة العالية للحكم.

- ***ممارسة النقد الذاتي*** : الذي يقوم بوظيفة تطهيرية و أخلاقية في نس الوقت لكي يعيد ادماج الفرد داخل الكيان الاجتماعي.

- ***الابتعاد عن الإطناب و المدح***: الذي من شأنه أن يمهد الفكر و يقدس الأفراد.

- ***ضرورة وجود الفرد*** و حضوره الواعي المتفاعل داخل الأسرة و المجتمع ثم قومه و وطنه.

- ***ربط بين العمل و الفكر***.

- ***التخلص من القابلية للاستعمار و من فكرة السهولة و الاستحالة***.

- ***عدم الاندفاع إلى تغيير الأنظمة قبل تغير الفرد***.

الفصل الثاني:

التخلف وأسبابه

الأسباب الداخلية: القابلية للإستعمار

تشخيص معني القابلية للاستعمار عند بن نبي:-

لا يمكننا أن نفهم حقيقة مشكلات العالم الإسلامي دون فهم مشكلة الانحطاط الحضاري العام الذي إرتبط بمسار الأمة الإسلامية فى الأزمنة المتأخرة ، وبذلك نجد أنفسنا مصنفين في إطار التخلف: فالتخلف عند بن نبي هو فساد الطبقات الاجتماعية، السياسية و الثقافية و توقف المجتمع عن الحركة والنشاط والفاعلية مما يعيق عملية الإقلاع الاقتصادي والثقافي والسياسي، فيصبح المجتمع بدائيا ومن ثمة تصاب العلاقات الإجتماعية بالارتخاء و تصبح عاجزة عن المحافظة على تماسك وحدتها العضوية,وهو إيذان بالمجتمع السائر نحو الإنهيار والتقهقر. وأن فهم مشكلة التخلف الحقيقي ليس من جانبه المادي الإقتصادي و إنما بدراسة جذوره التاريخية وأسبابه الكامنة والمتمثلة في العوامل النفسية والسياسية والاجتماعية للإنسان لأن التخلف الاقتصادي والضعف المادي وفشل مشاريع التنمية والتبعية الاقتصادية إنما هي أعراض للمرض الحقيقي.**1** والتغيير لايكون إلا إذا تمكننا وتوصلنا إلى فهم أسباب وعوامل الانحطاط، والوقوف عليها ودراستها. إلى جانب دراسة شروط التقدم, وبذلك نستطيع أن نقف على منهج عملي موضوعي للتغير الجذري لظاهرة التخلف . ولهذا ألح بن نبي على ضرورة دراسة الظواهر الإجتماعية مع تحديد أسبابها. وقد سخر بن نبي كل طاقته المادية والمعنوية من أجل تنبيه المجتمع العربي إلى أسباب تخلفه وتحذيره من مخاطر نتائجه (التخلف)

إن أمر العرب والمسلمين غريب جدا، فمن جهة نجدهم يمتلكون كل مقومات الانطلاق والبناء الحضاري والمنهج القويم والإمكانيات المادية الكافية.بما فيها الثروات الطبيعية، ومن جهة أخرى نجدهم يحتلون المراتب الأخيرة من حيث التقدم والإزدهار**2** فتخلف أي مجتمع ظاهرة إرادية نابعة من المجتمع نفسه مما يفرض الدراسة والبحث الجاد في ذاته (المجتمع) عن أسباب انحطاطه وتخلفه.وهي الفكرة التي أشار إليها من قبل أرلوند تومبي الذي يقول

1-مالك بن نبي: ميلاد مجتمع ترجمة عبد الصابور شاهين دار الفكر دمشق سوريا ط9 ص: 42
2- نفس المرجع السابق ص 46/45.

إتهام العقلية المسلمة بالتخلف بسبب التحجر والجمود قول فيه تجاوز ذاتي كبير و قول بعيد كل البعد عن الواقع لأن العقلية الشرقية التي تصنفونها في درجة أقل من العقلية الغربية قد نبغ فيها من تحدي الغرب في الكثير من الإنجازات الإبداعية وهي إسهامات أبهرت العالم الغربي في كل الميادين الثقافية ,الفلسفية للعلمية.....إلخ أمثال ابن سينا،الرازي،الطبري،ابن رشد..فالتخلف عند المسلمين تعفن أكثر ما هو تحجر 1

وقد ركز بن نبي في تأملاته التاريخية والاجتماعية على وجوب دراسة وتشخيص الأمراض النفسية من خلال عمل نقدي ذاتي دقيق . وقد توصل مالك بن نبي إلى تشريح نفسي إجتماعي لإنسان مابعد الموحدين المريض الذي أورثنا الكثير من أمراضه **2** .

ويزداد الأمر تعقيدا وتفاقما للمشكلة إذا كان صاحب الحضارة المهيمنة (مثل سياسة فرنسا) يدرك ذلك المرض ويحرص على بقاء الأمة في حالتها المرضية. بل ويسعى لتنمية جراثيمه فيها مما يمهد له الطريق للإستعمار. لكن هذا الغزو لا يؤثر إذا كان احتلالا للأرض ونهبا للثروات لأن هذا يكون مؤقتا وهو ما يسميه بن نبي(عالم الأشياء) وهو عرض زائل يمكن تفويته بسهولة كما حدث لألمانيا بعد غزو الحلفاء لأراضيها بعد الحرب العالمية الثانية . حيث سرعان ما استعادت مكانتها. لكن المشكلة الكبري تكمن في الخلل في التركيب النفسي والاجتماعي الذي يصاب به المجتمع في أعماقه, لأن المسألة هنا أكثر تعقيدا ، لأنها تولد القابلية للإستعمار كنتيجة لذالك للخلل النفسي والاجتماعي الذي أصيب به المجتمع وتمثل المشكلة الأكثر خطورة **3** وقد أرجع مالك بن نبي أسباب تعشيش القابلية للإستعمار في البدان الإسلامية إلى عدة أسباب تعود بالدرجة الأولي إلى تلك العقلية المتحجرة التي يمتاز بها الإنسان المسلم والتي تعود بالدرجة الأولى إلى :

1- الخلل الفكري أو النفسي :

لقد ألح بن نبي على مشكلة الأفكار أو الأزمة الفكرية حيث أظهر أن تخلف أي مجتمع غير مرتبط بنقص في وسائله المادية أو في عدد أشخاصه وإنما بافتقاره للأفكار التي تعطيه الفاعلية

1-أحمد قائد: التخلف لماذا؟ والتقدم لماذا؟ ط 1 دمشق دار الفكر 1986 ص 41
2-مالك بن نبي. وجهة العالم الإسلامي ترجمة عبد الصابور شاهين. دار الفكر سوريا ط9 ص: 37.
3- نفس المصدر السابق ص: 93.

فلا يمكن لأية وظيفة أن تتحقق دون أن تتوفر الأفكار الحية التي توجه السياسة والاقتصاد بخطط تنمية ناجحة **1** فالمشكلة تكمن في عالم الأفكار وليس في العوالم الأخرى لأن أي خلل يطرأ على علم الأشخاص أو الأشياء هو نتاج خلل في عالم الأفكار. وبملاحظة قوانين سير التاريخ يلاحظ بن نبي أن نقطة الإنطلاق في التغير يجب أن تحدث على مستوى أفكارنا ولهذا تؤكد إحدى الدراسات التي تناولت استراتجية التغير التي رسمها الليبراليون في انجلترا أن معركة التغير الحقيقي هي معركة أفكار والحسم النهائي بين أيدي المثقفين و المفكرين وليس بين رجال السياسة الذين هدموا مجتمعاتنا حيث لا تفاهم ولا تفاوض إلا بلغة السلاح و البارود**2** . وقد اتجه مالك بن نبي انطلاقا من قناعته هذه إلى أن دراسة نظام الأفكار من خلال رؤيته الحضارية الشاملة المرتبطة بالتاريخ الإسلامي حيث لاحظ أن نظام الأفكار في العالم الإسلامي يقوم على نوعين من الأفكار حيث نجد الأفكار المميتة **و**هي الأفكار الأصلية المنطبعة في أصول و مبادئ الثقافة الإسلامية وهي أفكار يتبعها الأجيال عبر مراحل الزمن المختلفة و يشبهها بالتوافقات و كانت الأولى في عهد الرسول و خلفائه والتي كانت تسمى أفكار التأسيس في مرحلة الروح ,حيث انعكست على جوانبهم الفكرية والنفسية وقامت عليها تناغمات الأفكار المطبوعة في العهد الأموي و العباسي حيث عرفت الحضارة الإسلامية أزهى عصورها وأوسع انتشارها.**3** لكن الأمر تغير تماما حيث تراجعت الأمة الإسلامية إلى أدنى المستويات ودخلت في غيبوبة فكرية وانزلقت إلى أدنى المستويات من الضعف و التخلف الاجتماعي حيث خالفت مبادئ القرآن وانتشرت كل مظاهر الفساد الناتجة عن التأويل الخاطئ لمعظم أيات القرأن الكريم وظهر ما يسميه بن نبي ب: **<u>الأفكار المُميتة</u>** التي تولدت عن خذلان المسلمين للأفكار المطبوعة، وهي أفكار تعكس مظهر الجمود الفكري و التقوقع و الخرافة وتتجلى خطورتها في أنها تخدع جهاز المناعة داخل الجسم الاجتماعي وهي حصيلة أفكار ورثناها من مجتمع ما بعد الموحدين وقد أطلق عليها بن نبي إسم الأفكار المميتة **4**

1-مالك بن نبي: مشكلة الثقافة ترجمة عبد الصابور شاهين دار الفكر دمشق سوريا ط9 ص:36.
2-مالك بن نبي .مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي .ت:عبد الصابور شاهين دار الفكر دمشق ط9. ص: 125.
3- د- بشير قلاتي :هكذا تكلم مالك بن نبي (نحو منهج رشيد للتغير الاجتماعي) مكتبة إقراء-قسنطينة 2005. الجزائر ص: 125

4- يمكن أن نعطي أمثلة عن الأفكار المميتة بما كان يروج له بعض الرجال الطرفية في الجزائر إبان الإستعمار من وجوب الخضوع للإستعمار باعتباره قدر محتوم أو قولهم "نأكل القوت وننتظر الموت" كشعار في الحياة .

أو القاتلة ذلك لما تحملها من عدم التناسق و التجانس بين الّذهنيات حيث يتم نقلها من إطارها الثقافي للعالم الغربي (أوروبا) لتزرع في أوساط مجتمعاتنا و تلقن لعقول أبنائنا مما يؤدي إلى تسمم العقول و اضطرابها حيث يولد حالة من الاضطراب كما يشبه حالة التجلط التي تحدث لجسم يحقن بدم من فصيلة مختلفة , فتؤدي الأفكار المميتة إلى حالة الشلل الذهني و حالات الاستسلام و ربما اليأس وهو مظهر القابلية للاستعمار .أما الأفكار الميتة فتؤدي الى حالة من الاغتراب و التبعية والشعور بالنقص والقصور والارتماء في أحضان الأخر في أفكاره وسلوكه وهو من أشد مظاهر الإستعمار**1**وكان للأفكار الميتة أثارها على عقل المسلم فيما يعانيه من أزمة متعددة الجوانب حيث المشكل يكمن في العقل نفسه ومن ذلك أصبح أسير السطحيات وكثير التسرع في الأحكام حتى أضحى عاجزا عن إدراك حقيقة الظواهر' فغفل عن فهم آيات القرآن الكريم و أحاديث السنة فاكتفي بإستظهارها شكليا دون فهم محتواها. و لما اصطدم بحضارة الغرب انشغل بمعرفة الحصول عليها دون أن يكلف نفسه عناء البحث في كيفية إبداعها**2**

لقد أصبح المسلم أسيرا لشهواته يلهث وراء اقتناء و تكديس الأشياء ,ظنا منه أنه يبني بذلك حضارة من خلال إستيراد أشيائها التي أبدعتها عقول لا علاقة لنا بثقافتنا.وقد أصبح اليوم حتى العلم نفسه أسير الشكليات و نيل الألقاب و الشهادات ووسيلة للتباهي.ولعل ما يثبت صحة قولنا تلك الدراسات التي قام بها "زكي نجيب محمود" فقد اتبع منهجا تجريبيا اختار على أساسه فترات من عصور التاريخ، حيث لاحظ حضارات ازداد فيها النشاط الاجتماعي و الإنتاج الثقافي العلمي. و أخرى خمل فيها هذا النشاط. وقد إختار طائفة من البلدان المتحضرة و طائفة أخرى من البلدان المتخلفة، و توصل فيما بعد إلى النتيجة التالية (بعد عشرين سنة من المراقبة):كلما ازدادت مواد المطالعة الفكرية التي تبعث على العمل و الأمل جاءت النتيجة بعد ذلك زيادة في النمو الإقتصادي والثقافي و كلما نقصت نسبة المطالعة الناتجة عن الخمول والكسل انهارت البلاد أخلاقيا وتقهقرت اقتصاديا وأن المجتمع يكون في أعلى درجاته حينما يكون الولاء للأفكار التي تشكل المحور الذي يتمركز حوله عالم الأشياء. **3** وحين ينحرف

1- مالك بن نبي /مشكلة الثقافة ت: ع.الصابور شاهين دار الفكر دمشق ط9 ص :148

2 - مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي. ترجمة عبد الصابور شاهين دار الفكر دمشق سوريا ط 9 ص 139

3- مالك بن نبي "الصراع الفكري في البلدان المستعمرة" ترجمة عمر مسقاوي دار الفكر دمشق سوريا ص:137.

الامر فيسقط الفكر في دائرة السطحية و الانغلاق يسود الترف وتقديس المادة والسلطان ويصبح هم الفرد تلبية شهوات بطنه ثم يسقط المجتمع في دائرة التخلف **1** و نتيجة لطغيان هذه الافكار على نفسية الفرد المسلم يتولد عنه ما يلي

العجز عن التفكير والعمل: المشكلة هنا حسب بن نبي تتعلق بتلك الافكار التي سكنت في أذهان ومخيلة المسلمين الناتجة عن الأفكار الميتة التي لا تحقق أهدافا في الواقع لأن الأمر يتعلق بذلك العامل الذي لا يبذل الجهد الفكري حيث مظاهر العجز تتجلى في المقاهي والأسواق وحتى بعض المصلحين وللأسف يكتفون بتلقين بعض الأطفال دروسا وفقا لمناهج لا علاقة لها بالإصلاح. وما كلمة إصلاح سوى طابع ألصق على وجه النشاط المنقطع الصلة بالفكرة النظرية لأن العلم الذي اقتبسناه من جامعات الغرب لم يعد وسيلة للتقدم العلمي بقدر ما كان طريقا إلى المظهرية و أقرب دليل على إنعدام فاعلية هذا العالم الإسلامي حيث لم يتكون فينا حتى الآن وجه من تلك الوجوه الخالدة في تاريخ المعرفة الإنسانية. فمشكلة المسلم تكمن في نفسيته بحد ذاته. فحتى الفقراء الذين يعانون فعلا من الفقر, نجدهم قد أنفقوا في ليلة واحدة أكثر من مائتي ألف فرنكات ما بين الألعاب السحرية وألعاب القمار.كما أن النسبة ترتفع في الحفلات الرسمية ومهرجانات الزواج والختان والمأتم وهي مناسبات تحدث نزيفا ماليا رهيبا. ومن أبرز الأمثلة على ذلك ميزانية وفد الجامعة العربية إلى الأمم المتحدة عام 1947 الذي أنفق فيها ما يقارب نصف مليون دولار خلال إقامته بباريس وبكل أسف لم تنجح في نشر أي وثيقة لفائدة الشعب الفلسطيني**2** الذي يعاني من ويلات الاحتلال الصهيوني حتي يومنا هذا

الشلل الاخلاقي: إن أخطرمرض أصاب المسلمين هو الانفصام بين النموذج القرأني والتطبيق العملي،فقد انعدمت الدوافع الاساسية التي تحرك ضمائر المسلمين.**3** ويلخصها قول الشاعر الفرزدق للحسين بن علي واصفا اهل العراق **(قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية)** وقد بدا ضمير المسلم يتهرب من الحقائق (حركة الخوارج والمعتزلة مثال على ذلك) **4** ولكن هذا المرض ازداد تفشيا في مجتمع ما بعد الموحدين.فأصبح المسلم نتيجة لغروره لا يحاسب

1-مالك بن نبي : .وجهة العالم الإسلامي بإشراف ندوة مالك بن نبي) ت:عبد الصابور شاهين،دار الفكر –دمشق-سوريا .ط 9 ،سنة 2009ص:91-129 .

2-د-/بشير قلاتي: هكذا تكلم بن نبي ص: 129 .

3- مالك بن نبي: مشكلة الافكار فى العالم الاسلامى (بإشراف ندوة مالك بن نبي) ت:عبد الصابور شاهين،دار الفكر – دمشق- سوريا .ط 9 ،سنة 2009. ص214.

4- مالك بن نبي: وجهة العالم الاسلامي:114.

نفسه ولا يعترف بأخطائه.وكان من هذا الأنفصام الأخلاقي أن المسلم يحمل أفكارا صحيحة ولكنه لا يستطيع تطبيقها في الواقع .فالمسلم يحمل القرأن ولكنه لا يستفيد منه كثيرا ولا يطبقه في حياته اليومية.ومن الامثلة عن هذا الخلل نجد : مرض السهولة حيث يميل المسلم في تقويمه للأشياء إما للعلو عليها أو للحط من قيمتها، ويتمثل هذا في نوعين من الأمراض،فإما أن الامور سهلة جدا لا تحتاج إلى تعب وكد وفكر،والحل بسيط، وابرز مثال على مرض السهولة قضية فلسطين فقد قيل:إن إخراج اليهود من فلسطين سيتحقق بعد أشهر فقط،ولو نفخنا عليهم نفخة واحدة لطاروا،ولكنهم في الحقيقة لم يطيروا، وهناك من يظن أنه بخطبه الرنانة تحل مشاكل المسلمين، وبعضهم يكره أن تدعوه إلى تفكير عميق في موضوع ما من الموضوعات و يكتفي بتفسير سطحي،فعندما تخطط السياسة طبقا لمبدأ السهولة فإنها سوف تجتذب إلى تيارها أكبر عدد ممكن من النوايا الطيبة والحسنة،اللذين يقدرون الأشياء بناء على سهولات لا على صعوبات المستقبل فهم يستخدمون كلمات مثل الاستعمار والوطنية للتغرير بالشعوب،وهي كلمات ملائمة جدا لتشحيم المنحدر حتي يكون الإنزلاق عليه ميسورا جدا.**1**

ذهان الاستحالة: وقد يحدث العكس،فيرى المسلم أن الأمور مستحيلة ويقف أمامها عاجزا،وهي في الحقيقة غير مستحيلة ولكنه يضخمها عمدا حتى لا يتعب نفسه في الحل.**2** وقد تجد اليوم بعض المسلمين الذين ينتظرون (معجزة الرجل الوحيد) كأن يأتي صلاح الدين أخر ليوحد شتات المسلمين من جديد ويعتقدون استحالة أية محاولة لإستئناف حياة إسلامية

طغيان الأشياء:عندما يكون مجتمع ما في حالة نهوض يجب أن يحقق الانسجام والتوازن بين العوالم(الأشياء والأشخاص والأفكار)ولكن في الحقيقة تجد أن نزعة (الكمية) هي المسيطرة.عندما تريد مثلا إحدى المصالح الحكومية تجهيز مقرها، فإنها تزوده بعدد خيالي من المكاتب والمسؤول الكبير يجب أن يكون في غرفته أربعة تلفونات وعدة اجهزة للتكييف الهوائي

طغيان عالم الاشخاص: طغيان عالم الاشخاص عند مالك بن نبي يظهر في إيمان الناس بالأشخاص أكثر من إيمانهم بالمبادئ أو الفكرة فهم يرون أن إنقادهم من الحالة التي هم عليها يكون ب (البطل القادم) الذي ينتظرونه دون أن يقوموا بجهد يذكر وقد لا يكون هناك رجل

1- مالك بن نبي: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة . بإشراف ندوة مالك بن نبي .ت عمر مسقاوي دار. الفكر دمشق سوريا ط9. .سنة 2009. ص 27
2- مالك بن نبي : وجهة العالم الاسلامي: ص 80

القدر ولكن (رجل النحس)الذي نلقي عليه كل ضعفنا وفشلنا ،وبدلا من أن نتدبر الأحداث ونبحث بطريقة أعمق عن الأسباب الحقيقية لفشلنا،فإننا نلصق التهم (برجل النحس)**1** وقد ركز مالك بن نبي في اكثر كتبه على هذا المرض وطالب المسلمين بشكل عام والشباب بشكل خاص بأن يتحولو من الارتباط بالشخص إلى الارتباط بالمنهج،لأن هذا الشخص مثل الرأس الذي يقود عربات القطار،فإذا انحرف (الشخص) انحرف القطار كله **2**

<u>طغيان الافكار:</u> إن طغيان عالم الأشياء وعالم الأشخاص هو الذي يولد حتما طغيانا في عالم الأفكار،فعندما يكون المجتمع في حالة مضطربة،فلا هو في بداية دخول الحضارة ولا هو خارجها،ففي هذه الحالة قد يفقد القدرة على عملية التكيف مع الوسط الاجتماعي ولا يستطيع أن يقوم بعمل مثمريرضي ضميره،عندئذ يلجأ إلى البحث في الأفكار المجردة،وبدل أن يتكلم عن معاناة الناس ومشاكلهم والتخطيط لمجتمع أفضل فهو يتكلم عن الماضي الذي ليس له صلة بالحاضر وتدفع المطابع كل يوم العشرات من الكتب التي لا تمس الواقع المعاش،بل هي هروب مفتعل من الواقع وقد يبلغ الخلل في عالم الافكار إلى درجة أن يعرقل المبادرات والجهود وهو ما يسميه ب "الأفكار الميتة" **3** ولا شك أن هناك كثيرا من الأفكار خذلت أصحابها لأنها لاتحمل أصولا صحيحة، فكم أهدر(ضيع) العرب من الوقت في جدل ومناقشات عقيمة وكم عاش المسلمون متأثرين بأفكار الصوفية التي تدعوإلى البطالة والزهد غير المشروع.**4**

تلكم هي المأساة التي شاءت الأقدار أن يمشي وفقها المجتمع الإسلامي الهرم الذي لم يعد قادرا على بذل الجهد الكافي لنهوضه وما الشلل الاجتماعي إلا نتيجة الشلل الفكري , الذي دخل في دائرة مغلقة,حيث تخلى المسلمون عن كل ما يدعو إلي التعقل والتفكير .فليس لدى العالم الإسلامي مجامع فكرية تشرف على توجيه الحياة الأدبية و توثيق الصلة بين مدرسة الغزالي و ابن رشد . فكل نشاط عملي له علاقة بالفكر فمتى إنعدمت هذه العلاقة اضطرب النشاط وعندئذ يكون تقديرنا للأشياء تقديرا ذاتيا أعمى كما كان الحال في قضية فلسطين .

1-وهي التسمية التي أطلقها المصريون على المقدم السوري حيدر الكزبري،أحد أبرز الضباط المشاركين بإنقلاب الإنفصال في ليلة 09/28 1961 على الرئيس جمال عبد الناصر وبذالك إنفصال سورية عن مصر
2- مالك بن نبي: مشكلة الافكار في العالم المعاصر ، ص 104./44.
3-نفس المصدر السابق ص 106.
4-مالك بن نبي :وجهة العالم الاسلامي، ص 131

ولقد ركز المسلمون على قواعد من الضروري ذكرها لأنها مبادئ أدخلت العالم الاسلامي في دائرة التخلف,و لا تزال تسيطر على أذهاننا إلى غاية اللحظة فنحن

:لسنا بقادرين على فعل شيء لأننا جاهلون.

لسنا بقادرين على أداء هذا العمل لأننا كسلاء
لسنا بقادرين على شراء هذا المنتوج لأننا فقراء .
لسنا بقادرين على تصور هذا الأمر لأن الاستعمار في بلدنا .**1**

إذن فنحن فقراء لأننا لا نحمل في جيوبنا حلا لعلاج هذا الوضع باستخدام الوسائل المتاحة لنا إستخداما مجديا. لأنه وببساطة أضحى اليوم العالم الإسلامي خليطا من بقايا موروثة عن عصر ما بعد الموحدين وهو خليط لم يكن نتيجة للتخطيط الواعي ، وإنما بقايا من الرواسب قديمة لم تصنف لا ضمن الطابع القديم ولا ضمن الثقافات الجديدة فلا وجود لأي رابطة منطقية بين هذه الثقافات. فهو خليط من الأذواق ومن التناقضات لأنه اختار الطريق الذي يلبي له ما يريد من أشياء دون البحث عن كيفية الحصول عليها، فمضمون التعليم في الجزائر مثلا هو المضمون نفسه منذ قرون**2** فقد كان يستهدف الغايات دون أن يطلب الوسائل إذ أن القاسم المشترك بينهم وبين ستة قرون مضت من الانحطاط هو ذلك الخليط الناتج من رواسب متوارثةمن الفوضى المتكونة من عناصر يصعب هضمها تنفجر في صورة تنافر عنيف يمكننا ملاحظته حينما نتأمل العباءة والجلباب بجانب سيارة فاخرة من آخر الاكتشافات، هذا الفرق الكبير نراه عند ذلك الرجل من الطراز القديم ذي عمامة كبيرة جالسا على منضدة إحدى الخمارات.

أمثلة شديدة الإبهام تعطي لنا فكرة عن الفوضى و المنعرج الخطير الذي اتخذه العالم الإسلامي: مجتمع لا يعرف عن شروط الاقتباس أي شيء أخذ عن الغرب أشياء دون أدنى مقياس **3**

***1-*مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ت عبد الصبور شاهين "دار الفكر" دمشق، سوريا ط9ا ص: 88.**
2-مع العلم أن قطاع التربية في الجزائر طرأ عليه تغير وهو ما يسمي ب إصلاح المنضومة التربوية.واول بكالوريا التغيير كان في جوان 2008
3- مالك بن نبي :نفس المصدر السابق ص:65-68-70

2- *الخلل الاجتماعي:*

يرى مالك بن نبي أن المشكلة الأساسية في أصل الخلل الاجتماعي لا تكمن في العقيدة الإسلامية، وإنما يعود إلى علاقة المسلمين بعقيدتهم ,أي فقدان العقيدة لوظيفتها الاجتماعية وهذا بداية بعصر ما بعد الموحدين حيث سيطرت الغرائز على عقولنا وأصبح العالم الثقافي يتمحور حول عالم الأشياء**1** . وأن من المعروف تاريخيا أن الترف أساس لخراب العمران و اندثار المجتمعِ فا لعقيدة موجودة في الإطار النظري كمبادئ و أسس ولكنها كسلوك عملي و فعالية في الواقع تكون مفقودة في المجتمع الإسلامي .وهو ما يشكل أزمة ثقافية خطيرة..تعاني منها المجتمعات الإسلامية مما أدي إلى تحليل الشبكة الاجتماعية التي يقوم عليها المجتمع و بالتالي تؤدي إلى تفككه و انهياره ،وبالتالي انهيار القيم النفسية و الاجتماعية ،و أصبح المجتمع يعج بالجراثيم و أمراض ما بعد الموحدين والسبب في ذلك الانفصام التام بين العقيدة و مبادئها الروحية , و بذلك أضحت العقيدة شعارا خاويا لا روح فيه تحولت إلى وسيلة للخلاص الفردي بالعزلة و التقشف و هو ما أدى إلى ما اعتبره بن نبي شللا أخلاقيا كأخطر نتيجة وهو ما أطلق عليه بظاهرة التخلف . وما الشلل الفكري إلا نتيجة للشلل الاجتماعي. **2** وقد أصبحت قيم الحضارة الإنسانية بما فيها (الزمن و التراب والإنسان) عناصر خاملة لا صلة بينها، إنسان خامل، زمن ضائع، تراب بائر، والإنسان بنفسه أضحى خامدا لا إشعاع فيه، وأصبح المسلم لا يشعر بمسؤولياته مع إخوانه بعد أن كان يمثل الرجل المتدين حامل رسالة النور و الحضارة أصبح فاقدا لدوره الاجتماعي وهو ما لاحظه بن نبي شخصيا في موسم الحج و في لحظات يبلغ فيها المسلم أقصى إيمانه وتقربه لله نجد بعض التصرفات تصدر عن الحجاج من انحرافات سلوكية **3** ومن المفارقات أن تجد من المسلمين من يهتم بأداء واجباته الدينية كاملة تامة. فيؤدي الفروض كاملة الأركان و الشروط ،في حين نجده يهمل واجباته تجاه أسرته أو سوء معاملة جيرانه أو تبذير وقته أو رمي القارورات في الطريق مع إلحاح شديد ومفرط للمطالبة بحقوقه، و المشكلة هنا أن الفرد يعتقد أنه كامل في انتمائه الديني بمجرد أداء الشعائر غافلا عن أبعادها النفسية و الاجتماعية التي أكد عليها الله و رسوله في نصوص

1- نفس المصدر السابق ص : 54
2- بشير قلاتي : هكذا تكلم بن نبي(نحو منهج رشيد للتغيير الاجتماعي) مكتبة ص :135
3-مالك بن نبي: ميلاد مجتمع (بإشراف ندوة مالك بن نبي) ترجمة عبد الصابور شاهين دار الفكر دمشق –سوريا- ط 9 .سنة 2009 .ص137، 153

كثيرة لقوله تعالى. **"اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ 1"** والمشكلة في المسلمين أن هناك من يقتنع عقليا بخطأ سلوكه و تعارضه مع ما يمارس من عبادات، و رغم ذلك فهو يتمادى في انحرافه وهي ظاهرة اجتماعية منتشرة في المجتمع الإسلامي، فالمجتمع مثل الآلة التي تتوقف حركتها تدريجيا لقلة ما فيها من وقود و كذلك المجتمع، فإذا ضعفت الروح يشكل ذلك إنذار لتوقف المجتمع و تقهقره وهكذا يفقد المجتمع شرعيته حينما يصاب العقل بالجمود لأن الأفكار الحية تفقد مصداقيتها في المجتمع المريض مثل تلك الأفكار التي أبدعها ابن خلدون ولم تجد من يفهمها حتى اليوم . وهكذا تتفكك شبكة العلاقات الاجتماعية لأن المجتمع فقد التواصل بين المواهب المختلفة حتى أصبح في مجتمعاتنا ثقافات لا ثقافة واحدة فبينما نجد الطبيب في القمة، نجد الراعي في قمة أخرى لا نعلم أي رابط يجمعهما .خلافا لما نلاحظه في المجتمعات الغربية وهذا مظهر لأزمة الثقافة في مجتمعنا و هو تفكك ناتج عن خلل في شبكة العلاقات الاجتماعية وهو احد عوامل تكوين البناء الاجتماعي لقد أصبحت الأمة تهتم بالشكليات على حساب الأفكار وهو ماينذر بالتفكك والإنهيار، وهي الفكرة التي تنبأ فيها ابن خلدون بخراب العمران. و تسلل الشلل إلى الجسم الاجتماعي الذي أصاب عالم الأفكار لإنفصاله عن العمل. وأصبح المسلم يتكلم بمقتضى القرآن و لكنه لا يعمل به، يقول كلاما مجردا ولا يحرص على إحالته إلى مشروعا عمليا وحين ينفصل الفكر عن ضروب النشاط يحدث الاضطراب و العلاقة بين التفكير و العمل علاقة إنفصال كما هو حاصل في مجتمعاتنا وبذلك أصبح تقديرنا للأشياء تقديرا ذاتيا وهو ما يؤدي إلى الانفعالية التي تمس عالمنا الثقافي وأدت إلى فساد الطاقات الاجتماعية فأصبحت عناصر الحضارة عناصر خامدة فالعقم الاجتماعي العام سببه نقص المنطق العملي لأن المسلم لا ينقصه منطق الفكر بقدر ما ينقصه منطق العمل والحركة **2** .

إن المسلم اليوم أمام تحد خطير لأنه خرج من حضارته حاملا معه جراثيم وأمراض مجتمع وهي أمراض أثرت في مستواه الفكري والخلقي و في طريق تقهقره يولد أدوات جديدة يضيفها إلى رصيد تخلفه الناتج عن السياسة الاستعمارية سواء كان مباشرا وهو الاستعمار القديم (عن طريق الغزو) أو غير مباشر وهو الاستعمار الجديد الذي يظهر في استخدام مختلف

---

1 – سورة العنكبوت الاية 45
2- مالك بن نبي :وجهة العالم الإسلامي ص:60

وسائل التتبع الاقتصادي كالشركات الكبرى و البنوك العالمية عبر وسائل الاتصالات الرهيبة التي ترسل عبر الأقمار الصناعية وعن شبكة الأنترنت التي أخضعت الطاقات الحيوية لمنطق الغرائز مما أدى إلى تفكك شبكة العلاقات الاجتماعية كما يؤكده الرسم البياني التالي : **1**

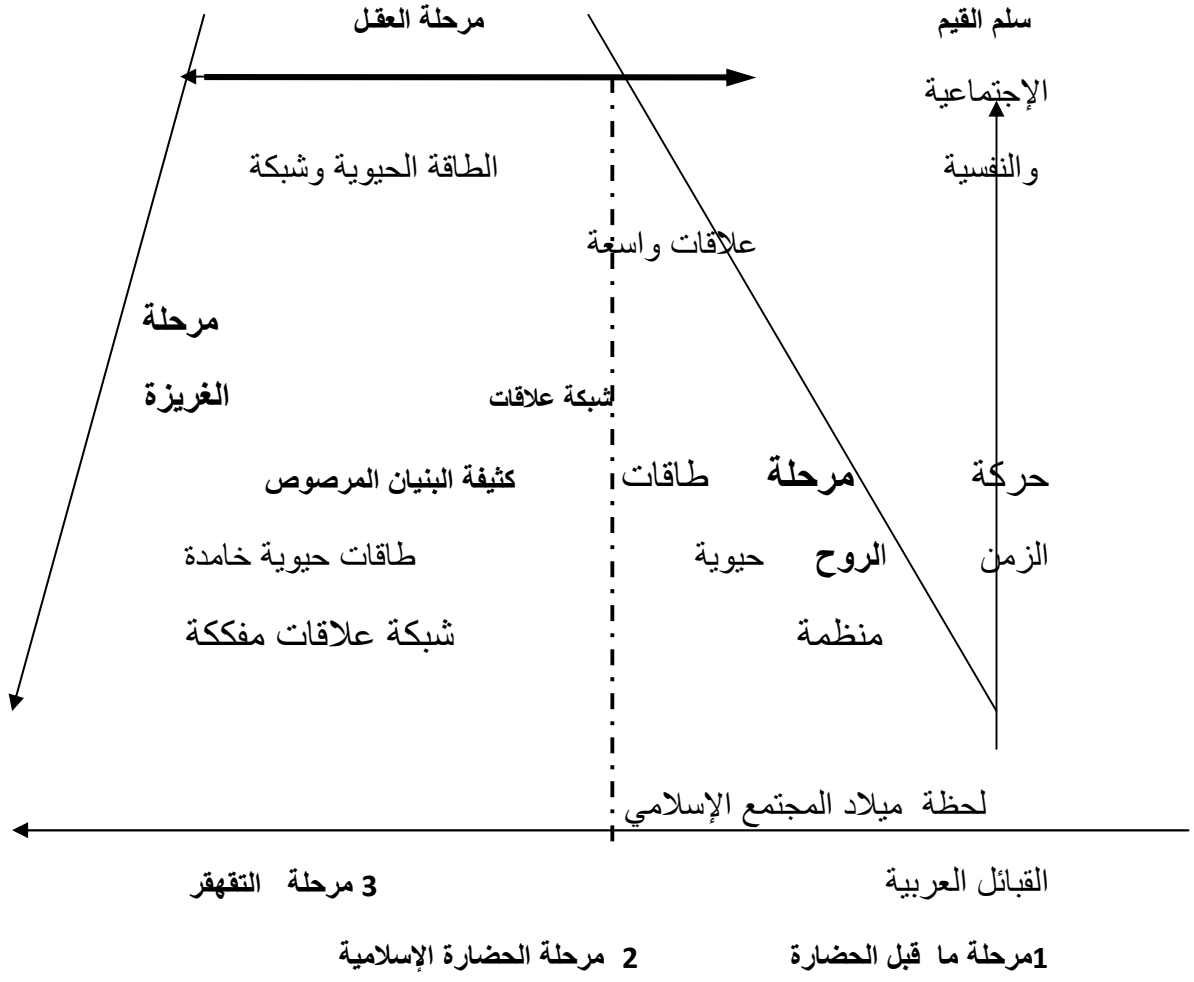

, فلو أمكن لنا أن نقوم بإحصائية للأفكار التي أدت إلى الكوارث الاجتماعية لوجدناها لا تحصى ، حيث أن المسلمين كانوا يؤمنون بأفكار خرافية كأن الأرض قائمة على رئس ثور فمثل هذه الفكرة البسيطة والتي تحمل معنى خطيرا، نجدها تكبل المبادرات و الجهود والإستسلام للفشل.ثم يليها خلل في عالم الأشياء التي فقدت التجانس فيما بينها، فلا تؤدي أغراضها ولا وظائفها أو ربما أحدثت الكوارث. مثلما هو الحال لدى أفكار المتطرفين

1-مالك بن نبي :ميلاد مجتمع، ص:76

المسلمين، فالمشكلة إذن هي مشكلة الأفكار التي أثرت على المجتمع بحد ذاته لأن مظاهر التخلف تظهر في جميع مستويات الطبقة الاجتماعية (المثقفين ، العمال ، الفلاحين)**1** حيث المثقف معقد بمكانته الإجتماعية المرموقة والفلاح معقد بمكانته الاجتماعية المحقورة وقد أصبح الإنسان مرتبطا بالغريزة و ملوث بأوساخها في شتى مظاهره ,حيث نستورد الآلات والمنتوجات و المعتقدات ونكدس المنتوجات المادية في حين أن التفكير لا يُستورد بل هو إبداع و خلق، وأن التفكير السليم من المفروض أن يقاس بمقياس الفعالية و الموضوعية في حين نحن نحمل أفكار عديمة الفعالية عمياء أصيبت بالشلل لأنها استسلمت لأفكار مزمنة كفكرة (الاستحالة و السهولة) فالفكرة عندنا إما أن تكون سهلة فهي لا تحتاج إلى بذل مجهود. فتجمد الفكر وبالتالي الاستسلام لها .لأننا نري لهذا الوضع إنعكاساته السياسية , **2**

3- الصراع الفكري

: الصراع الفكري وسيلة أو نسق من الوسائل يستعملها شعب أو مجموعة من الشعوب للحط من قيمة أفكار الخصم أو إبطال مفعولها وتحويلها عن الهدف المنشود أو تعفينها أو شلها وعزلها عن الجمهور عزلا تاما إذا ما تفحصنا هذا التعريف وجدناه يحتوي على عدة عناصر أهمها أن الصراع الفكري يستخدم مجموعة من الوسائل خصوصا منها العلمية لأنه يتماشى مع التطورات التي يشهدها عصرنا الحالي. أما المقصود بالوسيلة العلمية فهي الدراسة المستفيضة لنفسية الخصم على ضوء علم النفس وعلم الاجتماع. فهي دراسات تطلعنا على نفسية الخصم من أجل التغلب عليه فإذا أرادت أن تملك قلب طفل صغيرمثلا فإنك ستمتلكه بواسطة سيكولوجية . فعلى الشعب أن يعرف حالة الاستعمار الاقتصادية وحالته النفسية بدقة لكي يعرف أنسب الوسائل التي يستعملها في مهمته التي هي الصراع الفكري . إن البلاد المستعمرة (بفتح الميم) تعيش الصراع الفكري و نتائجه السلبية في حياتها وفي أخلاقها، لأنها تمر على سطح الأشياء دون أن تصل إلى مكنونها (داخلها)**3.** كما أن الاستعمار من جهة أخرى يطبق الخطة التي تحول المعركة لصالحه حيث يشرع في وحدات كفاح جريئة حتى يحدث

1- مالك بن نبي: تأملات ، ت: عمر كامل مسقاوي بإشراف ندوة مالك بن نبي دار الفكر دمشق (سوريا) ط 9 ص22
2 -عبد الطيف عبادة: صفحات مشرقة من فكر بن نبي (دار الشهاب لطباعة والنشر باتنة الجزائر ص 26
3 -مالك بن نبي الصراع الفكري في البلاد المستعمرة.(مشكلات الحضارة) ص: 41 /35

الخلاف والتنافس بين القوى الشعبية ذاتها كما وقع في كوريا و الصين والهند حيث شرعت في تقسيم دول بأكملها إلى قسمين ومن وراء ذلك يظهر تقسيم خطير للأمم وللشعوب **1**.الذي يتجلى لنا في مختلف الميادن

ميادان الصراع الفكري:

يظهر الصراع الفكري في التصادم بين ثقافتين أو بين حضارتين ،والواقع أن الغالب يسعى دائما إلى إخضاع المغلوب ،و محو جميع المظاهر التي تجعله يتشابه معه ويظهر الصراع لدى الشعوب المتحضرة لانها هي التي تمارس الصراع الفكري أما الشعوب السائرة في طريق النمو هي التي تخضع للصراع الفكري وهذا الصراع الموجه خصوصا ضد الفكرة من أجل ضمان الحد الاقصى من عدم فعالية الفكرة مثل فكرة الإسلام، التي عمل الاستعمار فيها عمله من أجل عزلها عن المجتمع والواقع .وبذلك أصبحت ميتة في زمن الاستعمار ولم تحي إلا عندما أثرت على الواقع. إلا أن شل أية فكرة ليس بالسهل حيث يلجأ الاستعمار إلى تعفينها و إذا كانت الفكرة غير قابلة للتعفين فإنه يكفي بتعفين صاحبها بشكل طبيعي أو اصطناعي أو تحويلها عن الهدف المنشود بإصطناع أهداف ثانوية لا علاقة لها بالهدف الحقيقي أو إفراغها من جميع محتوياتها إذ أن الوسائل في هذا المضمار متنوعة سواء بتشويهها أو تجزئتها لأن الفكرة تتغير إذا ما تعرضت للتجزئة وتصبح عديمة المفعول أو عزلها عن العمل والجمهور وعن الرأي العام العالمي وهذا بواسطة الكف **2** ويجب أن نعرف أن الفكرة تحيى بواسطة اتصالها بالعمل وتموت إذا فقدت هذا الاتصال. وهو ما يسميه بن نبي بالفكرة الفعالة (تتجسد في الواقع) ففكرة تحرير الجزائر كانت تعيش في ذهن كل مواطن وبالرغم من ذلك فقد بقيت زمنا طويلا مدفونة حتى قرر الشعب خوض غمار المعركة ولعل الشرارة الأولى للثورة التحريرية هو الاتصال الأول للفكرة بين الواقع والعمل.التي جسدها الشهيد العربي بن مهيدي في مقولته المشهورة **ارموا بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب."** فقبل هذا فإن الشعب الجزائري عاش زمنا طويلا وفكرته معرضة لشتى أصناف الصراع الذي ينص حول القمع. وأن المقصود بالقمع هي الوسيلة التي يلجأ إليها المستبد في حالة فشل الوسائل العلمية حيث يستخدم الوسائل الخشنة لأن فرنسا أدركت أن الشعب أمام خيارين لا ثالث لهما: الأفيون أو العصا وقد يلجأ الاستعمار إلى

1-عبد الحميد عبادة صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي ص: 70.
2-الكف: معناه التطويق

عامل التشتت ومعناه القضاء على كل تكتل من نوع إيديولوجي وهذه السياسة من أخطر السياسات.لأنه يحمل في حد ذاته إيهاما معناه تحقيق الهدف المنشود أي أن العدو أصبح صديقا و أن الصديق يصبح عدوا وعلينا أن ننظر إلى وسائل الصراع الفكري من ناحيتين:

عند الشخص: الذي يحمل الفكرة بحيث يعمل الاستعمار على إشعار صاحبه (صاحب الفكرة) بعبث محاولاته بالإنتقاد أو بعزله عن الجمهور أو بتعفين علاقاته الاجتماعية..فالاستعمار يضرب على أوتار الشخص ويحدث سيمفونية منسجمة الأصوات ذات موسيقى حزينة للغاية.

وضد الجمهور: في هذه الحالة يعمل الاستعمار على عدم إيصال الفكرة إلى مسامع الجمهور وتطويقه من كل النواحي وهذا بواسطة العزل السيكولوجي بينما هو(الاستعمار) يحرص على أن يبقى خفيا كما يحرص مخرج المسرحية على أن يبقى بعيدا عن أنظار الجمهور**1**

إن الإستعمار يطبق ضمنيا هذه الاعتبارات في خططه القذرة ضد كفاح الشعوب المتخلفة لأنه يسعي من وراء هذا إلى الحط من مستوى كفاحهم الإيديولوجي لأنه يعلم جيدا أنه يحقق بذلك أهدافا سياسية مقصودة**2** لم يكتف الاستعمار بهذه الاساليب الجهنمية بل عمل على فرض رقابة شديدة على حركة الأفكار في تلك البلاد وعلى سبيل المثال فإن الجزائري المعاصر يذكر دون شك كيف ولد سنة 1936 المؤتمر الجزائري المشهور وكيف قتل في مهده حيث كان يمثل أهم مرحلة في تطوير الشعب الجزائري السياسي بعد **ح.ع.1** ، كما كان يمثل بالنسبة للاستعمار أخطر الظروف التي عرفتها سياسة الجزائر منذ (1830)) ولقد كان المؤتمر يحمل في روحه النزاعات التي ورثها عن الكفاح الطويل الذي يؤهله في توجيه الحياة السياسية في الجزائر .حينئذ أدرك الاستعمار أنه سيفقد وسائل التأثير و الرقابة على سياسة البلد إذا ما خرجت من تصرف القادة . مما جعله يلجأ إلى بعض الحيل الخداعة حيث ألقت "بحفنات" نقود في ضمائر بعض القادة فذهب المؤتمر هباء خلال شهر واحد .من كل ما كافح من أجله الشعب الجزائري خلال ربع قرن فهو يثير الغضب الأعمى عند الجماهير ويغذي شهوات القادة وشراء ذممهم وقد أصبح سلوك الفرد المسلم في مشكلة الصراع الفكري خاضعا لفعل المنعكس

1-عبد الحميد عبادة صفحات مشرقة من فكر بن نبي: دار الشهاب للطباعة والنشر باتنةالجزائر ص 68 /71
2- -مالك بن نبي الصراع الفكري في البلاد المستعمرة :ص: 42

الشرطي أي أنه لا يستطيع التحكم ولا التصرف في فكره ولاعمله طبقا لمقاييس يحددها عقله و يعيها ضميره. بل كما يرسمها له المستعمر(بكسر الميم'). إن الاختصاصي والمهتم بالصراع الفكري يدرك أن المشكلة في تخلف الإنسان لا تخص فقط دائرة الأفكار التي تشمل الخطة التي تمثل حياته الشخصية في عقرداره, بل يمتد إلى دائرة تضم علاقاته الاجتماعية خارج بيته. ولعل الشكل التالي يوضح لنا كيف يصاب المجتمع بالتسمم الفكري الذي ينخر جسده إلى غاية الاستسلام الاستعمار

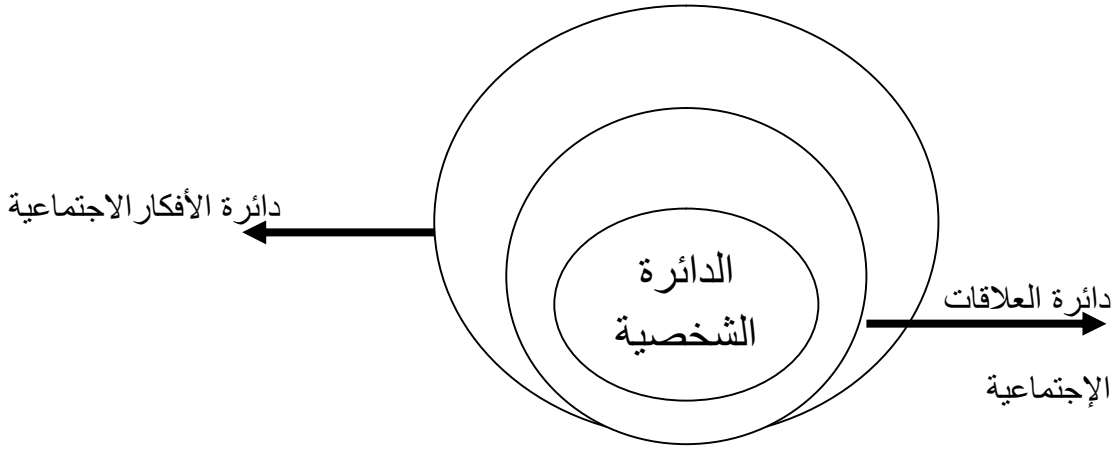

ويمكننا أن نفسر عمل هذا الجهاز على ضوء هذه الصور النظرية حيث نرى كل ما يصدر من إشعاع من الدائرة الشخصية الخاصة بالفرد يصبب حتما (بخيره أو شره) دائرة الأفكار الاجتماعية لأنه ينعكس عليها بمعنى أي تعفن أخلاقي يحدث داخل الدائرة الشخصية يصل إشعاعه. فورا إلى دائرة العلاقات الاجتماعية .إن ما يحدث بطريقة طبيعية أو إصطناعية فإن تأثيره يصيب حتما دائرة العلاقات الإجتماعية)**1**

1- **نفس المصدر السابق ص : 68-70/77/78.**

الأسباب الخارجية (الإستعمار)

تمهيد

إستطاع مالك بن نبي تشخيص المرض المتورم الذي مازلنا نعانيه على كافة المستويات والأصعدة وهذا من خلال استعراضه لمسيرة القرن التاسع عشر بكل ما إحتوي عليه من تطورات الاستعمار.ففي مسار القرن التاسع عشر استقرت فرنسا في الجزائرحيمنا أعلنت أن الجزائر جزء من التراب الفرنسي وبدأت تستولي على الأراضي الزراعية وتبني المستعمرات للمستوطنين الفرنسين بغية إنشاء جيل فرنسي تمحو به تاريخ الجزائر واتصالها الحضاري فمنذ 1840 الى عام 1914 أضحت الجزائر المساحة الزراعية لفرنسة كلها.وقد استمرت الاوضاع على حالها الى غاية إعلان التنصر وإنهاء الحرب العالمية الثانية،وقد رجع المتطوعون الجزائريون من جبهات القتال لصالح الحلفاء وكانت احتفالات النصر هي التي فتحت المجال لمطالبة الشعب الجزائري بالوعود التي قطعت له.لكن في ذلك اليوم المشؤوم ولأيام بعده -والتي تبقي وصمة عار في تاريخ فرنسا- شن الجيش الفرنسي حملة ارهاب مفاجئة فجرت دماء الجزائريين

لكن هذا الحدث مهد لتجميع القوى لثورة التحرير الكبرى .وفي خلال هذه السنوات الثماني أدركت النخبة اوهام الاندماج في فرنسا.وقد كان الاستعمار المنتصر في الحرب العالمية الثانية يشدد القبضة على كل تحرك ويستعين بضعاف النفوس على أقوياء العزيمة،ويبدو ذلك في مختلف مقالات بن نبي التي واجهت الواقع الاستعماري والتي جمعها قبل وفاته تحت عنوان (في مهب المعركة)

مفهوم الإستعمار عند مالك بن نبي:

يعتبر الاستعمار فى نظر مالك بن نبي أخطر سلاح يستخدمه العدو وأحكم فخ ينصبه للشعوب مستخدما جميع الشعارات المثيرة ليتمكن من وضع الطابع البدائي على سياسة البلاد المراد استعمارها ليقرر لنفسه بذلك انتصارات الحاضر والمستقبل .ومن هنا ندرك ما سيبذله الإستعمار من جهد لعزل الأفكار عن المجال السياسي وهذا بواسطة تعطيل عمليات الرقابة التي من شأنها تكشف نواياه.فنجده يحسب حسابا لكل أعماله و أقواله حيث يضرب كل قوة مناهضة له تحت أية راية ,هدفه هو الوقوع بين الفكر والعمل السياسي حيث يبقى الأول عقيم والثاني أعمى**1**. و من أجل هذا كله نجده يطبق طريقة التجميد التي تطبق في جبهة القتال لتجميد قوات العدو عند نقطة معينة فالإستعمار هو ذلك الساحر الذي يتقن طريقة الألعاب السحرية الإسبانية، يلوح بقطعة قماش أحمر أمام ثور هائج في حلبة الصراع فيزداد الثور هيجانا وبذلك فبدلا من أن يهاجم المصارع نجده يستمر في الهجوم على المنديل الأحمر الذي يلوح به في الأفق حتى تخور كامل قواه. تلكم هي خطة الاستعمار يستفز الشعب حتى يثير غضبه ويصبح عاجزا عن إدراك مواقفه والحكم عليها حكما صحيحا لأنه وجه إمكانياته توجيها أعمى. ومن خلال هذا المثال البسيط نصل إلى إستنتاج جد غريب في السيكولوجية السياسية وهو أنه يجيد إستعمال هذا الجهاز لأنه هو الذي ركبه حيث يحتوي على بعض المحركات التي ليست من مواهبه لكن من خصائصه. لقد لجأ إلي سياسة ".فرق تسد"بين أفراد الشعب الواحد وهذا من أجل قتل الروح الوطنية والقضاء على العزيمة لدى الشعب**2**. فنحن ندرك مثلا وسائل الثورة الجزائرية كالدبابة والطائرة و قنابل النابالم وذلك شيء مرئي واضح، وبهذه الوسائل قتل مليون ونصف مليونا شهيد حيث كان يهدف إلى القضاء على الجانب الحيوي (الطاقة الحيوية). لكنه في أحيان أخرى لم يُخرج فرقه العسكرية لتحطيم الطاقة الحيوية بل ألقى بعض المال في ضمير أحد الزعماء السياسيين الذين كانت تتجسد فيهم طاقة البلاد الحيوية وفكرة نضالها وقد بقيت بعض الأحزاب السياسية تدور حول بقايا النظام السياسي كل منها يريد أن يرث المؤتمرات والمقاعد وكل حزب يعمل من أجل مصالحه الشخصية.وهو عمل مدروس للسياسة الاستعمارية ،عمل يشبه فن زرع اللآليء(مفرد لؤلؤة). الذي أتاح لليابانيين أن تحقق أرقى طرق الزراعة...زراعة الجواهر.أما فرنسا فقد زرعت فينا عوامل التخلف.

1/مالك بن نبي: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة،.ص45/43.

2/مالك بن نبي: تأملات: ت: عبد الصبور شاهين بإشراف ندوة مالك بن نبي دار الفكر دمشق سوريا ص: 24.

والاذلال .إن هذه الأمثلة البسيطة تبين لنا كيف عمل هؤلاء الفنانين في بلد مثل الجزائر على تمزيق شبكة العلاقات السياسية في فترة امتدت حتى العصر الحالي و تشتت الطاقة الحيوية المنظمة والمتمثلة آنذاك في الوحدة الوطنية**1** و مهما يكن أمر الوسائل المستخدمة فإن الهدف واحد وهو تحطيم العلاقات الاجتماعية ونشر الفوضى، فالاستعمار فنان في هذا الميدان فهو يعرف كيف يهدم شبكة العلاقات الإجتماعية التي تتيح لمجتمعاتنا القيام بنشاط مشترك وتأثير في التاريخ فحينما نريد أن نتصور خطة الإستعمار في هذا السبيل نلاحظ مبدأين: مبدأ الغموض و مبدأ الفعالية. **فالمبدأ الأول**: يقتضي بأن لا يكشف الاستعمار عن نقابه الذي وضعه على وجهه فهو يستخدم دائما قناع القابلية للإستعمار حيث يستهدف الأفكار التي يعمل على تحطيمها والقضاء عليها حتى لا تؤدي إلى توجيه الطاقات الإجتماعية في البلاد المستعمرة .بدليل أننا نراه في بعض الحالات يشعر بالفرحة والسرور إذا مات المكافح المفكر لأن موته تعد خسارة بالنسبة للشعب، أما **المبدأ الثاني** فيقتضي من الاستعمار عزل المكافح على حلبة الصراع من جانبين:

* أن ينفر من أفكاره الرأي العام

*أن يشعر هو بنفسه بأن القضية التي يكافح من أجلها لا فائدة منها.**2**

حيث يشرع المستعمر في خلق وحدات كفاحية جزئية حتى يحدث الخلاف و التنافس بين القوي التي تقاومه فتنحرف بذلك المعركة من معركة بين القوى الشعب المستعمر إلى معركة بين القوى الشعبية في حد ذاتها ،و هكذا يستطيع الاستعمار بطرق مختلفة تحويل المعركة التي نشأ من أجلها الشعب إلى معركة بين الأفراد بحد ذاتهم.

1-مالك بن نبي ميلاد مجتمع ص: 84.
2-مالك بن نبي: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ص96.

.

الباب الثالث:

حتمية التغيير

الفصل الاول:

مفهوم التغيير وخصائصه

مقدمة:

قد تتبادر إلى الذهن أسئلة عديدة حول سبب اختيار موضوع فلسفة الإصلاح في فكر مالك بن نبـي. ولماذا القول بضرورة الإصلاح والتجديد لتحقيق المشروع الإصلاحي التغييري في المجالات الأخرى ؟ في الحقيقة اجتمعت أسباب كثيرة دفعتني لاختيار هذا الموضوع ولعل أهمها، الوضع الثقافي والفكري والاجتماعي والسياسي الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية، وأزمة اللاوعي التي شكلت في أوساطنا المرض العضال الذي يحتاج لتكثيف الجهود من أجل القضاء عليه. لا نستطيع أن ننكر أن الاستقلال الذي نالته الشعوب الإسلامية مازال استقلالا فارغا من كثير من المحتوى والمعنى، لأن الاستعمار مازالت جذوره ضاربة في بنيتها الثقافية والاجتمـاعية والاقتصادية والسيـاسية. صحيـح أنها تخلصت من الاستعمـار المباشـر -العسكري- ولكنها لازالت تعاني من الاستعمار غير المباشر وهو الذي ضرب سياجه على الفكر والثقافة في البلاد الإسلامية، فشخصية المفكر الإسلامي لم تكتمل بعد"ولم يظفر بعد بحقه في السيطرة على وجوه الحياة، وبقيمته الاجتماعية ولهذا فقد راي مالك بن نبي في التغيير مسألة ضرورية وغاية من غاياتها الاساسية وحتي تكون عملية التغيير عملية شاملة - كما يقول ابن نبي- لابد من"تغييرات ثورية: فإما أن نقوم نحن المسلمين بالتغيير في مجتمعاتنا، وإما طبيعة العصر تفرض علينا تغييرات من الخارج، لأن هذه هي روح العصر، فالذي يجب أن نؤكد عليه أولا وأن تتذكروه دائما: أننا إذا لم نقم نحن بثورتنا فإن التغيير سوف يأتي من الخارج ويفرض علينا فرضا"نحن نحاول علاج قضية التغييرالإجتماعي عند مالك بن نبي ونحاول توضيح مفهومها حتى يتسنى لنا الوقوف على أرضية صلبة فى بيان خصائصها وأهدافها ووسائلها ثم نحيط فيما بعد بأبعادها والسياسية والثقافية. لأن كل تغيير يطرأ على الجانب الاجتماعي نجده يمس بالضرورة الجوانب الأخرى و لعل السبب الرئيسي الذي أدي بمالك بن نبي إلى التعجيل ب عملية التغيير هو فشل الحلين الدخلين على بلادنا المستوردين من عند غيرنا وهما النظام الليبرالي الديمقراطي والنظام الاشتراكي وقد كانت سلبيات كلا النظامين أكبر من أيجابياته. حيث شمل الفشل تقريبا كل الميادن (فشل في المجال الإقتصادي والاخلاقي والعسكري ولهذا فقد تسأل وبحث مالك بن عن أسباب هذا الفشل،وكيف يكمن إحداث التغيير ؟ وما هي العوامل التي تساهم في إحداث التغيير؟

1- ضبط المفاهيم

أ-مفهوم المجتمع عند مالك بن نبي: لا ينحصر مفهوم المجتمع عند بن نبي في مجرد تجمع أفراد على أساس الاشتراك في العادات والتقاليد أو العيش في رقعة جغرافية واحدة والخضوع لقوانين مشتركة. لكنه يمثل الجماعة التي تغير باستمرار خصائصها بإنتاج وسائل التغيير،مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه وراء هذا التغير.ويقوم النظام الإجتماعي بحسب هذا التعريف على أسس هي: الحركة,إنتاج أسباب هذه الحركة (حركة المجتمع) وتحديد تجاهها ،فهذا هو في نهاية الأمر المقياس الأساسي الذي يساعدنا على أن نواجه مشكلة ميلاد المجتمع، حيث تكتسب الجماعة الإنسانية صفة المجتمع عندما تشرع في الحركة,أي عندما تبدأ في تغيير نفسها من أجل الوصول إلى غايتها,أما الجماعات الساكنة فإن لها حياة اجتماعية دون غاية ،فهي تعيش في مرحلة ما قبل الحضارة **1**

ب-مفهوم التغيير: التغيير في اللغة: معناه التحويل أو التبديل وهو مرتبط بإرادة الكائن الذي يقوم بفعل التغيير وهذ تجسيدا لقوله تعالى **"إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ"2** حيث إعتبر التغيير أحد المباحث الهامة في علم الإجتماع ،ويقوم على دراسة ما يقع من تغيرات أو تطورات تطرأ على المجتمع في فترة زمنية محددة.يعتبر مالك بن نبي ممن إهتموابهذا الموضوع بإعتباره ,من أهم مشكلات العالم الإسلامي ،من خلال شعوره بالقلق إزاء مجتمعه الذي انحرف عن مسار الحضارة واجتمعت حوله الأمراض الذي سلمته جاهزا للإستعمار.وبدون شك فإن مالكا بحث الموضوع بدقة وحلله تحليلا موضوعيا مدفوعا بتوتر شديد إزاء هذا الوضع ولهذا تتبع مسار المجتمع الإسلامي وأسباب تخلفه وحاول علاج قضية التغيير الاجتماعي بوصفها أكثر المشكلات إلحاحا في ذهنه مبرزا مضارها. محاولا الوقوف على أبعادها ومحللا عناصرها حتى أعتبره بعض الباحثين صاحب نظرية في التغيير الإجتماعي لا تقل أهمية عن نظريات3 ليفي يريل4.

1.مالك بن نبي: اميلاد مجتمع,ت: ص 20/18.
2.-سورة الرعد الاية 11
3-نورة خالد السعد:التغير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي:دراسة في بناءالنظرية الاجتماعية ,ط1: الدار السعودية للنشر والتوزيع. ص 284
4-ليفي يريل: 'Lucien Lévy-Bruhl 1857-1939. فيلسوف وعالم اجتماعي فرنسي من أتباع أوغست كونت ترأس اللجنة الوضعية وساهم في تحرير السياسة الوضعية له مولفات أهمها العقلانية البدائيةL'Âme primitive

أو كلود ليفيي ستروس**1**

2- مفهوم التغيير وشروطه عند مالك بن نبي:

من خلال تعريفه السابق للمجتمع يظهر أن التغيير فعل المجتمع في التاريخ، فالمجتمع يتحدد كمجموعة أفراد يتحركون في إطار زمني محدد .وهي حركة مستمرة من أجل تحقيق هدف واضح مع إنتاجه لوسائل الحركة، و يجب أن يتفق التغيير الإجتماعي مع إنبثاق حضارة معينة لأنه في الحقيقة عبارة عن عملية تحضير، فحينما تبدأ الجماعة في تغير نفسها لتحقيق أهدافها فسيكون من مستلزمات هذا التغيير استيعاب جميع الميادين الأخري بما فيها الثقافية والسياسية والإقتصادية مما يعطي لنا في الأخير التغيير الحضاري وهوما جعل البعض يفضل تسميته التغيير الحضاري بدل التغيير الإجتماعي **2**

وتظهر بعض الدراسات أن التغيير الإجتماعي سواء أكان سلبيا أو إيجابيا يمس جميع الثقافات مع تفاوت من حيث السرعة,فإذا كان المجتمع بطيئا متخلفا فالتغيير يكون بطيئا وإذا كان المجتمع متحضرا فالتغيير يكون أسرع .ويحلل مالك بن نبي حركة المجتمع من خلال العوالم الثلاثة للبناء الثقافي. فعالم الأشخاص يحدد غايتها التاريخية وعالم الأفكار يحدد منهجها وعالم الأشياء يوفر وسائلها وأدواتها المادية .ولا يتحقق عمل تاريخي في إطار التغيير إلا بتضافر العوالم الثلاثة **3**

ثم يضيف لها عاملا رابعا يقوم عليه المجتمع في بناء حضارته وهو شبكة العلاقات الإجتماعية وهي الرابطة للأفراد (عالم الأشخاص) ،هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم عليه المجتمع ساعة ميلاده وأول خطوة في بناء الإنسان الإجتماعي حيث يتحرر الفرد من فردانيته أي من كونه فردا (individu) ليرتقي إلى رتبة الشخص (personne) وأبرز الأمثلة التي يقدمها بن نبي لهذه الحالة من التطور إجتماع المسلمين خلال صلاة الجمعة**4** .

1-كلود ليفي ستروسclaud levi- strauss (1908-2009) عالم إجتماعي فرنسي درس الفلسفة ثم علم الإجتماع في البرازيل.شغل كرسي الانتربولوجيا الإجتماعية في فرنسا أهم مؤلفاته نجد مدارات حزينة , triste tropique سنة 1955

2-محي الدين صابر:قضايا التنمية في المجتمع العربي, المكتبة العصرية للطباعة والنشر بتونس.الطبعة 2 .1987.ص68

3- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع ص 67/65.

4-نفس المصدر السابق ص 31

والتغيير الإجتماعي بما هو تغيير حضاري قد عرف في تاريخه نفس مراحل الدورة الحضارية التي مر بها العالم الإسلامي بإعتبار الحضارة فعل مجتمع تبدا المرحلة الأولي (مرحلة الروح) ثم المرحلة الثانية (مرحلة العقل) وتنتهي الدورة بمرحلة السقوط والتدهور، وهي مرحلة الغريزة حيث تتحرر الطاقات الحيوية من سلطة الروح والعقل لتخضع لسلطة الغرائز **1**. ويحدث الإختلال الخطير في التوازن الثقافي بفقدان عالم الأفكار لمكانته المركزية ضمن سلم القيم الإجتماعية ،فتصبح الأفكار تدور حول عالم الأشخاص أي يصبح الشخص مقياس الحق والحقيقة وهذا هو أصل ظهور الاستبداد السياسي، و هو ما تسبب في استبداد فكري جعل الأمة الإسلامية تسقط بين فكي استبدادين خطيرين استبداد سياسي واستبداد فكري . والأخطر من ذلك أن تتمحور هذه العوالم حول الأشياء فيتحول التغيير (كحركة مجتمع) إلى تكديس منتجات الحضارة,مما يولد أزمة ثقافية خطيرة تختل فيها شبكة العلاقات الإجتماعية نتيجة توجيه الطاقة الحيوية نحو الغرائز. إذن المجتمع عند مالك بن نبي وإمكانية تغييره تتوقف على مجموعة من الشروط وفقا للمبدأ الأساسي والقاعدة الأصيلة التى تجسدها قواعد القرآن الكريم " ولكن السؤال الذي يجب طرحه هو كيف يمكن توجيه حركة التغيير في المجتمع الإسلامي توجيها إيجابيا لبناء حضارته مع العلم بأن حركة المجتمع جزء من ماهيته. ومن لا يتحرك للأمام بالتأكيد أنه يتحرك للخلف ومن لا يتحرك تقدما الى الامام يكون النكوص الى الخلف كما هو حال الأمة العربية الإسلامية اليوم.**2** وقد راي مالك بن نبي أن تخلف المسلمين اليوم راجع إلى ذواتهم وضمائرهم الميتة فقد استقر في نظرهم أن علاج مشكلة التخلف يكمن في استيراد الوسائل الجاهزة التي أنتجتها حضارات أخري قطعت أشواطا كبرى فى مسار العصرنة . فالتقدم لا يتم باستيراد ثقافات أخرى أجنبية بل هذه المعادلة تزيده تخلفا حيث نرى تناقضا فادحا في المجتمع الإسلامي يتمثل عدم تناسب طريقة تفكيره مع طريقة أكله ولباسه. ولهذا فإذا أراد أي شعب أن يتطور فلا بد أن تتوفر لديه إرادة التغيير التي يجب أن تنبعث من داخل الإنسان نفسه ،وهو ما يلخص لنا وعي الذات لذاتها وبذلك نجده (بن نبي) يدعو إلى ضرورة التميز بين عمليتي (التغيير والتغير) فالتغيير عنده هو عملية إرادية مقصودة يقوم بها الإنسان للانتقال من وضعية مادية ومعنوية غير مرغوب فيها تتسم بالجمود والتخلف إلى وضعية جديدة تتصف بالحركية

1-المزيد من التفاصيل طالع المبحث الثالث الفصل الأول (نظرية التعاقب الدوري عند ابن خلدون)
2-نفس المصدر السابق ص104

أما التغير فهو عملية تلقائية خارجة عن إرادة الإنسان .إذن يعتبر التغيير ذلك الفعل الإرادي الذي يمثل نقطة تحول تاريخي تفصل بين مرحلتين زمنيتين متباينتين من حياة المجتمع. ويهدف في نهاية المطاف إلى إقامة حضارة . لكن هذا لايتم على حساب إدارة الظهر للماضي أو إقصاءه من دائرة الحساب. فالتطور الحقيقي ينطلق أساسا من هذا الماضي مزيلا عنه تلك السلبيات التي لحقت به على مر العصور، وعليه يمكن أن نستخلص بأن التغيير الذي يتجاهل الماضي هو تغيير باطل محكوم عليه بالفشل مسبقا .وهكذا وعلى ضوء هذا الفهم يصبح التغيير عند مالك بن نبي عملية إعادة بناء تتأسس على النماذج الأصلية للمجتمع وقيمه المقدسة . وفي هذا المضمار يستشهد بن نبي بالقول المأثور لأنس بن مالك: **"لن يصلح اخر الأمة إلا بما صلح به أولها** "إن تحقيق التغيير في أي مجتمع يجب أن يتم أولا داخل النفوس لأنها تمثل الشرط الجوهري في ارتفاع المسلم المعاصر إلى مستوى الحضارة ،وبالتالي يستطيع إنقاذ نفسه وإنقاذ الآخرين وفق مجموعة من الشروط هي :أن يعرف المسلم المعاصر نفسه وأن يعرف الأخرين فلا يتعالى عليهم أو يتجاهل وجودهم، إذ لا يجوز له أن يجهل ما في نفوسهم بل عليه أن يعلم ما في نفوسهم ليتقي شرهم وليخاطب جانب الخير فيهم ولتبليغهم رسالة الإسلام. كما يجب أن يقوم بتعريف الأخرين بنفسه ،بعد أن يكون قد حقق الصورة المحببة عن نفسه وتمكن فى القضاء على رواسب التخلف وأشكاله .فإذ إستطاع المسلم المعاصر أن يحقق هذه الشروط فإنه لم يستطيع أن يقوم بإنقاذ الإنسانية من الأزمة الراهنة التي تعاني منها ويستطيع أن يرتفع إلى مستوى الحضارة من جديد .**2** ولكي يكون التغيير أكثر فعالية لا بد من اخضاعه لمجموعة من الشروط الفعلية والتفتيش في وعينا ومراجعة ذواتنا وقد تناول حسين هيكل هذه المسالة بشجاعة فهو يقول **"يجب على كل واحد منا أن يقدم حساباته كما يجب علينا أيضا أن نفهم الدروس.**ولعل اهم هذه الشروط الأساسية التي زكز عليها مالك بن نبي في كتابه "من أجل التغيير " هو التخطيط والتخطيط الدقيق لمختلف أعمالنا ومشاريعنا لان الدول المتقدمة قد حققت عصر الانجازات الكبري بفضل المساحات الكبري المخطط لها،فالسويد مثلا فقد حققت منذ أنتهاء الحرب العالمية الثانية تحولا جذريا في بنيتها الزراعية بالتخطيط المناسب.

1-د/ نورة خالد السعد،التغيير الإجتماعي في فكر مالك بن نبي:دراسة في بناء النظرية الاجتماعية، ص 107.
2- محمد عبد السلام الحفائري. مشكلة الحضارة عند مالك بن نبي .الدار العربية للكتاب. ليبيا 1984.ص.200- 221

إذ حولت كل اراضيها الصالحة للزراعة الى منتجات الاشجار جعلت من هذا البلد من اوائل المنتجين لمادة (السيليوز) السوق العالمية.فالتحطيط ضروري في أئ بلد لأنه يهدف أساسا إلى تحريك كامل طاقاته وموارده البشرية والمادية مما يؤدي إلى خلق دينا ميكية إجتماعية.وبإبتعاد أحد عناصر هذا التخطيط،مهما كان ضئيلا فإنه يؤثر سلبا على توازن الديناميكية التي يراد خلقها.كما أن التخطيط يفقد معناه إبتداء من اللحظة التي تكون فيها فكرته مستوحاة من الخارج .ومن أجل هذا لكي ننتهي إلى وضع قواعد التخطيط الصحيح علينا أن نواجه الإصلاح الزراعي(لأنه الأهم) من زاوية أخري .حيث يجب تخصيص الأراضي الزراعية لمهمة الإنتاج وفقا لمعطيات إقتصاد القوت من جهة،وإقتصاد التنمية من ناحية أخري **1**

كما يجب وضع جهاز فعال يحمي المساحات المنتجة من ظاهرة التصحر التي تهدد جنوب البلاد باكمله.لان الصحراء الجزائرية تتوسع كل عام على حساب الاراضي المفيدة للتغذية. بالرغم من أن هذه الضاهرة مشكلة مغاربية تتطلب التعاون الأخوي بين الدول الشقيقة الثلا ثة.فنحن نعلم أن هذه المهمة ليست سهلة،لكن بفضل التخطيط المحكم يمكن للصحراء أن يتحول إلى حدائق عامة مثلما حدث لصحراء (كاراكوروم) في جنوب الإتحاد السوفياتي الذي تحول إلى أماكن للترفيه والتسلية. إذن فلا شيئ مستحيل فما علينا إلا أن نتجنب التردد في أفعالنا وأقوالنا ونوفرلأنفسنا الطاقة والوقت اللذين يجب عدم إهدارهما .

مالك بن نبي: من أجل التغيير دار الوعي للنشر والتوزيع ط1 2013. رويبة الجزائر (منشور اصلا من قبل دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر بسوريا .ص 31-32-33-35.

<u>يقول الدكتور عمار طالبي</u>: كان مالك بن نبي محترما من كل الفئات والاجناس بسبب منهجه العلمي القائم على الادلة الملموسة والبراهين القطعية.ومن **بين خصائص هذا المنهج نجد:**

أولا:العلمية:

المعروف عند مالك بن نبي تكوينه العلمي منذ أن كان طالبا في باريس**1** فالمنهج الحقيقي في التغيير عنده هو الذي يقوم علي أسس علمية ومقدمات صحيحة تؤدي إلي نتائج صحيحة . لذا نجده يرفض كل ما هو قائم على الأوهام والعفوية. فهؤلاء الساسة الذين يضعون النظريات ذات الأسس الذاتية ويعملون علي إقناع الناس مستخدمين جميع أساليب الكذب والتزوير، هم أشخاص لا مصداقية لهم ولا ثقة لأنهم لم يسطروا لحياتهم منهجا ثابتا ومدروسا.فكان مالك (رحمه الله) يحلل الوقائع ويستقرء أحداث التاريخ ويعرضها للمنطق دون تسليم أعمى،ولهذا نجده شديد الارتباط بعلم النفس وبالخصوص علم الاجتماع لأن التغيير الحقيقي في نظره يبدأ من التغيير الإجتماعي وهذا عن طريق فهم الوقائع الاجتماعية وبناء نظريات. ولحل مشكلة التخلف يقوم المنهج عند مالك بن نبي على ملاحظة الظواهر السلبية وتشخيصها بدقة وتحليل أسبابها قبل دراسة الحلول المناسبة وكان يرفض السطحية في الحكم علي الظواهر المختلفة وبذلك نقد بعض المصلحين الذين يقومون بمعالجة أعراض أمراض المجتمع دون معرفة حقيقتها حيث يكتفون بإستيراد الأشياء متجاهلين ماهيتها.**2** وتشير إحدي الدراسات التي بحثت في نظرية بن نبي في التغيير الإجتماعي أن مالكا انطلق من استقراء الواقع الاجتماعي وحركته التاريخية مما ساعده علي تحديد مشكلات الحضارة وإيجاد الحلول العلمية القابلة للتطبيق في أي مشروع تغييري حضاري. وبذلك أعتبرت دراسات مالك بن نبي الحضارية نظرية إجتماعية متكاملة في التغيير من خلال واقعية الطرح وعلمية التحليل، وما تميزت به من تناسق بناء وترابط وظيفي بين أجزاءها بداية بالإنسان ثم المجتمع وصولا إلى الحضارة وقد توصل بن نبي إلي أن التغيير الحقيقي والجذري لا يتحقق إلا بالإعتماد على إرادة واعية وتخطيط محكم فنجده يميل دائما إلى التحليل العقلاني الموضوعي لمختلف الظواهر ومن الأمور التي تؤكد العلمية في أطروحات بن نبي، إصراره على تطبيق الشروط العلمية في دراسة خصائص المجتمع مبرزا معادلاته النفسية والاجتماعية **3**

1-مالك بن نبي": تأملات ص 126/.181
2-مالك بن بني: شروط النهضة 27.
3-نورة خالد السعد: التغيير الإجتماعي في فكر مالك بن نبي،تاريخ النشر 1997، الدار السعودية للنشر والتوزيع ط:1 مجلد 1 ص286/273.

ثانيا:الشمولية:

يأخذ التغيير عند بن نبي طابع الشمولية، باعتبار أن إنسان ما بعد الموحدين **1** ترسخت فيه شروط القابلية للاستعمار حيث إن الإنسان الخارج من الحضارة يصبح إنسانا غير مؤهل لمرحلة الحضارة إلا بواسطة التغيير الجذري له **2.** والعملية تتعلق هنا بالجانب الثقافي بأبعاده النفسية والفكرية والسلوكية ولهذا يعتبر مالك بن نبي التغيير في مجتمعنا المعاصر ثورة داخلية بكل المقاييس,والتغيير يكون حضاريا شاملا لأنه يعمل على تغيير شروط الحياة المعنوية (تغيير الأنفس) أما التغيير المادي فهو يشمل ما هو ثقافي تمدني، حيث يجب إكمال النقص الرهيب في الحضارة الإنسانية الذي إقتصر على التكامل في شروط الحياة المادية وتقهقر في شروط الحياة المعنوية، مما سبب للبشرية أمراضا إجتماعية تؤرق عقولهم حتى اليوم.،إن الدين الإسلامي دعا إلى الوسطية والتوازن والاعتدال لأنه لا يدعو إلي تحقيق التكامل المعنوي والروحي وحده كما دعت إلى ذلك بعض الطرق الصوفية بل الإثنين معا, فمفهوم الشمولية **في** التغيير لا يتناقض مع هذا الطرح حيث أن المعروف في منهج التغيير الإجتماعي عند بن نبي أن إرادة الحضارة سبب للإمكان الحضاري وهو ما لاحظه من حوادث التاريخ وتجارب الأمم المعاصر إذ أن التمدن والتقدم في عالم الإنتاج المادي متغير تابع للقيم الثقافية بجوانبها المختلفة **2**

ثالثا:الإنسانية

يعتبر الإنسان عنصرا أساسيا في فلسفة بن نبي الحضارية فإذا تغير الإنسان (إيجابيا) أمكنه إصلاح التراب البائر وإستثمار وتثمين الزمن الضائع أي أنه يحقق الفعالية الحضارية المطلوبة للنهوض **3** إن التخلف الذي نعاني منه اليوم هو مظهر لمشكلة الإنسان الداخلية (أي المتعلقة بذاته) حيث لم يحسن استخدام وسائله الأولية (التراب والزمن) بصورة فعالة أو قد. يكون نسي ما تعلمه. من هذا الإستعمال **4**

1-هو الفرد في المجتمع الاسلامي العاجز عن التقدم وإجتياز مراحل تاريخية جديدة ،عاجز عن إبتكار المعاني والأشياء الجديدة فالميل هنا ليس تحفضا وإنما هو إفتقار ونقص وجهل،وإنسان ما بعد الموحدين في أية صورة كان يعد عنصرا جوهريا فيما ينطوي عليه العالم الإسلامي من مشكلات وهو عنصر لا يجب أن يغيب عن أنظارنا فى دراسة نشأة المشكلات وحلولها مأخوذ من كتاب :وجهة العالم الإسلامي ص 35/34.

2-مالك بن نبي:شروط النهضة:ص 71.

3--مالك بن نبي:حديث في البناء الجديد، صيدا بيروت. منشورات المكتبة ا لعصرية.سنة 1986 ط 3. ص 51

4-مالك بن نبي:القضايا الكبرى،إشراف ندوة مالك بن نبي:ط1، الجزائر دمشق:دار الفكر1991.ص71/70.

ويبقي التغيير الحضاري تغيير في بدايته ونهايته تغييرا، إنسانيا من حيث هو كائن إجتماعي مفكر (كمغير قائم بالتغيير وكمتغير موضوع التغيير)**1** فالحضارة أصبحت إنسانية لأنها أخذت طابع العالمية نتيجة للتطورات العلمية والتاريخية وهو ما أكده بن نبي فى تقديمه توجيهات لكيفية أداء المسلم لرسالته بالحضور في المناخ العالمي لتحقيق معنى الشهادة**2**

فالحضارة الغربية اليوم تتجه نحو العالمية وعلى المسلم اليوم أن يدرك ذلك فيعمل على أساس تحقيق حضوره العالمي ومشاركته في توجيه الحضارة بما يملكه من قيم وخصوصيات ثقافية, وفي المقابل ليس المطلوب التكيف مع الحضارة, بل الواجب هو التفاعل الإيجابي ومواجهة الثقافة بنقد شجاع لكشف ثغراتها **3** .

رابعا :المسؤولية:

يقوم التغيير علي قاعدة ثابتة وهي أن الله لا يغيرما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم,ما يستلزم أن يكون تغيير المؤمنين لأنفسهم مرهونا بإرادتهم، فإذا قام القوم أو المجتمع بواجباتهم في التغيير أي اتباع المنهج الإلهي الذي حدده الله قولا وعملا ولتزموا به في حياتهم, فإن الله يوفقهم في تحصيل نتائج النجاح وهذا من لوازم عدل الله تعالى حيث يقول تعالى(**وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**) **4** ومبدأ الحرية مبدأ أساسي في الإسلام إذ لا إكراه في الدين, وعلى هذا الأساس تترتب المسؤولية سؤاء عند الإنسان أو المجتمع في التغيير الذاتي الذي يؤهله للتغيير الموضوعي. فالقوانين الاجتماعية لا تعني بالضرورة حتمية قاهرة مثلما إعتقد بعض علماء الإجتماع مثل (ليفي بريل ' **Lucien Lévy-Bruhl**). حيث الناس في نظره (بن نبي) صنفان من حيث المواقف حيث نجد صنف عاجز يقف أمامها .موقف المستسلم الخاضع وبذالك يتجمد ويتخلف، وصنف أخر يبحث في شروط الحياة وأسبابها محاولا فهمها فيتحرك نحوها بالفكر والعمل ، وبذالك يحقق الاكتشافات العلمية مما جعله يقهر الجراثيم القاتلة وهو ما قام به فعلا إنسان الحضارة الغربية **5** فالبناء الحضاري الذي تحدث عنه بن نبي رهين الإرادة الحضاري

1- محي الدين صابر: التغير الحضاري وتنمية المجتمع , ص217

2-Malek BEN NABI:LAFRO-ASIATISME .3eme trimestre 1992 (sec)edition p 138.

3 -برهان غليون :إغتيال العقل (محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية) الجزائر سلسلة موفم صاد 1990.ص 157/158.

4-سورة النحل:الأية 33.

5---مالك بن نبي: مشكلة الثقافة:ص،10.

التي لا تنطلق إلا من عناصرها الأولى (الزمن والتراب والوقت) والإرادة هي التي تصنع الإمكان، مما يثبت أن مسالة التقدم والتخلف إرادية لا جبر فيها. فكما أنه لا إكراه في الدين فكذالك لا إكراه في التخلف. فالأمة الإسلامية رغم التحديات الخارجية (محاربة الاستعمار) إلا أنها تخلفت بإرادتها لأنها لم تتبع منهج الله في حياتها ولم تستقم على أمرها كما أراد الله. وفي حديثنا السابق عن القابلية للإستعمار أدرك مالك بن نبي أن التخلف غير مرتبط بالجنس أو العرق بل يرتبط بجملة من الخصائص والقيم النفسية والإجتماعية يمكن للإنسان أن يغيرها بإرادته الحرة، واليوم يتحمل المسلمون كامل المسؤولية فيما يحدث لهم .والتغيير الحقيقي هو ذلك الذي يصدر عن اقتناع وإرادة فاعلة، فبدون إرادة الشعب لن يتحقق أي تغيير حتي لو توفرت جميع الشروط الأخري، فالكثير من التجارب أثبتت أن التغيير المفروض من الأنظمة الحاكمة علي شعوبها سرعان ما ينتهي إلى زواله وفقدانه لجميع إلتزاماته مهما يطل الزمن **1**

خامسا:الفعالية:

المقصود بالفعالية قدرة الإنسان على تحويل الطاقات المكدسة فيه إلى عمل نافع بأحسن الطرق العلمية المتاحة في عصره .أوهي تحقيق الأهداف بالإمكانيات المتاحة المرتبط بالحرية والإرادة وكلما زادت هذه الفعالية نقصت درجة التخلف، **2** و ترتبط الفعالية بالثقافة لأن إرادة النهوض كامنة في جوهر هذه الثقافة، ومن هنا يتبادر إلى أذهاننا طرح السؤال التالي: لماذا تخلف المسلمون ثقافيا مع العلم أنهم يملكون الفكرة الصحيحة والصادقة (مبادى القران) ؟

يفرق بن نبي بين فعالية الفكرة وصدقها فالفكرة الإسلامية (القرأن الكريم) صادقة في ذاتها لكنها فقدت فعاليتها أثناء حركتها في التاريخ دون أن تفقد صدقها. وقد يكون العكس صحيح تماما فالفكرة قد لا تكون صحيحة مثل الإعتقاد االسائد لدي المسيح أن (النبي عيسى هو ابن الله) لكنها تكسب فعاليتها أثناء حركتها في التاريخ دون أن تكسب صدقها **3.** إن الفعالية في التغيير تقوم على أساس المنطق العملي كعنصر أساسي لأننا خلال صراعنا مع الاستعمار لم نعبر عن الأشياء بلغة الفعالية ولكن بلغة العاطفة التي أدت أحيانا إلي مواقف هزيلة وهذا ناتج عن أننا لا نقدر حوادث التاريخ كما ينبغي تقديرها. ومن الأمثلة التي يقدمها بن نبي عن معني الفعالية

1-زكي نجيب محمود : هذا العصر وثقافته ط2.دار الشروق القاهرة 1972..ص 99/98.
2-مالك بن نبي: القضايا الكبري (إشراف ندوة مالك بن نبي) ط1 دار الفكر -دمشق سوريا - ط1. سنة 1991 ص: 71/70
3-مالك بن نبي: مشكلة الأفكار ص 103.

والانفعالية موقفان إزاء مشكلة واحدة تتعلق بسياسة التجهيل التي مارستها السلطات الإستعمارية الفرنسية في الجزائر إبان الإحتلال، فالموقف الأول يظهر الانفعالية وهم الجزائريون اللذين ملؤا الديار بكاء وعويلا وإصدار بيانات الندب والتنديد والشجب، أما الموقف الثاني فيظهر الفعالية وهم اليهود الذين مسهم القانون بمنع أولادهم من التعليم. فعمدوا إلى تخصيص أوقات معينة يتجندون فيها لتعليم أبنائهم في البيوت بتطوع من المثقفين دون ضجيج أو صداع **1** كما ترتبط الفعالية بالأخلاق بما تفرضه الإرادة الحضارية من القيام بالواجبات لأن التاريخ لا يبدأ من مرحلة الحقوق بل من مرحلة الواجبات البسيطة الخاصة بنا التي نقوم بها يوميا،لأن تغليب الحقوق علي الواجبات لا يتفق مع الحركة الإيجابية التي تقتضيها الفعالية وهي أبشع صور التخلف عن إستقراء وضعية العالم المتخلف فنحن نطالب بحقوقنا من كل الجوانب في حين ولا أحد يؤدي واجباته كما ينبغي وهذا يظهر لنا في كل الجوانب **2**

سادسا: الذاتية:

إن التغيير الحقيقي عند مالك بن نبي يقوم على الخصائص الذاتية للمجتمع (محل التغيير) منها الخصائص الثقافية للمجتمع (قيمه وخصائصه وعاداته وتقاليده) حيث أرجع فشل التنمية في بلادنا -بالرغم من نجاحها في مجتمعات أخرى- إلى كونها لا تتلاءم مع وسطها الثقافي مثل الشجرة التي نقلت من بيئتها واقتلعت من ترابها لتغرس في تربة أخرى، حيث تضمحل شيئا فشيئا حتى تموت .وهو ما حدث لأندونيسيا حينما طبقت مشروع ألمانيا في الإقتصاد ففشلت فشلا ذريعا لأنه لم يوضع (المشروع) وفقا لمقاييس الشعب الأندنوسي بالرغم من أنه أنقذ الإقتصاد الألماني ولهذا يرى بن نبي أن حل المشكلة الحضارية يبدأ بحل مشكلة الإنسان بتغيير معادلته النفسية وفقا لخصائص المجتمع والذي يشكل الدين أهم بعد فيه **3** فكل مشروع للنهضة لا يراعي الخصائص الثقافية للمجتمع الذي يريد إحداث التغيير لا ينجح ولا يمكنه أن يحقق نتائج بعيدة الأثر بإعتباره مشروعا غريبا عنهم بعيدا عن ثقافتهم فيعمدون إلى رفضه ومقاومته، فإن أجبروا على قبوله قهرا فإنه لن يدوم لتصادمه مع إرادة الشعب ومن الأمثلة الرائعة التي يذكرها بن نبي عن تحريم الخمر على المجتمع العربى الذي قبل الفكرة

1- مالك بن نبي: تأملات ص 144.
2- مالك بن نبي:المسلم في عالم الإقتصاد : إصدار ندوة بن نبي ط3.الجزائر. دمشق.دار الفكر 1987 .ص 87 -89.
3- مالك بن نبي: تأملات ص:58/54.

رغم أن الخمر كان يسري في الدماء العربية أنذاك. أما أمريكا فقد أصدرت قانون تحريم الخمر سنة 1933.وأقرت عقوبات صارمة ضد انتشاره ، ورغم ذلك فقد فشلت كل المحاولات حتى اضطرت أخيرا إلي إلغاء القانون. ومن هذه المقارنة يستنتج مالك بن نبي أن قدرة أية فكرة علي التكيف ليست متساوية في مجتمعين لهما أصول ثقافية مختلفة ولهذا يحكم علماء الإجتماع بالفشل على كل النظريات والمشاريع التي لا تراعي خصائص المجتمع إذ لا يمكن للإرادة الذاتية أن تكون قاعدة في المجتمع إذا كان مصدرها خارج عن تقاليد المجتمع. حتي العلم ذاته فإذا كان مستوردا لا يصبح علما حقيقيا إلا إذ استوعبه الفكر الذاتي .فمن الخطأ جدا أن نعتبر النموذج الغربي مثلا يحتدى به في عملية التغيير التي تجابهنا اليوم **1** وهو ما تؤكد عليه إحدى الدراسات الجادة التي تناولت البناء الحضاري حيث اعتبرت الخصائص الذاتية أساس في كل مشروع تغييري جاد ولا بد لكل بناء حضاري أن يعود إلى الذات لأنها هي الأساس .أما استيراد أنماط أجنبية فلا أمل منه وهذا ما ألح عليه برهان غليون **2** حيث يري أن كل تغيير اجتماعي لا بد أن يقوم على منطق المجتمع وينبثق من ثقافته **3**

سابعا:النقدية

يلح بن نبي على ضرورة مراجعة الذات لذاتها وممارسة النقد الذاتي كضرورة لاستمرار تناغم المجتمع الحركي .لأن غياب النقد في المجتمع يشكل أكبر تهديد للنسيج الإجتماعي حيث تشل الطاقات الحيوية للفرد مما يؤثر سلبا فى مصلحة المجتمع ,فيحدث التصادم بين حركة الفرد وحركة المجتمع بما يؤدي إلى الإضطراب والفوضى وهو خلل ثقافي خطير يستلزم إستنفارا لمعالجة المشكلة قبل تفاقمها، بما يستدعي ثورة ثقافية يبدأ معها البناء الإجتماعي من نقطة الصفر **4** وقد كان الرسول(ص) يفتح المجال للنقد الحر وكانت الشورى مبدأ هاما من مبادئ النظام الاسلامي في كافة شؤون الحياة فكان الرسول يطبق ذلك على نفسه وكان يدعو

1-منير شفيق:الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر. دار النشر بيروت .1987. الطبعة 2 : ص182/181.
2- برهان غليون: مفكر سوري 1945 -)ولد بحمص بسوريا دكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون ويعتبر من بين المعارضين البارزين لنضام بشار الاسد (الرئيس السوري) وقد كان رئيس المجلس الأعلى لأصدقاء سوريا منذ مارس 2011 وهو تاريخ بداية الانتفاضة في سوريا لكنه سرعان ما استقال .

3-برهان غليون سمير أمين:ثقافة العولمة و عولمة الثقافة: سلسلة حوارات القرن الجديد. ط2 . دار الفكر دمشق2002 .ص153.
4- مالك بن نبي مشكلة الثقافة (مشكلة الحضارة) ص:91/90.

أصحابه الى مناقشة أرائه وتقاريره، ففي يوم بدر نراه (ص) يحدد ميدان المعركة في المكان الذي ظهر له الأنسب ولكن أصحابه من الأنصار إقترحو مكانا غيره وقد ظهر له أصلح بالنسبة إلى الحاجة الحربية وتقول السنة التي تروي لنا هذا الخبر أن النبي عليه الصلاة عدل رأيه لوجهة نظر صحابته. وجاء الخلفاء من بعده يشجعون النقد ويقبلونه حتى لو طال ارائهم فكان عمر يدعو المسلمين إلى تقويمه عند الخطأ والنصيحة له إذ غفل فعندما أراد عمر في أيامه أن يضع حدا أعلى لتقدير المهور حتى يتسني الزواج لكل مسلم فأبدي رأيه في الموضوع من المنبر ولكن إمرأة عجوز خالفته في الرأي مستشهدة بتحديد الصداق إلى تقدير الزوجين أنفسهما وما كان موقف الخليفة إلا إن قال **"أصابت إمرأة وأخطأ عمر" 1** ولا يقوم تغيير حقيقيي في المجتمع الإسلامي اليوم إلا إذا قام على أساس حرية النقد الذاتي بعيدا عن المعاملات العاطفية التي ما تزال مع الأسف تحتل جزءا هاما من خطابات المسلم اليوم الذي لا يجد حلا لمشكلاته إلا من زوايا ذاتية ناتجة عن الأذهان المشلولة بثقافة (السهولة أو الاستحالة)، وهي ثقافة بعيدة كل البعد عن ما هو منطقي موضوعي. وهو ما يؤدي إلى أحكام عاطفية تجمد حركة الفكر والفعل معا وغياب النقد في مجتمعاتنا ودخول العالم الإسلامي في متاهات وسعت من دائرة التقهقر وزادت من سلسلة الهزائم التي ألمت به (العالم الإسلامي) في السنوات الأخيرة **2** ولهذا فكان مالك بن نبي يدعوا إلي ضرورة قيام (علم اجتماع)على أساس النقد الذاتي الموضوعي العلمي النزيه والتخلص من عقدة الرفض بدعوى أن النقد يكشف المعوقات والعراقيل الذاتية التي يتخبط فيها المسلمون حاليا **3**

1- مالك بن نبي: تأملات.'(مشكلة الحضارة) ص 84/85.

2-وكأن القدر أراد أن ينتقم من المسلمين حيثما كانوا ،فمعضم الثورات التي يشهدها العالم اليوم نجدها ه في البلدان الإسلامية التي تدفع فيها كل يوم فاتورة جهلها وغباءها

3-مالك بن نبي : بين الرشاد والتيه ، دار الوعي للنشر والتوزيع ط1 2013. رويبة الجزائر (منشور اصلا من قبل دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر بسوريا سنة 1978)ص.37/35.

الفصل الثاني:

وسائل التغيير وأهدافه

تمهيد:

لقد ظل العالم الإسلامي على هامش التطورات التي حركت التاريخ، كأنه لم يكن له هدف يسعي إليه ولا طموحات يحققها . وقد استسلم المريض للمرض بحيث نجد كل مصلح قد عالج الوضع الراهن تبعا لرأيه أو مزاجه أو مهنته، فقد رأى رجال الدين أن المشكلة لا تحل إلا بإصلاح العقيدة والوعظ في حين ذهب رجال السياسة إلى أن المشكلة سياسية وبذلك فهي تحل بوسائل سياسية. فى حين أن هذا التشخيص لا يتناول في الحقيقة المرض بل يتحدث عن أعراضه، وكانت الطرق والوسائل التي اتبعناها أنذاك تشبه ذلك الطبيب الذي يواجه حالة مريض بالسل الجرثومي فلا يهتم بمكافحة الجراثيم، وإنما يهتم بإسكات هيجان الحمي عند المريض، شأنه إذن شأن العالم الإسلامي الذي يشكو من ألام كثيرة (الإستعمار-الأمية-الكساح العقلي.....) وهو لا يعرف حقيقة مرضه ولم يجد الوسائل الضرورية لتغيير حياته. ومن أجل هذا دعا المفكر مالك بن نبي إلى ضرورة إيجاد الوسائل الأساسية من أجل تغيير الواقع المرير الذي تتخبط فيه شعوب العالم الإسلامي منذ زمن بعيد، حيث يعتبر التغيير من السنن الخالدة التي وردت في القرأن الكريم والتي إستخلصها الباحثون في التفسير الإسلامي للتاريخ، ولهذا رأى فيه الأستاذ مالك بن نبي مفتاح الحركية التاريخية والحضارية.**1** وقد ركز في كل أبحاثه على ضرورة تجديد الإنسان بالدرجة الأولي وهو ما يسميه ب الإنسان المتحضر لأنه العنصر الأول والأساس في معادلة الحضارة وهو محور التغيير من حيث بعده النفسي والزمني ويشكل بعده الديني أساس التأثير الإجتماعي. وتظهر أهمية الإنسان من خلال إستقرائنا للواقع حيث يعود سبب فشل نهضتنا وتقهقرنا إلى عدم قدرة قادتنا على تشخيص أسباب التخلف والانحطاط التي تضرب في أعماق الجذور النفسية في ثقافة إنسان ما بعد الموحدين. كما يعود إلى أسباب فكرية تتمثل في فشل جهود رجال السياسة في إيجاد الوسائل الناجحة التي تناسب حركة التغيير.أي أن المشكلة تكمن في ثقافة المجتمع، وهو ما يقتضي بحثا في وسائل فكرية لحلها **2** ولأجل ذلك نجده يقول حتى الثورة لا تستطيع الوصول إلى أهدافها، إذا لم يغير الإنسان ،بطريقة لا رجعة فيها، سلوكه وأفكاره وكلماته .ولهذا يتبادر إلي أذهاننا هذا السؤال المهم **: لماذا ركز بن نبي علي عملية التغيير كخطوة أولى** في **عملية التجديد الفكري الثقافي والإجتماعي** :**ماهي الوسائل الضرورية و اللازمة من أجل تحقيق هذه الغاية عنده؟:**

1-مالك بن نبي: شروط النهضة:ص 39/38.
2-مالك بن نبي:بين الرشاد والتيه ص36.

1-وسائل التغيير: حدد مالك بن نبي مجموعة من والوسائل المادية والمعنوية التي بواسطتها يتخلص الإنسان المسلم من عقدة التخلف والإلتحاق بالركب الحضاري مثله مثل باقي الأجناس الأخري،ومن بين هذه الوسائل نجد بالدرجة الأولى

-الإنسان: إن الحديث عن التغيير عند مالك بن نبي يجرنا حتما إلى الحديث عن تغيير الإنسان بالدرجة الأولى لأنه يمثل العنصر الفعال في عملية التغيير، ذلك لأنه (بن نبي) جعل منه المادة الأولية والأساسية الذي يجب أن تتجه كل مجهوداتنا من أجل تغييره ،وهو يمثل الأصل الذي تقوم عليه الوسائل ألأخرى، وهذا عن طريق التخلص من عقلية ما بعد الموحدين ومن سيطرة الغرائز العمياء . لأننا نجد المسلم اليوم لا يكترث بمعرفة كيف تم إبداع الأشياء، بل نجده يهتم فقط بكيفية الحصول عليها .فالمثقف المسلم عوض أن ينظر إلي الثقافة الغربية في مصانعها ومخازنها ويغوص في أعماقها، نجده يكتفي بالسطحيات لأنه لم يجرب حياة أوروبا الحقيقية وإنما قرأها فقط أي تعلمها دون أن يتذوقها. فهو عوض أن يقتبس من الحضارة الغربية فاعليتها وطريقتها في البناء الحضاري وهندسته نجده مفتونا بترفها ومنتجاتها، ولهذا السبب نجده يصر ويلح على ضرورة إعادة تشكيل عالم لأشخاص. ففي نظره لاوجود في المجتمع لعالم الأفكار ولا لعالم الأشياء إلا بوجود عالم الاشخاص لأنه هو الذي أوجد هاذين العالمين وطورهما كما أنه يمثل القاعدة الصلبة التي ينطلق منها كل عمل تاريخي مشترك**1** .و من أجل إعادة بناء هذا العالم يركز بن نبي على عملية تكييف الإنسان المسلم إجتماعيا حتى تصبح كل تصرفاته وإنعكاسته غير منافية لقوانين المجتمع ويتم ذلك عن طريق إحياء سلطة ضمير الإنسان وربطها بالمثل العليا من أجل توجيه عمله نحو غاية سامية تليق بمكانته كإنسان **2** لأن الذي ينقص أفكار المسلم اليوم هو"الإرادة" و" التركيز" ولهذا كان بن نبي يلح على ضرورة إيجاد أفكار علمية يواجه بها كل جيل ظروفه التاريخية الخاصة وذلك من خلال إيجاد المنطق الذي يربط بين عالم الأشياء والأفكار وبين وسائلها وأهدافها.لأن المشكلة التي يعاني منها المسلم اليوم (من الناحية الداخلية) تتضمن في مقابلة كل مشكلة داخلية بحلول ترقيعية وهو ما يعرف بالعامية ب(سياسة البريكولاج) فالجهل مثلا يعالجونه بتوفير المعلومات وحشوها في أذهان غير قابلة للإستيعاب بينما الفقر يعالجونه بتوفير العمل وتوزيع الثروات. **3**

1-مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي ،ص 74/70.
2-مالك بن نبي،ميلاد مجتمع ص65/49.
3-مالك بن نبي :مشكلة الثقافة ص87.

في حين أن المشكلة أصعب مما نتصورها واخطر من ذلك، لأن محاربة الجهل يكون بواسطة التعليم الذي يرتكز على بناء الشحصية الجديدة التي تتفق ومستجدات الإنسان المعاصر القائم على فكرة التوجيه **1** ومن بين هذه القوى الأساسية التي يتخذها التوجيه قاعدة له نجد التوجيه الأخلاقي، فالأخلاق أساس جوهري في البناء الثقافي فهي أساس التماسك بين أفراد المجتمع لأن مصدرها هو الدين الإسلامي الحنيف الذي يحمل كل معاني التسامح وتقوية الروابط الاجتماعية .والدليل على ذلك ما قام به الرسول عندما أخى بين المهاجرين والانصار، فلا عبرة من الإسلام المجرد الذي يتركه المسلم عند عتبة المسجد,بل العبرة بالإسلام العملي المجسد (قيما وسلوكا) فنحن نريد الإسلام المتحرك في أذهاننا المزعزع لضمائرنا الميتة، الذي يعلم الفرد كيف يعيش مع بقية أفراد المجتمع وهذا بزرع أخلاق البذل والعطاء وفقا لمنطق الواجب ونبذ الأنانية والمصلحة الفردية، لأن الأخلاق ليست فقط مشاعر مجردة أو نظريات جامدة، بل هي قيم اجتماعية نابعة من الإيمان القوي للإنسان **2**

وللجمال كذلك تأثيره الفعال والكبير على الإنجازات العملية وتغيير الأفكار فتأثيره واضح على نفسية الفرد وإبداعه الفكري والعملي .أما القبح فهو قرين التخلف والمهانة لهذا يقال "**إن الله جميل يحب الجمال**"والطهارة كما هي طهارة البدن والثوب فهي أيضا طهارة النفس والخلق ، وبالذوق الجمالي يجد الإنسان في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل ولا يتكامل أي مشروع دون غرس ذوق الجمال في عادتنا وأدابنا الإجتماعية وأساليب حياتنا. بحيث يحقق في مجتمعنا التناغم والانسجام يمثله الإحسان. وعلاقة الذوق الجمالي بالمبدأ الخلقي وثيقة الصلة حيث تتكون الحضارة الثقافية في نظره حسب المعادلة التالية :[مبدأ أخلاقي + ذوق جمالي =اتجاه الحضارة]. لكن بشرط أولوية الأخلاق على الذوق الجمالي وهو الذي طبع حركة المجتمع الإسلامي. عكس القضية:[تقديم الذوق الجمالي على الأخلاق] كما هو طابع عند الحضارة الغربية اليوم والتي ورثت مقاييس الجمال عند الحضارة الإغريقية حيث يبرز الجمال من خلال الجسد العاري للرجل وللمرأة (كما يجسده فن النحت عندهم) وهوما يقود الغرب اليوم إلى مأزق إجتماعية خطيرة **3** وللتوجيه العملي دور في غرس منطق العمل والفعالية في نفسية الفرد حتى

1-التوجيه عند بن نبي :يعني قوة في الأساس وتوافقا في السير ووحدة في الهدف
2 -مالك بن نبي: شروط النهضة ص 90/89.
3-نفس المرجع السابق ص :101/ 103/102

لا ينشا ثرثارا ولا خاملا، وهو ما يتنافى تماما مع الجدية والفعالية المطلوبة لمواجهة تحدي ما. فبواسطة المنطق العملي يواجه المسلم مختلف التحديات حيث ينتقل من مرحلة التفكير من أجل الكلام المجرد إلى مرحلة التفكير من أجل العمل المتجسد النافع له ولمجتمعه، وهو من لوازم الفعالية التي يعني إستخراج أقصى فائدة من الإمكانيات المتاحة، ولعل سبب تركيز بن نبي على المنطق العملي هو ما شاهده في المجتمع الغربي حيث إنتشرت الفلسفة البراغماتية النفعية العملية التي كان لها دور فعال في التوجه العملي في المجال التنموي والتوسع في الكشف العلمي**1** فالعبرة عندهم بالنتائج **المهم لذة وكفي** وهو المبدأ الذي تتعامل به اليوم الفلسفة البرغماتية الامريكية تحت شعار***"ليس لدينا أصدقاء دائمون ولا أعداء دائمون وإنما مصالح دائمة*** " بالإضافة إلى التوجيه الصناعي الذي نعني به ذلك النشاط الإنتاجي الفعال الذي يدخل في تطبيقات العلوم التقنية. وتلعب التربية دورا فعالا في توجيه المجتمع نحو العمل المنتج الذي تحتاجه البلاد في مسارها التنموي. بحيث يعتبر العمل أساس كل نهضة فهو وسيلة للفرد لكسب عيشه وهو أصل ديننا حيث قال الله تعالى**(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)2** . فالعمل في الإسلام عبادة وهو واجب شرعي قبل أن يكون واجبا إجتماعيا لذا يحرم الإسلام البطالة الإرادية مع القدرة عن العمل، فكما يقول الرسول (ص) **لعن الله العبد الصحيح الفارغ.** وفي قوله أيضا (ص) من **إكتسب قوته ولم يسأل الناس لا يعذبه الله يوم القيامة** "ويقتضي التوجيه في العمل إنسجام الجهود فى أعمال مختلفة تتكامل في إطار نسيج إجتماعي حيث تجمع بين جهد الفلاح بجهد الحرفي والإداري والأستاذ.ونستنتج في الأخير أن توجيه عناصر الإنسان شرط أساسي في التغيير الإجتماعي حيث نجد: **التوجيه الخلقي**: يحقق الربط والتلاحم بين الأفراد.ثم **التوجيه الجمالي**:يحقق الانسجام والإحسان والتناغم فكما يقال:كن جميلا تري الوجود جميلا وبعدها **التوجيه العملي**:يحقق الفعالية، حيث يقال فى معظم أحاديثنا اعوذ بالله من البخل والكسل وأخيرا**التوجيه الصناعي**:يحقق التنمية المستدامة. تجسيدا لمقولة المفكر الفرنسي فولتير **Voltaire** إن العمل يبعدنا عن ثلاثة :القلق الرذيلة والحاجة **3**

-الثورة:الثورة عند بن نبي بمثابة وسيلة التغيير السريع لأوضاع الإنسان الإجتماعية، السياسية والثقافية؛ ولكي تحدث الثورة تغييرا لا بد من وجود شروط أهمها:

1-مالك بن نبي: شروط النهضة ص97.
2-سورة التوبة الأية 105.
3- نفس المصدر السابق ص 10 (بالتصريف)

- وجود مضالم إجتماعية وسياسية كافية لإحداث الثورة. (جرائم الإستعمار).بالإضافة إلى انتشار الوعي لدى الشعوب الذي يكون, مصدره دينيا من القرأن الكريم. أو قد يكون عن طريق التوعية وهذا ما لا حظناه خلال ثورة التحرير المجيدة حيث أدرك الشعب الجزائري بما فيه الطبقة المثقفة (الأحزاب والمنظمات) أن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بها ولهذا يستوجب أي عمل مسلح وجود قيادة فنية ذات كفاءة لأن نجاح العمل الثوري أو فشله مرهون إحتفاضها بمحتواها وهي تمثل تطورا تاريخيا مستمرا وإذا حدث أي خلل في هذا النمو وفي هذا التطور فقد تكون النتيجة زهيدة ومخيبة للأمال والنموذج واضح في الثورات العربية التي باء معظمها بالفشل بسبب سوء التخطيط وانتهاج سياسة المنطق المقلوب**1** ولا ترتبط الثورة بالعنف إلا في مرحلة ما قبل الأستقلال حيث تقوم على أساس تصفية الإستعمار من النفوس وهو العمل الذي يستمر حتي بعد إخراج الإستعمار من البلاد، إذ أن الاستقلال الجغرافي لا يعني الإستقلال الحضاري وإهمال هذه الحقيقة يبقي الاستقلال شكليا والأرضية مهيأة لعودة الإستعمار من المباشر إلى الاستعمار غيرالمباشرعلى نحو ما يعكسه الواقع عندنا. حيث يجب وضع الثورة في إطارها الحضاري لأن إهمال ذلك من شأنه أن يوقع الثورة في فتن وثورات داخلية كما حدث لليبيا وللعراق وسوريا. لأن رجال السياسة طرحوا المشكلة كمشكلة سلطة الكرسي لا كمشكلة الحضارة **2** ويوجه مالك بن نبي أنظار هؤلاء الساسة إلى صياغة فكرة الواجب ضمن مشروع تربوي تغرسه في ضمير كل مواطن وكل زعيم ونلمس من حديث مالك بن نبي أن كلامه الموجه لقادة الثورة الجزائرية مدفوع بروح المشفق على مصيرها الخائف من مغبة انحرافها عن المبادئ التي انطلقت منها ثورة نوفمبر**3** **ولهذا دعا** إلى ضرورة تحصين الثورة من خطط الاستعمار وهذا **بتدعيم الحاسة النقدية** و تشجيع النقد الذاتي لمعالجة أي خلل قد يظهر في البنية الداخلية مع دراسة أليات الصراع الفكري الخفية.وعلى هذا الأساس إنتقد بن نبي بكل شجاعة بعض الشخصيات التاريخية الجزائرية **4** لأن الإستعمار نجح في تصنيع زعماء بما يحرف الطاقات الثورية

1-مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه ص 12/.11.
2-نفس المرجع السابق ص:46/43/29.
3-مالك بن نبي: من أجل التغيير،ط1،دمشق:دار الفكر،بيروت. دار الفكر المعاصر 1978،ص 84
4- حصة شاهد علي العصر من إعداد أحمد منصور في تاريخ 2003/01/08. إستضافت الرئيس الاسبق أحمد بن بلة حيث تطرق إلى ماذهب إليه مالك بن نبي عن الشهيد عبان رمضان وا مصالي الحاج

-العنف: لا نقصد بالحديث عن العنف إستخدام القوة في إخراج الإستعمار من البلدان الإسلامية،وإنما المقصود بالعنف في هذا المبحث هو منهج الحركات التغييرية في استعمال القوة المسلحة من اجل إحداث التغيير في مرحلة ما بعد الاستقلال وبالخصوص في المجتمعات الإسلامية المعاصرة؛ وفي هذا الاطار يمكن أن نعرف العنف بأنه:هو كل عمل يضغط به شخص على إرادة الغير لسبب أو لأخر،وهذا العمل يتضمن استعمال القوة مع إلحاق الضرر به والنيل من حرمة حياته الجسدية والذهنية، **1**كما ان السلوك العنيف قد يكون فرديا أو جماعيا،منظما أو غير منظم علنيا أو سريا صريحا أو كاذبا**2** إن قضية إستعمال العنف في التغيير قضية معقدة جدا لانه تحكمه عدة عوامل مختلفة ومتداخلة وهو ما يشكل موضوع إنشغال العديد من العلوم بما فيها علم الإجتماع،وعلم النفس،والبيولوجيا وعلم الجريمة. وعن الأسباب الحقيقية التي تغذي العنف وتدفع الإنسان إلي طلب التغيير بواسطته نجد :ما يتعلق بالأسباب الإجتماعية والاقتصادية من تفاقم مشاكل البيت من فقر مدقع ويتم متوحش، وعلاقات إجتماعية مفككة وإرتفاع جنوني لأسعارالمواد الغذائية وانهيار القدرة الشرائية لدى المواطن البسيط ، وعن الاسباب السياسية والثقافية،نجد ماهو مرتبط ببقايا الاستعماروتسلط الحكم الديكتاتوري وتقييد الحريات،وإنتشار المظالم وإنهيارالقيم الأخلاقية وإنحطاط المفاهيم الثقافية كتدهور الكلمة الصادقة والصور المحتشمة والمقاومة الشرعية،كما نجد ماهو نفسي كالحسد والغيرة وفقدان الأمل والحرمان،وفي هذه الحالة يركز علماء النفس على عملية الكبت التي تجعل الفرد يسلك سلوكا عدوانيا ضد ما يعتبره المسوؤل الأول عن معاناته،وقد يصل به الأمر إلى إسترخاص الحياة إختيار الموت. إن اللجوء إلي إستخدام العنف من أجل التغيير ليس وليد اليوم وإنما إعتبر فلاسفة اليونان ومنهم (هيروقليطس) العنف أصل حركة العالم وبنائه وهو قصد عدواني لإثبات الذات، ومصدر التسلط وأداة شرعية لإسترجاع الحقوق المغتصبة، فهو أصل العالم ومحركه لأنه يمثل مصدر السلطة.وهو القانون المعمول به حتى في الطبيعة وهو ما يسمي ب قانون الغاب لان في الطبيعة القوي هو الذي يسيطر. فإنه إذن من العدل أن يكون الأمر كذلك حتي فى المجتمع الإنساني،أن يكون الأقوى هو المتفوق وصاحب السلطة ، فالعنف أصل البناء لأنه يولد مجتمعا جديدا

.

1-جمال الدين بوقلي حسن:اشكاليات فلسفية،السنة الثانية ثانوي،شعبة اداب وفلسفة،الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية 2006.ص285.

2-ابراهيم العبادي:جدليات الفكر الاسلامي المعاصر ط1 ،دار الهادي بيروت ،2001.ص 89.

.فلا يوجد عنف من أجل العنف أي لا يتحذ العنف من نفسه غاية ولكنه كوسيلة ضرورية للتغيير، ومن أجل ذلك يقول الفيلسوف الفرنسي "جون جاك روسو"ليس لنا فقط الحق بل من الواجب أن نثور إذا إقتضت الضرورة ذلك" . فالعنف لا تبرره الغاية السامية فقط، وإنما يبرره أيضا الدفاع عن النفس**"فالرجل الثائر هو الرجل الذي يقول لا1**

والمسلمون اليوم يبررون اللجوء إلى العنف وسيلة ضرورية للجهاد في سبيل الله أو لبناء دولة إسلامية وإن كانوا غير متفقين على طريقة استخدامه حيث تبنت الجماعات الإسلامية الجزائرية في مطلع التسعينات طريقة الجهاد كبديل للنظام السائد في الجزائر انذاك، بما فيها الجماعات المسلحة (GIA) (AIS) حيث سببت للأمة الجزائرية خسائر كارثية دفعتها من دمها ولحمها ومالها وشرفها وسمعتها والتى لايمكن تعويضها إطلاقا مهما طال الزمن ، حيث ضاعفت الجماعات المسلحة من مسافة التراجعات وزادت الامة تخلفا على تخلفها ومازالت اثار هذه الكارثة أو ما يسمي ب العشرية السوداءة إلى يومنا هذا **2**

4-التربية: التربية تتخذ من التغيير موضوعا وهدفا لها ،ويتخذ التغيير من التربية وسيلة و منهاجا له وتبرز التربية كوسيلة وكمنهاج للتغيير من خلال الممارسة التربوية التي تتطلب

1- جمال الدين بوقلي حسن: إشكاليات فلسفية،السنة الثانية ثانوي، ص 289/288/287..

2 - غير أن العنف الحقيقي وحسب ما لأحضه بعض المثقفين أمر في غاية التعقيد لأنه ليس مجرد رفع السلاح والمطالبة بتغيير الأنظمة والمؤسسات وإنما هو عبارة عن بحث دقيق في أسباب فساد الواقع وطبيعة السلوك الإجتماعي. وعن هذه الفكرة يري الباحث السوري برهان غليون أن التغيير ليس إستبدال نضام جاهز بنضام جاهز وناجز أخر،يختلف عن الأول في الشكل ومناقض له ويتفق معه في المضمون وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه معظم الإنقلابيون، ووقعت فيه الثورات العربية بما فيها ليبيا التي قضت على العقيد معمر القذافي وعوضته ب مصطفي عبد الجليل الذي كان وزيرا للعدل أيام فترة حكم القذافي ونفس السيناريو يتكرر في مصر حيث شهدت ثورة يونيو 2011.الإطاحة بنظام حسني مبارك،ليتولي السلطة المعارض البارز محمد مرسي الذي لم يحدث أي تغير بل زاد للوضع تأزما. إذن هذا التغيير الناتج من العنف (الربيع العربي)هدفه ليس تغيير حالة الشعوب المزرية وإنما طمعا في السلطة وحبا للمال والشهرة و لقد نقد مالك بن نبي هؤلاء الساسة الذين إتخذوا أساليب التهريج السياسي كوسيلة من أجل إثارة عواطف الجماهير بدعوة التغيير ظاهريا وحبا للزعامة باطنيا

اختيار الوسائل الأكثر نجاعة وانتهاج أفضل الطرق لإحداث الأثر (التغيير) المرتقب.**1** حيث تقتضي طبيعة المشكلة التي تعانيها المجتمعات الإسلامية ،والتي تبرز الخلل في ثقافاتها تحديد وسيلة التغيير الممكنة وهي التربية الإجتماعية كما حددها مالك بن نبي لأنها شرط إعادة البناء الثقافي. ولا يعطينا مالك بن نبي تعريفا مخصصا للتربية ، وإن لمسناها من خلال ملامح مستقاة من أطروحات فكرية مختلفة تعالج مسألة التحضر ومشروع إعادة البناء وفكرة التوجيه في الثقافة التي تناولها سابقا. فالتربية لا تقتصر على تعليم التلميذ وتربيته بقدر ما تعبر عن تغيير ثقافي شامل أي تغيير الإطار العام الذي يعيش فيه الفرد بما يحقق تحضر الإنسان وهو يعني"أن يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة. بحيث يمكننا أن نعتبر التربية من خلال إستقراء ما سبق بأنها ذلك الجهد المنهجي المنظم الهادف إلى بناء إنسان متحضرمن خلال توجيه أخلاقي بما يحقق التلاحم الإجتماعي، وتوجيه جمالي بما يحقق الإحسان والتناغم ،وتوجيه عملي بما يحقق الفعالية وتوجيه صناعي بما يحقق التنمية المستدامة.والوسائل لا تقتصر على المدرسة بأركانها المعروفة (التلميذ المتعلم والمنهج المدرسي)وحدها، بل تسبقها في الأهمية الأسرة (كما أشار مالك بن نبي في السابق)،والتي تعمل منذ ولادة الطفل على غرس القيم والمبادئ الخلقية وتوفير شروط الصحة النفسية والبدنية .كما تلعب وسائل الإعلام وخاصة التلفزيون دورا هاما قد يراه البعض أهم من دور المدرسة نفسها.**2** ولهذا يتأكد لدينا خطأ حصر المنظومة التربوية في التعليم المدرسي وحده غافلين عن تأثير وسائل الإعلام والوسط الإجتماعي ولا يمكن أن ينجح الجهد التربوي إذا كانت حركة التوجيه المدرسي تسير عكس حركة التوجيه الإعلامي مثلا، فالتربية الاجتماعية تساهم فيها جميع مؤسسات التأثير الثقافي، الأسرة المدرسة ،وسائل الإعلام والمسجد. ولا يتحقق أي تغيير خارجي بإنجاح مشاريع التنمية والتقدم إلا بتغيير داخلي يمس الشروط النفسية والإجتماعية أي تغيير شامل للأفكار والمفاهيم والسلوك . وليس هناك منهج لفعل ذلك غير التربية الإجتماعية، فلا جرم إذن أن يعتبر البعض التربية أعظم أداة استعملها الإنسان لتحقيق تقدمه. **3** ولهذا تعتبر التربية عملية استثمار اجتماعي لبناء الحضارة، يتجاوز الإنسان بها تحقيق التنمية الاقتصادية إلى ما يحقق تنمية اجتماعية

1-مالك بن نبي: شروط النهضة ص 89.
2-مالك بن نبي :ميلاد مجتمع ص:94.
3-محمد لبيب النجيحي:دور التربية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية للدول النامية ط2 دار النهضة العربية بيروت 1981. ص 13.

شاملة شرط أن تراعي أسس ثقافة المجتمع وحقائقها وخاصة قيمه الدينية، وإلا فإنها تتعرض لأضرار كبيرة 1 ولهذا كان تأكيد مالك بن ني على حاجة مجتمعنا إلى الاستثمار الاجتماعي (بناء الإنسان المتحضر) 2ولا يمكن أن يتكامل أي بناء لنظام تربوي – كما يرى مالك بن نبي ما لم تكن لدينا أفكار واضحة عن العلاقات والانعكسات التي تنظم الطاقة الحيوية على مستوى الفرد والمجتمع وقد ركز بن نبي على التربية الاجتماعية لأنها وسيلة التغيير وتمثل بناء الإنسان من خلال إعادة توجيه عناصر ثقافته حيث يتعلم كيف يتحضر، لأن التربية الحقيقية ليست مجموعة من القواعد أو المفاهيم النظرية المجردة المنفصلة عن العوالم الثقافية للمجتمع (عالم الأفكار وعالم الأشياء) كما كان يظن بعض الحرفيين (وهم الذين يضعون أنفسهم ضمن المثقفين لمجرد حملهم لشهادات مدرسية) بل إن التربية ذات علاقة عضوية بالثقافة كوسيلة فعالة لتغيير سلوك وأخلاق الإنسان وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه وكيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن دائما،فالتربية عند بن نبي تستلهم قواعدها من علوم التاريخ وعلم النفس، فلا معنى للتربية إن لم تنتقل من مفهوم مجرد إلى واقع ملموس مطبق يعمل على تغيير الإنسان وبذلك يظهر المفهوم الوظيفي للتربية عند بن نبي في ربط المفاهيم بوظائفها **3** وبذلك فقد حرص على تحويل البرنامج التربوي مما هو مجرد إلى ماهو واقعي وبذلك طرح فكرة التوجيه (أي توجيه عناصر الثقافة بما يحقق الفعالية اللازمة للحصول على أحسن النتائج الممكنة، فالتوجيه مهم في التربية وهو ما يقتضيه مشروع نهضتنا حيث ترتبط بالدراسة والتخطيط العلمي لتحديد الأهداف والوسائل الضرورية التي تحققها باختصار الوقت والجهد حتى لا نقع في ظواهر الإسراف والتكديس، ففي عالم الأفكار مثلا لا يكفي إنتاج أفكار جديدة إذ لم نوجهها طبقا لوظيفتها الإجتماعية التي تعمل على ترقيتنا وتحضير مجتمعنا **4** ولعل الهدف الأساسي الذي يصبو إليه بن نبي من خلال تركيزه على ضرورة نقل الطابع التربوي مما هو مجرد إلى ما هو تطبيقي هو حرصه على ضرورة تشييد حضارة ذات أسس متينة تعمل على توليد أليات تتحرك بإستمرار حفاظا على مركزها من جهة وتجسيدا لحضورها العالمي وتكريسه من جهة أخري وذلك بارتقائها إلى مستوى امال وتطلعات الإنسانية، الذي يتم عن طريق التغيير الثقافي والإجتماعي و هذا البديل هدفه خلق مجتمع لم

1-نفس المرجع السابق ص88. 124-

2- مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه ت /عبد الصبور شاهين ط 1 /دار الفكر دمشق 1978 ص 34.

3- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع ص 100/99/78

4-.مالك بن نبي :مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ص68

يوجد بعد **1**. أي مجتمع تتجسد فيه سمات التحضر ويجد فيه كل فرد من أفراده الضمانات الضرورية، المادية والمعنوية لنموه في كل طور من أطوار حياته هذه الضمانات التي تمكن كافة الفعاليات في المجتمع من التعبير عن قدراتها وإرادتها. فبالنسبة لمالك بن نبي إن المجتمع الذي لا يسعى لأن يكون "مجتمع حضارة فهو معرض للحرمان من هذه الضمانات وأن تحقيق الحضارة يعني تحقيق جميع شروط الحياة2 .إن العمل على خلق مجتمع غير موجود أصلا يتضمن عند بن نبي، تقييمه للوضع السلبي الذي أصبح يميز الواقع الثقافي والإجتماعي العام للمجتمع المسلم في مرحلته التاريخية الحالية. وهو السبب الذي جعل من فكرة التغيير عنده هدفه الأول الذي لابد من تحقيقه . ومن أجل ذلك يرى بن نبي أن ضرورة تجديد الأوضاع الحالية تقتضي إنتاج طريقين متعاكسين تعبيرا ومتكاملين مقصدا: ففي المرحلة الأولى ينبغي القيام بتصفية عادتنا وتقاليدنا'**(3)**. أي بطريقة تفصلنا عن رواسب الماضي" . وهذا ما يعرف عنه "بالتجديد السلبي" وفي مرحلة لاحقة ينبغي القيام بعملية تطعيم هذا الوسط الثقافي بأفكار فعالة تبعث فيه الحياة من جديد ،أي بطريقة " إيجابية توصلنا إلى الحياة الكريمة" وهذا ما يسمى ب" التجديد الإيجابي.حيث أن هذا التغييرالذي يريده بن نبي لن يتحقق في نظره إلا باستعادة المجتمع لمبررات وجوده الأصلية المؤسسة على قيم الروح، لهذا نراه كما وضحناه أنفا يتحدث عن التغيير من منطلق إعادة البناء .ويركز في عملية إعادة البناء على هذه الخصوصية الثقافية، إذ يوجهها نحو غاية سامية تتجسد قي تبليغ " رسالة عالمية" أصلية محملة بمعاني السلام والإخاء والعدل والمساواة والتعاون ولا يتوقف هدف بن نبي عند تحقيق التغيير الذي ينتهي بإقامة حضارة ونهوضها المقدس النبيل ، بل يتعداه إلى البحث عن الآليات التي تحفظ التغيير من التراجع والمجتمع من النكوص. لهذا كان هدفه أيضا هو التركيز على التجديد المستمر للحوافز والمبررات للإبقاء على الحالة الحضارية، لأن استمرار الحضارة يدل عليها وجود حركة دائبة تخضع في عملها لقانون فيزيائي"ثابت وهي النظرية التى أشار إليها إبن خلدون ونعني بها أن الحضارة في نظره تدوم مدة 120 سنة ثم تعود إلى نقطة الصفر (4).

لكن السؤال الذي يعترضنا هنا هو كيف يمكن توليد هذه الحركة الآن ؟ بمعنى انه كيف يمكن إيجاد الشروط الأولية لهذه الحركة في مجتمع يغلب عليه الركود؟

1- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة ص 38.
2- مالك بن نبي: تأملات ص 16.
3-مالك بن نبي: مشكلة الثقافة ،ص 17.
4- مالك بن نبي تأملات ص 17

يربط بن نبي أسباب التغيير الأولى ، بالشعور العميق الذي يعتري الإنسان المسلم بثقل وضعه المتخلف، والوعي بوجوب التغيير الذي لا مناص منه. هذا الوعي هو الذي يكون سببا في تشكيل الحوافز الموقظة لتلك الإرادة النائمة و استعجالها لتحدي الوضع المتردي على حد تعبير أرلوند تويمبي.**Arnold Joseph Toynbee** ومن هذه الإرادة يأتي انطلاق الحركة و يأتي الإقلاع الحضاري .وذلك عبر " تنمية الوعي" في تنمية الشعور بالذات، أي بوضعيتها ومصيرها التاريخيين (تخلفها وتبعيتها) والوعي بطبيعة الصراع الحضاري التاريخي .وهذا الوعي من شأنه أن يوجد المبررات التي يستمد منها الإنسان كل معاني ودلالات وجوده وبالتالي يوجد حوافز العمل التغييري ويغذيها. وهذه التربية هي التي تقوم بتنمية الوعي وتصاحب الإنسان في كل تفاصيل العمل التغييري الذي يقوم به و في جميع خطواته البنائية. وتتجسد تربية الإرادة لدى مالك بن نبي في رفض الإنسان المتحضر لوضعه السيئ وفي سعيه الجاد للتخلص منه وتغييره بما يلائم منزلته بصفته مسلما وهو ما يعبر عن إستجابة هذه الإرادة للتحديات المنتصبة أمامها وقهرها. وفي هذا ترجمة لفعالية هذا الإنسان المتحضر الناتجة من تربية الإنسان المسلم وتعويده على العمل الدؤوب والمتواصل، والتعامل الذكي مع شروط الحياة في ظل تخطيط مسبق يراعي حوافز العمل ووسائله وغايته، ويبين قيمته المادية والمعنوية وأهميته بالنسبة للفرد والمجتمع مبرزا في ذات الوقت مكانة كل من القلب والعقل واليد في كل نشاط ذي مغزى. مفيد **(1)**

-العقيدة ودورها في إحداث عملية التغيير:

أكد بن نبي على ضرورة تجديد النفس الإنسانية لأن هناك داء واحدا ينهش جسد الشعوب العربية في كل مكان بما فيه المغرب والشرق الأوسط منذ قرون، ذلك الداء هو فقدان الثقة بالنفس وما طبع أخلاقنا من الوشاية والتشهير.وهذا التردي المزمن هو الذي حمل الرؤساء العرب على فرض نظام صارم على شعوبها الذي لم يعر أدني إهتمام للتربية أو للتقدم. ومن أجل هذا عليه أن ينفض الغبار على نفسه ويسعى نحو مرحلة الحضارة التي تتسم بتركيب أصيل لعبقريتة الاسلامية. لكن هذا ليس بالآمر السهل وإنما يقتضي معرفة متعمقة بالانسان وإمكانيته ونقائصه. وعليه لكي نعرف الإنسان ينبغي أن نعرف أنفسنا وذلك أمر لا يتيسر لقادة العالم الإسلامي إلا إذا قامو بعملية استبطان دقيق لذواتهم وإ ختبار ضمائرهم الميتة و القاسية،

1-مالك بن نبي نفس المصدر السابق .ص34.

فإذا أراد الإنسان أن يعرف العيب الكائن في قضيب من الصلب يريد أن يتخذ منه محورا في الة ما،فإنه يخضعه لتحليل معين كأن يفحصه بالمجهر ليدرس بناءه الداخلي. كذلك الحال إذ ما أردنا أن نعرف الإنسان من حيث كونه محركا للحياة الإجتماعية، فإننا نحتاج إلى قدر كبير من الوعي والعمل وبهذه الطريقة ينقشع الغموض عن خبايا النفس لنتعرف أين ينبغي إحداث التغيير الضروري **1** الذي يتم حسب بن نبي بواسطة الدين والعقيدة لان عملية تجدد الإنسان لا تتم فقط من زاوية المادة كما يعتقد البعض بل نتناوله كلاّ غير متجزء (الكل غير المتجزء) فلا نستطيع أن نحدد شروط تغييره لو غاب عن أعيننا (الجانب الروحي).حيث يمثل العنصر الديني الطريقة التي يتبعها الإنسان لإستبطان ذاته،إذن فالإصلاح الديني ضروري بإعتباره نقطة تغيير اجتماعي .والعالم الاسلامي قد اعتمد على الجانب الديني لإحداث التغيير، ولعل الفضل يعود إلى مجهودات الشيخ محمد عبده ومدرسته .ف لأول مرة منذ قرون دار النقاش فمزق الصمت الذي خيم على الجامعات الإسلامية القديمة.وبدأ الفكر الإسلامي ينشط في الحقل الفسيح الذي مهدت له حركة لإصلاح التى كانت تدعو إلى الهدم من أجل البناء وإلى فكر منهجي يميز فيه المصلحون خبيث النوايا عن طيبها.وكان الشيخ محمد عبده يواجه وحده هذا العبء في عصره.فقدم أعظم مثال على العمل الأدبي لعالم لم يتعود على التفكير في مشكلاته، .وفي الجزائر قام بهذه المهمة على وجه الخصوص العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس حيث استطاع أن يخلص الجزائر من تلك التقاليد الزائفة التي كانت تتجسد في الطريقة المرابطية وقد نجحت هذه الحركات الإصلاحية في إزالة الركود الذي ساد مجتمع مابعد الموحدين.وهذا حينما غيرت أوضاع الحياة وعلمتهم حتى فن الذوق وبلاغة الأدب العربي،وهذا ما لمسناه في رائعة العلامة بن باديس: ***شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب.***

من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب

ولقد كان من أثر تلك الحركة الإصلاحية أن تجددت القيمة القرانية في ذات الإنسان فأصبحت قيمة منشطة ووسيلة فنية لتغيير الإنسان. إنتقل بها من عصر ما بعد الموحدين إلى عصر النهضة.كما قدر له أن يتخطي بالطريقة نفسها حياة المجتمع الجاهلي إلى حياة المجتمع الإسلامي .فليس من الممكن إذن انفصال فكرة الإصلاح التي خطت تلك الخطوات الكبيرة عن حركة التطور في العالم الإسلامي التي فتحت أغنى حقول النهضة في أعز أيام الأمة العربية

1- مالك بن نبي:وجهة العالم الإسلامي:ص:155/153/147.

وتعد الحركة الإصلاحية في التاريخ الإسلامي المعاصر أول محاولة إيجابية لاستحداث تركيب عضوي تاريخي، وكانت العامل الحاسم فى توحيد القلوب وصفاء النفس الإسلامية وهي أول جهد استهدف إعادة بناء المجتمع الإسلامي مسترشدا بالتخطيط الذي وضعه الرسول (ص)**1.** ولقد نقد بن نبي وجهة نظر الدكتور "محمد إقبال"الذي ظن أنه من الضروري الاعتماد على علم الكلام من أجل تغيير ذواتنا و أنفسنا،لان علم الكلام يتصل بالنفس الإنسانية وهذا يظهر في ميدان العقيدة. والمسلم كما نعلم لا يمكن له أن يتخلى عن عقيدته إطلاقا، فلقد ظل مؤمنا متدينا. وعليه فإن المشكلة لا تكمن في أن نعلم المسلم عقيدة وهو يملكها، وإنما المهم آن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية وتأثيرها الاجتماعي.أو بعبارة أخري ليست.مشكلتنا في أن نبرهن للمسلم على وجود الله بقدر ما نشعره بوجوده ونملأ به نفسه وهو ما يسميه بن نبي ب (تجديد الصلة بالله) فموسى وعيسى ومحمد (صلوات الله عليهم) لم يكونو علماء كلام ينطقون بأفكار مجردة ولكنهم كانو مجمعين لتلك الطاقة الأخلاقية التي أوصلوها إلى نفوس بشرية. ففي كل هذه الحالات الفكرة الدينية إستهدفت مباشرة ضمير الإنسان.**2**

-التنمية الإقتصادية وضرورة إعادة بناءها

لقد استبدل الاستعمار طريقة استعماره حيث عوض السيطرة العسكرية بالهيمنة الاقتصادية التي تضمن له البقاء في مناطق نفوذه السابقة . وهكذا إذن نرى أن المظهر قد تغيير أما المضمون فبقي على حاله لأن الرجل المستعمر(بكسر الميم) استبدل السيف الذي كان بيده بغصن من الزيتون مدعيا أنه رجل السلام وعليه يترتب على كل من يهمه أمر النهوض الاقتصادي في بلد إسلامي أو في العالم الإسلامي أن يمضي خطوة في تصفية منطق القضية لأن الأوطان العربية أحوج من غيرها إلى إعادة النظر في بناء إقتصادها.حيث باستطاعة العالم العربي أن يعيد للتراب وظيفتيه الاقتصادية وذلك بوسائله الموجودة بيده وليس بحلول مستوردة لأن الأوطان التي لا تستطيع الصمود ولا النمو إنما هى دول اصيبت بنزبف حاد

1- مالك بن نبي:وجهة العالم الاسلامي ص:158. /161
2- نفس المصدر السابق:ص 54/55./157.

يتمثل في هجرة العقول الدامغة (عقول أبنائها) نحو البلدان الغربية القادرة على شن العزائم ورفع الهمم في إطار الاقتصاد التكاملي حيث تكاثفت فيها العقول والأيدي والأموال في ورشة العمل المشترك في ظل اقتصاد متحرر. وهو ما عبر عنه خروشوف **Nikita Khrouchtchev (1)** في قوله "**إن أحسن دليل على صحة أفكارنا لهو نجاحنا الإقتصادي"2**

وحسبنا أن نقول أن الأسباب التي تطبع سلوك المسلمين لتكون أفكارهم أقل فعالية في الحقل الإقتصادي من أفكار غيرهم،هي أسباب مرحلية لأننا لو عدنا للحديث عن مثقفينا في المجال الإقتصادى نري أنهم وقفوا موقف اختيار وتفضيل بين (أدام سميث Adam Smith وكارل ماركس Karl Marx) فى حين أن القضية هي قضية تطعيم ثقافي للمجتمع الإسلامي الذي بإمكانه أن يستعمل إمكانيته الذهنية والجسمية .وبصورة عامة تجعل كل فرد فيه ينشط على أساس معادلة اجتماعية تؤهله لإنجاح أي مخطط اقتصادي.وبعبارة أخرى فالديناميكية الإقتصادية ليست هذه النظرية أو تلك،بل هي مرتبطة بجوهر اجتماعي وهذا ما نجده في تجربة الصين الشيوعية بعد أن عدلت ثورتها الإقتصادية (1966-1968) .فعلى المسلمين أن يوحدو إمكانياتهم لكي يحققوا في أقرب وقت ممكن شروط الإكتفاء الذاتي أي الحلقة الاقتصادية التي تستطيع الانغلاق على نفسها إذا ما اقتضت الضرورة ذلك ،ومن أجل النهوض بالإقتصاد الوطني والدفع بعجلة التنمية إلى الأمام لا بد من تحقيق أولا ما يسميه بن نبي ب:التنمية الاقتصادية شرطا أوليا وضروريا **3**

يمكن تعريف التنمية الإقتصادية عند مالك بن نبي،بأنها خطة نتبعها من أجل الخروج من حالة التخلف إلى الإقلاع الإقتصادي، **decollage économique**.إن هذا الإقلاع الإقتصادي ومخططه في نظر بن نبي يجب أن ينطلق من مبدأ إنتاج ما يمكن من الغذاء أوما يسميه ب: وسائل القوت.وفى هذا الصدد نجد مالك بن نبي يقول**: "فى بلداننا لا بد للتخطيط أن يعين ويشكل بكل وضوح وسائل القوت ووسائل التنمية" .4**

1- هو زعيم سوفياتي (1858-1964)عارض السياسة الستالينية بعد تسلمه الحكم. فى فترة حكمه حدثت ازمة الصواريخ النووية فى كوبا.تم تنحيته على الحكم بسبب تصرفه بدق حذائه على منصة الامم المتحدة كأسلوب احتجاج.

2 مالك بن نبي: المسلم فى عالم الاقتصاد، (مشكلات الحضارة) : (بإشراف ندوة مالك بن نبي) ترجمة عبد الصبور شاهين دار الفكر سوريا ط:9.سنة 2009 ص:98 -102-103.

3- نفس المصد رالسابق ص 11/09/

4- مالك بن نبي:مشكلة الثقافة:ص 135.

وتتمثل وسائل القوت في الزراعة ،ولذلك فعلى كل بلد متخلف فى محاولته للإقلاع الاقتصادي أن يهتم بالزراعة من أجل تحقيق التنمية والنهوض الاقتصادي للبلاد وهذا ما فعلته الصين في مخططها التنموي الذي مكنها من حل المشكلة الزراعية ولعل هذا ما جعل بن نبي يضع فى مقدمة كل تنمية ومخطط تنموي معادلته المشهورة **"كل الأفواه تأكل"**أما الوسيلة الثانية فتتمثل في سواعد وعضلات الرجال التي يجب تشغيلها بفعالية وتصنيفها باعتبارها جامد ة منذ سنين وعلى الإنسان المسلم إذن أن يشمر عن ساعد الجد، وأن يتعلم السير وحده في ميدان الاقتصاد دون يد تمسكه أي يقضي على التبعية في نفسه وفكره وجهده ،وأن يتقبل التحدي من أجل تحقيق التنمية المنشودة وتنظيم قطاعه بواسطة توفير المنتوج الزراعي الذي يزيد عن الإستهلاك الوطني قصد تصديره إلى البلدان المصنعة واقتناء ما يحتاجه البلد من الات ضرورية ومواد أولية خام تمكنه (البلد المتخلف)من تجهيز صناعته بآلات ضرورية.أما الوسيلة الأخيرة تتمثل في تحرير المادة الأولية وهذا عن طريق اتباع طريقتين ناجعتين وهما:

طريقة المقايضة: وهي مقايضة أو استبدال مادة أولية ب تجهيزصناعي.

طريقة التكتل: يجب أن توحد البلدان المتخلفة المالكة للمواد الأولية أسعار المواد الأولية في الأسواق العالمية، لكي تنقذ نفسها من سياسة المساومات ومن بخس قيمتها الشرائية في السوق. ولا يكتفي بن نبي بتوجيه العالم الإسلامي إلى طريقة الاستثمار الإجتماعي بل يوجهه أيضا إلى التعاون الإقتصادي وفق ما يسميه ب **"الاقتصاد الموحد" 1** الذي نراه بالتفصيل في الفصل الثالث

1-مالك بن نبي:المسلم في عالم الإقتصاد:ص ..26

2 أهداف التغيير:

تمهيد:

لا بد لكل شيء في الكون من هدف وحكمة، والتغيير عند مالك بن نبي تتحدد من خلال تحليله لمشكلات العالم الإسلامي من منطلق أن مشكلة أي شعب هي مشكلة حضارته والتغيير يهدف إلى بعث الحضارة من جديد لكن ليس بالمفهوم الغربي الذي آتى بالتغيير على حساب القيم الإنسانية والأخلاقية، النابع من فلسفات متعددة كالوجودية والبرغماتية، وإنما التغيير بالمفهوم الإسلامي الذي هو الارتقاء بالمجتمع إلى درجة التحضر.أي بناء حضارة متكاملة يتكامل فيها إشباع المطالب الإنسانية والروحية والمادية. ومن الأهداف الجوهرية التي نستطيع استخلاصها من خلال منهج التغيير في فلسفة بن نبي

-بناء الإنسان أساس كل تغيير:

كل مشروع تغييري لا يهدف إلى حل أمهات المشاكل مصيره الفشل المحتوم، لأنه لا يخرج عن إطار الترقيع الجزئي، ولذلك يجب التركيز على بناء الإنسان لأنه هو الذي يعطي للقيمة الحضارية عنصري (الزمن والتراب) وبذلك يكون هدف التغيير الأساسي هو بناء إنسان الحضارة أو تحضير الإنسان في كل أبعاده النفسية الإجتماعية وهذا بواسطة العمل الذي يغير الفرد من كونه فردا إلي أن يصبح شخصا، وهذا ما أكد عليه علماء الاجتماع مؤكدين بأن كل عمليات التنمية الاجتماعية هي عمليات تغيير حضاري. **1** .وإلى نفس الفكرة ذهب المفكر محسن عبد الحميد بقوله **(.فنحن في منهجنا التغييري لا بد أن نصوغ الإنسان المسلم من جديد قبل بناء العمارات وإنشاء المصانع وتعبيد الطرقات وتنظيم الحياة المادية ولا بد لنا أن نعيد إليه شخصيته المسلوبة وإنسانيته الضائعة وننقذه من عوامل الخوف والقلق كي نضعه على طريق التغيير والبناء الجديد"**

1-مالك بن نبي:تأملات ،ص. 192.
2 -محسن عبد الحميد:المذهبية الأسلامية والتغيير الحضاري: دار الفكر العراق ط 4 1423هجري العراق ص68.

فالمشكلة التي تواجه المسلمين هي مشكلة الإنسان الذي يعيش في عصر ما قبل الحضارة .لأن المسلم اليوم يضع مشكلاته في حدود الأشياء،أي فى الحدود التي لاتتسع لظروف الحياة المتغيرة في حين أن الأفكار وحدها تستطيع مسايرة الظروف كالظروف التي مرت بها ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، ويترتب على هذا أن العلاج الجذري لمشكلات التخلف ليس في مواجهة هذه المشكلات بوسائل جاهزة أنتجتها حضارة شقت طريقها نحو التقدم وخرجت من المرحلة البدائية المتسمة بمنطق الأشياء، بل لا بمواجهتها بإنشاء حضارة توظف الطاقات الإجتماعية الموجودة مهما كانت ظروف إنشاء وسائلها الفنية للتخلص من إنسان ما قبل الحضارة **1**

وقد ركز بن نبي على تغيير الإنسان الأفرو-أسيوي لأنه يواجه أزمة حضارة التي يجب عليه أن يحققها أي أن يحقق وضعا عاما يتفق مع الشروط الفنية التي من شأنها أن تخوله الضمانات الاجتماعية التي يتمتع بها إنسان المحور الشمالي.(على محور واشنطن موسكو) فيتغير بذلك وضع الحياة البشرية وتتغير معه كل القيم الحضارية وبالتالي ينتج تغيير كلي في طبيعة العلاقات بين المحورين. تلك العلاقات التي يمكننا وصفها اليوم: سياسيا تظهر في علاقات الإستعمار بالقابلية للإستعمار، واقتصاديا في علاقات الإنتاج الزراعي الصناعي بالمواد الأولية . فيجب إذن تغيير هذه العلاقات حتي لا يبق الحوار التاريخي بين الطرفين حوارا بين السيد والعبد وبين القوي والضعيف، بين متحضرلكنه دون مستوى الإنسانية الأخلاقي، ومتخلف دون مستوى الحضارة الإجتماعي. لأن كل تغيير اجتماعي على محور(طنجة جاركا) تفرض تغييرا أخلاقيا وسياسيا على محور (واشنطن وموسكو). ولعل هذا التفسير نوضحه أكثر بتاريخ اليابان الحديث الذي بادر إلى تغيير كل أوضاعه الاجتماعية منذ الهجوم الاستعماري سنة 1853. وبذلك تكون اليابان قد دخلت الحضارة من بابها الواسع وهذا بواسطة التغيير الداخلي الذي يمتد نحو تغيير العلاقات الخارجية السياسية وهذا ما جعل بريطانيا تجري وراءها من أجل عقد تحالف ومحبة بين الدولتين ،ولم تلغها بريطانيا إلا سنة 1925 .بعد أن كان لها أثرها '(اليابان) الفعال في الحرب العالمية الأولى، وخلال هذه الفترة بدأت المنافسة اليابانية القاسية حيث اكتسحت اليابان أسواق جنوب أسيا وقامت بتهديد مصالح بريطانيا الإقتصادية ذاتها **2.**

---

1 مالك بن نبي: تأملا ت:ص 62/60 .
2- نفس المرجع السابق ص119.

لقد أشرنا إلى النموذج الياباني لكي نبين أن كل تغيير يحدث على مستوى الحياة النفسية يؤدي حتما إلى تغيير في طبيعة العلاقات السياسية وبالتالي بناء الحضارة.، لنصل إلى استنتاج مهم وهو أن اليابان عندما نزلت بأرضه القوات الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية نزلت من أجل الإحتلال العسكري لا من أجل الاستغلال العسكري كما هو سائد لدى مستعمراتها الأخرى كالفيتنام لأن العهد الميجي قد محا من النفس اليابانية ما يطلق عليه ب القابلية للإستعمار نهائيا. يشير بن نبي الى ضرورة إستخلاص الدروس من الأمم والشعوب التى سبقتنا إلى التطور والحضارة، فتجربة اليابان تعطي للتضامن الإفريقى الأسيوي معناه الفعال في إدراك الشعوب مدى خطورة الاستعمار لأنها (التجربة اليابانية) غرست روحها في كيانها محققة بذلك القاعدة الإيديولوجية التى لا كيان لسياسة بدونها. ومن الناحية التطبيقية فإنها تحرك أقصى ما يمكن من الطاقات الإجتماعية لمواجهة أكثر ما يمكن من المشكلات الحيوية، ولكن بشرط أن يكون العمل بناء ، لا عمل تكديس لأن الحضارة لا تصنعها كومة من الأشياء المتوفرة وإنما هي بناء تطبعه فكرة معينة، كما تطبع فكرة المهندس المعماري العمارة التي شرع في بناءها. وإذا ما توفرت هذه الشروط في إنسان الأفرو-أسيوي فإن موجة جديدة من التقدم والتطور ستغمر تاريخ الإنسانية من طنجة إلى جاكرتا،**1**

لكن وبكل أسف نحن الأن نعيش في القرن الواحد والعشرين وأن موجة جديدة من الاستعمار غمرت تاريخ البلدان الأفرو_أسيوية بما فيها (سوريا،مصر،العرق،السودان،مالي)التي أصبحت اليوم مسرحا للعنف والتطرف ومشاهد القتل والاقتتال التي لا تكاد تفارق حياتنا اليومية. أما نحن الدول التي نالت استقلالها حديثا فقد قذفتنا أمواج الإستعمار إلى اليابسة بعدما أنهكت قواتنا وإمتصت ممتلكاتنا وهجرتنا أدمغتنا وكل هذا لم يغير من أنفسنا شيئا ولم يحرك من ضمائرنا الميتة، ولم نستخلص منهما درسا...فمتي نفهم؟ **2**

2-تحقيق الديمقراطية: أكد مالك بن نبي ضرورة إعادة النظر في المفهوم الحقيقي لمعنى الديمقراطية حيث يجب تحديدها دون ربطها مسبقا بأي مفهوم أخر كالإسلام أو العلمانية بل يجب النظر إليها من ثلاثة وجوه

1-الديمقراطية بوصفها شعورا نحو الأنا وهي الفكرة نفسها التي أشار إليها دوتوكفيل حيث

1-مالك بن نبي:تأملات.ص 120.
2-بالتصريف

يري أن المعني الحقيقي للنظام الديمقراطي هو الذي يقيم العلاقات بين الأفراد على أساس التعاطف والشعور بالمحبة والحنان وليس رعاية المصالح الفردية

2-الديمقراطية بوصفها مجموعة الشروط الإجتماعية السياسية الضرورية لتكوين وتنمية هذا الشعور في الفرد حيث عندما يشعر الناس بالتعاطف إزاء بعضهم البعض فإن معني ذلك أن الروابط التي تجمعهم متينة وقوية وأنه من السهل مد يد المساعدة متي إقتضت الضرورة ذلك

3-الديمقراطية بوصفها شعورا نحو الأخرين. فهذه الوجوه الثلاثة تتضمن بالفعل مقتضيات الد يمقراطية الذاتية والموضوعية، أي كل الاستعدادات النفسية التي يقوم عليها الشعور الديمقراطي، فلا يمكن أن تتحقق الديمقراطية واقعا سياسيا، إن لم تكن شروطها متوفرة في بناء الشخصية، فالشعور الديمقراطي هو نتيجة لهذه الحركة عبر القرون، ولهذا التقدير المزدوج لقيمة الإنسان **1** فإنجلترا مثلا تتمتع بحياة ديمقراطية ممتازة دون أن يكون في أساسها نص دستوري خاص يحمي الحقوق والحريات التي يتمتع بها فعلا الشعب الإنجليزي.وإنما تحميها تقاليد الشعب ذاته وعاداته وأوضاعه النفسية وأعرافه الإجتماعية، فليست الديمقراطية في أساسها عملية تسليم السلطات تقع بين طرفين معينين (بين الملك والشعب) بل هي تكوين شعور وإنفعالات ومقاييس ذاتية وإجتماعية تشكل مجموعها الأسس التي تقوم عليها الديمقراطية في ضمير الشعب. وما الدستور إلا النتيجة الشكلية للمشروع الديمقراطي يدل عليه نص توحي به عادات وتقاليد .فالإسلام منح للإنسان قيمة تفوق كل القيم لأنها القيمة التي يمنحها له الله في قوله" **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**" **2** والاية التى تنص على هذا التكريم تبدو وكأنها نزلت لرسم دستور ديمقراطي يمتاز عن كل النماذج الديمقراطية الأخرى .فالتقويم الإسلامي يضفي على الإنسان شيئا من القداسة ترفع قيمته فوق كل القيم، فالإنسان الذي يحس بتكريم الله له يشعر بوزن هذا التكريم في تقديره لنفسه وللأخرين **3** فهدف الديمقراطية هو تطعيم الإنسان وتحصينه ضد النزعات المنافية للشعور الديمقراطي وتصفية هذه النزعات في نفسه حيث أننا كثيرا ما نقع في

1-Alexis de Tocqueville: ***De la démocratie en Amérique*** **, première partie, chap. III** ***I*** **Paris, coll.** ***Bouquins*****, Éditions Robert Laffont, 1986.p106**

2-سورة الإسراء الاية 70

3- مالك بن نبي:تأملات،ص .79/75/69/68.

أخطاء فادحة لا تغتفر وهذا عندما نستعير من بلاد معينة دستورا ديمقراطيا جاهزا .إننا في مثل هذه الحالة لم ننقل من النصوص الدستورية المستوردة كل الأسس النفسية والتجربة التاريخية التي تركزت عليها الديمقراطية بل إكتفينا بالشكليات فقط .ولذلك دعا بن نبي إلى ضرورة تأسيس الديمقراطية على أساس الشعور وقوة الضمير لأنها تكمل تقويم الإنسان في نقطة رئيسية تتصل بالعبد في المجتمع الإسلامي، وهذا ما نستخلصه من الحديث الشريف**"أوصاني حبيبي جبريل بالرفيق حتي ظننت أن الناس لا تستعبد ولا تستخدم"** فهذا النص يبين التقويم الإنساني للإنسان الذي يقوم عليه المشروع الديمقراطي . والإسلام يتضمن كل السمات التي تطبع الديمقراطية السياسية نحو منح الأفراد المسؤولية في تأسيس الحكم والضمانات الضرورية التي تحميه غير أن الإشعاع الروحي الديمقراطي الذي بثه الإسلام في المسلمين سرعان ما انتهي في العالم الإسلامي عندما فقد أساسه في نفسية الفرد، ويجب أن نلاحظ أن الحضارة الإسلامية انتهت فى الحين الذي فقدت في أساسها قيمة الإنسان. لأن الحضارة تنتهي عندما تفقد في شعورها معنى الإنسان . وهذه المحاولات لا تنجح إلا إذ وضعت في ضمير المسلم تقويما جديدا في نفسيته أي بقدر ما تضع في ضميره قيمته وقيمة الآخرين حتي لا يقع في هاوية العبودية والاستعباد**1**

تحقيق الفعالية:

أرجع بن نبي سبب إخفاقنا إلى أننا لم نعبر عن الأشياء بلغة الفعالية ولكن بلغة العاطفة ،التي أدت بنا أحيانا إلى تصرفات ومواقف هزلية تتفق تماما مع الخطط الاستعمارية. وهذا ناتج عن أننا لا نقدر حوادث التاريخ كما ينبغي لنا تقديرها أي فحصها ودراستها دراسة مدققة.بل غلبت علينا لغة الثرثرة والكلام الفارغ. ولتحقيق الفعالية علينا أن نقدر للإنسان قيمتين: قيمته كإنسان وقيمته ككائن اجتماعي فالقيمة الإنسانية تتمثل في تكريم الله لعبده ولا أحد يحق أن يغير منه شيئا (الإنسان مقدس).أما القيمة الثانية فتمثله كائنا اجتماعيا يصنعه المجتمع الذي تتغيير فعاليته من طورإلى أخر(مجتمع متحرك) وهذا يعني أن شخصيته ليست بالبسيطة وإنما مركبة تشتمل على عنصر ثابت يحدد كيانه كإنسان وعنصر متغير يحدد قيمته ككائن اجتماعي يخلق فيه الفعالية، الناتجة عن وجود حالة جديدة غيرت أوضاع المجتمع وبذلك فإن موقف الإنسان هنا يتغير أمام الحوادث والأشياء وبالتالي يتغير مجرى التاريخ وهذا لا يحدث إلا في

1-:مالك بن نبي:تأملات ،ص 79-80-81 -94

حالات معينة من تاريخ المجتمعات (المجتمع المتحرك) حيث الفرد يشعر بالقلق يسوده الشعور بالخطر سواء أكان الخطر واقعيا أم مجرد فكرة خامرت العقول.بين الحالتين الإنسان تسوده حالة جديدة وهي الفعالية **1**

بناء مجتمع أفضل:

ألح بن نبي على ضرورة إعادة النظر في المفهوم الحقيقي لمعنى المجتمع **2** لأن المفهوم السطحي لمعنى المجتمع لا يعطينا أدني تفسير للوظيفة التاريخية، كما أنه لا يفسر تنظيمه الداخلي ولذلك نجده يعرف المجتمع كما يلي:**"الجماعة التي تغير دائما خصائصها الاجتماعية بإنتاج وسائل التغيير مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه من وراء هذا التغيير" 3** ومن بين العناصر الأساسية التي يجب أن يقوم عليه المجتمع**4** نجد: وجود حركة يتسم بها المجموع الإنساني وهذا يتمثل في تحديد أسباب هذه الحركة وتحديد اتجاهها .**5** وهذه العناصر الأساسية نجدها حتي عند الحشرات (مجتمع النحلة) لأن النحلة لا يمكنها أن تعيش بعسلها ولا أن تحقق أهداف حياتها، لو لم يكن نشاطها هادفا إلى فكرة عامة ومستقرة في حياة المجتمع الذي هي جزء منه. والإنسان شأنه في هذا شأن النحلة لأنه لا يستطيع أن ينعزل عن المجتمع أو يحاول العيش بجهده الخاص. ففي التاريخ القريب (الأربعين سنة التي مضت) إرتكبنا أخطاء لأننا لم ندقق في مصطلحات الإجتماع ففهمنا أن المجتمع عدد من الأفراد يعيشون كما يشاؤون لكن .ليس هذا هو المجتمع وإنما يمكن أن نسميه بقايا مجتمعات أو بداية مجتمعات قبل أن تقوم بوظيفتها التاريخية ، أما المجتمع الذي يقوم بوظيفته التاريخية، فهو المجتمع الذي يقوم بوظيفته نحو الفرد ويحقق راحة الفرد فالمجتمع هو بنيان وليس

1-نفس المصدر السابق :ص 134-135- 136.

2 - المجتمع:مصطلح في معناه البسيط يعني تجمع أفراد ذو عادات متحدة.يعيشون في ظل قوانين واحدة ولهم مصالح مشتركة.

3-مالك بن نبي: ميلاد مجتمع ص:17.

4- قسم بن نبي المجتمع إلى نوعين: فالنوع الأول يحقق نموذج المجتمع الساكن كالمجتمعات الموجودة في مجتمع النحل أو النمل والقبيلة الإفريقية في عصر ما قبل الإستعمار والقبيلة العربية في العصر الجاهلي، أما النوع الثاني يحقق النموذج المتحرك أي المجتمع الذي يحضع لقانون التغيير الذي يعدل معالمه من جذوره .فالطبيعة توجد النوع ولكن التاريخ يصنع المجتمع وهدف الطبيعة هو مجرد المحافضة على البقاء، بينما غاية التاريخ أن يسير ويركب التقدم نحو شكل من أشكال الحياة الراقية وهو ما نطلق عليه إسم الحضارة

5 -نفس المصدر السابق ص 15.

.

تكديسا من الأفراد ببنيان فيه اشياء مقدسة متفق عليها فقبل أن تتجمع الأفراد تكون هناك فكرة عامة التي تؤلف أفراد المجتمع، فإذا فقدت هذه الفكرة تفكك المجتمع وضاعت المصلحة التي كانت تتمثل فيه. **فالجماعة** الإنسانية تكسب صفة المجتمع عندما تشرع في الحركة أي عندما تبدأ في تغيير نفسها من أجل الوصول إلى غايتها، وهذا يتفق من الوجهة التاريخية مع لحظة إنبثاق حضارة معينة **1**

نستنتج من خلال هذا التحليل أن الإنسان الذي لا يكون مجتمعه مجتمع حضارة، هو معرض لحرمان الضمانات الاجتماعية فأنا حينما أحاول تحديد مجتمع أفضل أحاول تحديد أسلوب حضارة، إذ أنني حينما أحقق الحضارة أحقق جميع شروط الحياة.بما فيها الأسباب التي تأتي بمتوسط الدخل المرتفع بمعنى أنني أحقق الخريطة الإقتصادية ونتائجها الاجتماعية والثقافية أيضا**2.** ويعتبر تغيير المجتمع في نظر بن نبي شرط دخولنا في المجتمع العالمي. بشرط أن نتجنب التقليد. الأعمى وبهذا الأسلوب سنكون أسبق من غيرنا إلى تحقيق مكانة في العالم الجديد.**3**

بناء إقتصاد موحد وتخلصيه من التبعية: :

لم يكتف المفكر مالك بن نبي ببيان أسس الإقتصاد الاسلامي وطرق إعادة بنائه من جديد. من برسم خطة اقتصادية للعالم الإسلامي تمكنه من الخروج من التخلف الى التنمية. بل تجاوز ذلك، حيث دعا البلدان العربية إلى ضرورة التكتل فيما بينهما للخروج من دائرة التخلف وتشكيل الإقتصاد الموحد. ، فليبيا على سبيل المثال لها متسع من التراب. ومصر لديها فائض اليد العاملة (الطاقة البشرية) وللكويت وقطر فائض من المال أما الجزائر فهي تملك الثروة الهائلة من بترول وغاز وأراض خصبة يتمثل في سهل المتيجة الذي أسال لعاب فرنسا.إلى غاية يومنا هذا.. فلو اجتمعت هذه العوامل الهامة في خطة تنموية لأدرك العالم العربي كله أن شروط البناء الاقتصادي والاكتفاء الذاتي هي تحت يده. **4**

1-مالك بن نبي :ميلاد مجتمع. ص 156.-157
2-نفس المصدر السابق: .ص 18.
3-مالك بن نبي:تأملات.:ص 163.
4-مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد ،ص .102

وقد بادرت مصر إلى تفسير مشروع الإصلاح الزراعي الذي قام به القادة المصريون. وكان من نتائجه المباشرة أنه غير حالة الفلاح. ذلك الذي كان يعيش في صورة منبوذة أصبح عاملا يربطه بالارض وعي اقتصادي بوصفه (منتجا ومستهلكا) وهو يمثل 82/ من مجموع الشعب المصري. الذي يشتغل في حقول لزرع القطن وجنيه. وبهذا الإجراء تكون مصر قد خطت الخطوة الأولى والضرورية في عملية التصنيع .وفضلا عن ذلك فإن نتائجه الإقتصادية الخالصة ستؤكد الهيمنة من الناحية النفسية والأخلاقية وهو ما يسميه بن نبي ب: **تحقيق الديناميكية الإقتصادية** التي تخضع لشروط وتظهر في صورة مسلمتين:

- لقمة عيش حق لكل فم.

- العمل واجب على كل ساعد.**1**

فالمسلمة الأولى: يفرضها المجتمع ويلتزم بها ويسجلها في دستوره بوصفه أساسا لعقده الاجتماعي،.**أما المسلمة الثانية**: فهي ضرورة تفرضها المسلمة الأولي بشرطا لإستمرارالتفاعل بين الإنتاج والإستهلاك، تفاعلا جدليا حيث نستطيع صياغته في صورة منطقية إذ قلنا أنه لا إنتاج من دون استهلاك ولا استهلاك من دون إنتاج. إلا أن تحقيق هذه الديناميكية ليس سهلا من الناحية الفنية إذا لم نستوعب الشروط النفسية والتقنية لتحقيق عملية الإنطلاق. ولهذا فيجب على كل من يخطط لإطلاق هذه الطاقات أن يكون مقتنعا بضرورة إطلاقها معتمدا بذلك على العمل المشترك مثلما اقتنعت بذلك التجربة الصينية- والمصرية **2** فالعالم الإسلامي متى تكونت لديه إرادة واضحة للتخلص من التخلف سيجد أولا في المجال النظري أن إختياره ليس محدودا لا بالرأسمالية ولا بالماركسية، وأنه يستطيع تعويض الإستثمار المالي المفقود بالاستثمارالاجتماعي الموجود على أساس المسلمتين المذكورتين أنفا، وبين هذا وذاك فإن المجتمع العصامي الذي يقتنع بمجهوده الخاص يري أن طاقاته الذاتية قادرة على تغيير كل الظروف في جو يسوده الإخاء والطمأنينة. وإذا كان لنا درسا نستخلصه من تجربة الصين، فهو ان المعارك الإقتصادية عندما تدور فإنها تدور حول قطب القيم الأخلاقية، فالمجتمع الإسلامي أجدر به أن يعيد لعالم الإقتصاد أخلاقيته ويكون بذلك قد تجنب الإنحرافات

.

1-نفس المصدر السابق: ص 26
2-نفس المصدر:ص 70.

الإباحية التى تورطت فيها الرأسمالية كما ينجو من ورطة المادية الماركسية التى سلبت.للإنسان ما يميزه عن الألات والأشياء **1**

فالعالم العربي يملك إمكانيات إقتصادية لكنها وبكل أسف مهملة.تشهد على ذلك الأراضي التي أنبتت الحضارة الإنسانية الأولي على ضفتي الدجلة والفرات *حيث ترعرعت فيها الحضارة الإسلامية بفضل الخيرات التي كان يملكها. تعود هذه (الاراضي) اليوم بمستنقعات تنبت كل أشكال الحمي والتفوئيد والكوليرا..فشتان بين عراق الأمس،عراق الشعراء الفلاسفة والأدباء.وعراق اليوم عراق القتل والذبح عراق الصراعات الطائفية التي لا مخرج منها. **2**

نحو بناء حضارة عالمية والدعوة إلى التعايش الثقافي في ضل مؤتمر باندونغ:

دعا مالك **بن** إلى ضرورة تشكيل تعايش ثقافي على محور(طنجة وجاكرتا) وهذا من خلال مؤتمر باندونغ .الذي عالج مصير الأفرو أسيوي بالتحديد مصير الشعوب المتخلفة **3** و قد ركز على مشكلة الثقافة لأن كل تفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة الحضارة نظرا للرابطة القوية بين الثقافة والحضارة فإننا نستطيع القول أن أي تفكير في مشكلة الحضارة هو في جوهره تفكير في مشكلة الثقافة ، وبذلك تكون الحضارة في جوهرها عبارة عن مجموعة من القيم الثقافية لأن مصير الإنسان مرهون بثقافته، فمهما تكن الصورة التي نضع فيها أية مشكلة فمن الضروري أولا أن تحدد البلدان المتخلفة ثقافتها لتدارك تأخرها وهذا لا يتم بالطرق الملتوية أو كثرة الكلام في الفراغ بل يتم بالطرق التى توجه الذكاء والفكر في إتجاه الحضارة لأن الثقافة الإسلامية لا يمكن لها أن تجد إلهامها الجوهري في مجرد نزعة معادية للإستعمار بل يجب أن تبحث عن روحها الأخلاقي في مجموع القيم الروحية

1-مالك بن نبي:المسلم في عالم الإقتصاد،ص 83/82.

-الدجلة :tigns نهر ينبع من تركيا (جبال طوروس) ويشمل بعض مدن العراق الموصل وبغداد،يصب في الخليج العربي، يمثل نهر الدجلة موقع إحدي حضارات العالم حيث توجد إلى يومنا هذا أثار الحضارة الأشورية والسومرية.
-الفرات euphrate :من أكبر الأنهار في الشرق الأوسط يعبر ثلاثة بلدان،حيث ينبع من تركيا (جبال طوروس) مرورا بدولة سوريا حيث يشمل منطقة دير الزور و البوكمال ثم العراق حيث يشمل الرمادي ثم الفلوجة وكربلاء وأخيرا الناصرية.ليصب في الخليج العربي وتحتوي هذه الأنهار على أهمية بالغة جدا حيث تستخدم مياهها في توليد الطاقة الكهربائية
2 – بتصريف

-3 - **Malek BEN NABI:LAFRO-ASIATISME .3eme trimestre 1992 (sec)edition .IMPRIMERIE moderne p.71 .**

. والتاريخية التى تقرها الشعوب (الأفرو -أسيوية) أما التراث الأفرو-أسيوي فيمكن أن يجد عناصره أولا في المركبات النفسية التى أدت دورا من أجل التحرر وهي مشتركة بين جميع الشعوب التي خاضت هذا الصراع وهي الأن تجد نفسها ملزمة ومضطرة إلى تحديد مثلها الأعلى الذي يتم بواسطة العمل. وبلا شك ستجد الفكرة الأسيوية بمقتضي إزدواجها الروحي مبدأها الثاني في فكرة (عدم العنف أو اللاعنف) ذلك المبدأ الذي حرر الهند بزعامة بطلها الأسيوي المها تما غاندي **1**

دور مؤتمر باندونغ في إحداث عملية التغيير:

أ/الظروف الدولية والتاريخية لانعقاد المؤتمر:

بعد نهاية الحرب العالمية ضعفت القوي الإمبريالية وفي المقابل نهضت حركات التحرر الوطني التى قامت بها شعوب لطالما عانت من الظلم والإستعمار والإستبداد، وشهدت الأوضاع السياسية تغيرات كبرى في أسيا-وإفريقيا، وتجدر الإشارة إلى أن دول أسيا نالت استقلالها مسبقا مقارنة بالدول الإفريقية والجدير بالذكر أن جمهورية الصين الشعبية تم تأسيسها في عام 1949 .بالإضافة إلى إحراز الدول كوريا الشمالية و الفيتنام والهند الصينية نجاحا كبيرا في مقاومة الغزو الفرنسي مما شجع الدول الإفريقية على القيام بحركات استقلال مماثلة حيث قامت الجزائر والمغرب وتونس بنضالات مسلحة لمقاومة الامبريالية، وبهذا فقد استيقضت إفريقيا النائمة من سباتها العميق. وقد وصل عدد الدول المستقلة في مطلع الخمسينات في قارتي أسيا وإفريقيا إلي حوالي 30 دولة . غير أن الإمبريالية والإستعمار لم ترض بهذا الإستقلال بالخصوص الو/م/أ/ لأنها استولت على مناطق إستراتيجية في جنوب شرقي اسيا وقد لاحظت أن التغييرات في اسيا وإفريقيا شكلت تهديدا على استراتيجيتها للهيمنة على العالم، ولذلك واصلت سياسة القوة بعد الحرب الكورية وتدخلت بشكل مباشر في شؤون الهند الصينية لمواجهة هجمات ما يسمي بالشيوعية لأن ضياع الهند الصينية (نظرا للكثافة السكانية التي تمتاز بها هذه الدول) يجعل الو/م/أ/ عاجزة عن السيطرة على الشرق الأقصي ضمن

1-مالك بن نبي:مشكلة الثقافة ص 99/101//107/108.

استراتيجيتها للهيمنة على العالم ولذلك سارعت إلى تأسيس حلف جنوب شرقي أسيا في سبتمبر 1954.وهو الإئتلاف العسكري المكون من الدول الغربية ودخلت الو/م/أ. الحرب الباردة فى هذه المنطقة. وبعد سنة واحدة تأسست معاهدة بغداد* بتخطيط من الو/م/أ. وكان الهدف منها قمع حركات التحرر الشعبي في منطقة الشرق الأوسط وقد شكلت التصرفات الأمريكية .تهديدا لإستقلال الدول الأسيوية الناشئة وعلى أمنها لتعيد الإستعمار من جديد. وفي ظل هذه الأوضاع أكدت الدول الناشئة على ضرورة المزيد من الدعم المتبادل و التضامن لمقاومة الغزو الإمبريالى فقرر رؤساء هذه الدول انتهاج سياسة الحياد والسلام حيث قال رئيس الوزراء الهندي **"جواهر لال نهرو 1** "إننا لا نستطيع وضع كل البيض في سلة واحدة." **2**

واسترشادا بهذا الفكر عززت الدول الأسيوية إتصالاتها حيث وقعت الصين والهند إتفاقية التجارة والنقل بين منطقة التبت الصينية والهند وقد وافقت الهند على إنتهاج المبادئ الخمسة المتمثلة في:الإحترام المتبادل لسلامة الأراضي والسيادة وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية للغير والمساواة والمنفعة المتبادلة والتعايش السلمي والتي طرحتها الصين كمبدأ أساسي ومرشد للعلاقات الثنائية، كما حددت رسميا المبادئ الخمسة للتعايش السلمي في مقدمة الإتفاقية التي تتضمن معالجة العلاقات بين الدول ذات الأنظمة الإجتماعية، كما عكست رغبة دول أسيا وإفريقيا في التصدي للقوي الإمبريالية وصيانة الإستقلال والسيادة والمشاركة في الشؤون الدولية على قدم المساواة. وفي ضل هذا قدمت أندونيسيا في ابريل 1954. إقتراحا بضرورة عقد مؤتمر أوسع لدول أفرو-أسيوي في اقرب الآجال وقد لقيت هذه الفكرة ترحيبا لدي الدول المعنية حيث خلال مرحلة التحضير للمؤتمر تبادل الجانبان الصيني والاندونوسي الآراء حول شؤون المؤتمر من خلال الوسائل الدبلوماسية. وفي نهاية ديسمبر من نفس العام عقد رؤساء ووزراء الدول الخمس بجنوب أسيا لبحث عقد المؤتمر ودعوا

---

1 جواهر لال نيهرو:-Jawaharlal nehru 1889-1964:أحد زعماء حركة الإستقلال في الهند،أعجب ب غاندي وتتلمذ على يده تميز بالإشتراكية والعدالة صاحب فكرة "عدم الإنحياز"واحد أقطابها بعد تأسيسها إلى جانب عبد الناصر (مصر) وسوكارنو(أندونيسيا) وتيتو(يوغسلافيا)

2 - Malek BEN NABI:LAFRO-ASIATISME : p 95.

29دولة *1 بآسيا وإفريقيا وقرروا عقد المؤتمر في باندونغ الاندونسية في ابريل 1955 ومن بين هذه الدول نجد 18 دولة موجودة في الأمم المتحدة بما فيها الصين. 2

أهداف المؤتمر: لم تؤثر الإنتماءات السياسية المتعارضة بين دول الحضور في باندونغ من صياغة بعض الأهداف الأساسية والتي كانت بمثابة ميثاق ساعد على تقوية العلاقات بين هذه الدول ومن بين الاهداف التي خرج بها إحترام حقوق الإنسان، وإحترام سيادة الدول ووحدتها مع الحرص على عدم تدخل أية دولة في شؤونها ودفع الصداقة والتعاون بين كافة الدول الأسيوية والإفريقية .وبحث سبل صيانة المصالح المشتركة لها واقامة وتعزيز العلاقات الودية وحسن الجوار بينهما ومناقشة العلاقات حول القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للدول المشاركة ومناقشة القضايا المتعلقة بمصالح شعوب دول أسيا وافريقيا مثل معارضة العنصرية والتنديد بالاستعمار ومناقشة مكانة دول أسيا وإفريقيا في العالم، بالإضافة إلى مساهمتها لدفع السلام والتعاون في العالم

إنعكاساته : لقي المؤتمر ترحيبا ودعما من كافة الدول الأفرو-أسيوية عموما كما حضى بإهتمام المجتمع الدولي واظهر اقتراح عقد المؤتمر يقضة أسيا وإفريقيا بعد معاناتهما من حكم الدول الغربية واستغلالها لثرواتها خلال فترة زمنية طويلة أقصاها يتجاوز القرن من الزمن ونتج عن مؤتمر باندونغ كذلك توطيد العلاقات الشخصية بين زعماء الدول الحضور حيث توطدت العلاقات أكثر الرئيس المصري جمال عبد الناصر **Gamal abdenasser 3** والزعيم

*** 1 شمل المؤتمر دعوة 29 دولة وحضرته 28 بإستثناء حكومة إئتلاف إفريقيا الوسطى ا لتي كانت تحت حكم المستعمر الأبيض حيث اعلنت رفضها المشاركة بسبب ظروف**

2/Malek BEN NABI: LAFRO-ASIATISME :p72 .

3- جمال عبد الناصر Gamal abdenasser :أحد قادة الثورة المصرية،مؤمم قناة السويس،واجه العدوان الثلاثي على مصر 1956،أ حد أقطاب حركة عدم الإنحياز, عرف عبد الناصر بقوميته وإنتماؤه للوطن العربي،توفي في سنة 1970. بكت عليه مصر و الوطن العربي

الهندي نهرو وكان ذلك واضحا في مساندة عبد الناصر لنظريات نيهرو التي إقترحها أثناء زيارة قام بها الى بيكين **pekin** (عاصمة الصين). أما بالنسبة لموقف أمريكا فقد إزدادت هيجانا وتزايدت إستفزازاتها ضد الصين من أجل إفساد علاقاتها مع دول أسيا وإفريقي بالاضافة إلى ذلك فقد نفذت حوادث اغتيال مروعة عن طريق الجواسيس حيث لقي طلائع الوفد الصيني في ابريل عام 1955.مصرعهم في تفجير قنبلة وضعها احد جواسيس عصابة صهيونية في طائرة كانت تقل الوفود من هونغ كونغ إلى أندونيسيا .ومهما كان الأمر فإن المؤتمر إنعقد فى موعده، بفضل الجهود المشتركة لدول أسيا وإفريقيا بعد إزالة كافة المؤامرات الامبريالية وتخريبها في ظل تزايد الاهتمام المشترك بالسلام والحياد وهو ما فتح شهية ميلاد حركة عدم الانحياز حيث يرجع الفضل فى ميلاد حركة عدم الإنحياز إلى الخطاب الذي ألقاه نهرو و تيتو وجمال عبد الناصر وإستفادت هذه القيادات من تصدرها لحركة عدم الإنحياز في خدمة تطلعاتها القومية.فتيتو وجد في الحركة عنصرا مؤازرا له بعد قطيعته مع الاتحاد السوفياتي، أما نهرو فوجد فيها عونا له في مواجهة التهديدات الصينية وضعوط الأحلاف العسكرية في أسيا وبفضل المؤتمر يكون الإنسان الأفرو-أسيوي (حسب مالك بن نبي) قد دخل التاريخ من بابه الواسع لأنه عالج قضايا لا تتعلق فقط بالإستعمار وإنما ركز على القضايا المتعلقة بذاتية الفرد الأفرو-اسيوي المتمثلة فى عدم ضياع أوقاته وطاقاته في الثرثرة والكلام بدون فائدة كما قلب المؤتمر منطق الأشياء التي كانت تسير الأشياء مثل الزعامة لأوروبا وحلفائها فالمؤتمر يعتبر-على حساب تعبير مالك بن نبي:

1. la premiere affirmation claire du droit des peuples asiatiques et africains

---

1-نفس المصدر السابق : ص 72 -75

الباب الرابع:
التغيير فى الحضارة

الفصل الأول:

الحضارة وأهم العوامل المؤثرة في التحضر

تمهيد:

كل الحضارات حتي وإن كانت بسيطة،فهي في حالة تغييرمستمر.لأن نتائج البحوث الأثرية إكتشفت عن وجود تغير حضاري دائم مع مرور الزمن وتسير عمليات التغير الحضاري في عملها على خطوات متتابعة محدودة.حيث تتمثل الخطوة الاولى في تقديم عنصر ذي أثر فعال لحضارة المجتمع وسيعقب هذا قبول أو رفض ذلك العنصر الجديد، ففي حالة القبول تكون هناك عملية الاندماج بما يلائم العنصر الجديد مع الحضارة التي كانت سائدة قبل ذلك.والعنصر الفعال أو الجديد يمكن أن يخترع أو يمكن أن يقترض -- وفي كلتا الحالتين تعتبر فكرة جديدة ظهرت مع شخص ما أو مع عدد من الأشخاص. من أجل إحداث تغير داخل المجتمع - غير أن الإختلاف الجوهري بين الإختراع والإقتراض،هو أن الشيئ الجديد إذا ما ظهر في نطاق المجتمع وحضارته فإنه يعتبر إختراعا، بينما إذا ظهر في مجتمع أخر وأخذته الجماعة إلى حضارة أخري،فإننا نعتبر هذه العملية أنها إقتراض حضاري1

إنه من النادر أن يتمكن أي عنصر حضاري جديد بعد توحيده مع الحضارة،أن يقوم بكل مهام العنصر الذي حل محله،فمثلا بالرغم من أن البندقية قد حلا محل السيف إلا أن السيف لا يزال باقيا كجزء من الزينة الرسمية وهو يمثل رمزا للأرستقراطية والسلطة الحربية ومن أعظم أوجه التغير الحضاري إثارة للإهتمام،تلك السرعة الهائلة التي تسير عليها الحضارة حيث إنتقلت الحضارة الأوروبية من عمليات بسيطة جدا إلى عصر العلم والتكنولوجيا (ما يعرف بالنهضة الأوروبية) أما في المجتمعات العربية الإسلامية وبالخصوص في المجتمع المصري لأننا نملك أدلة تثبت وجود مثل هذا العنصر السريع من التغيير حيث بني الفراعنة أعظم واكبر الاهرامات وقد صنفت ضمن العجائب السبعة في العالم لقد صاحب هذا التقدم إختراع أساليب محكمة لإستغلال الفلاحين وتحويل فائض إقتصادهم إلى النواحي الدينية (رجال الدين هم الذين يتحكمون في كل الميادن.) ومن الواضح أن هذه الأساليب كان لها أثرها السلبي على الشعب وقد تحولت مصر إلى بلد فقيرمما أدي في النهاية إلى قيام ثورة إجتماعية فترة.خرجت منها الحضارة المصرية من بابها الضيق2

1- رالف لينتون: شجرة الحضارة، الجزء الأول الفصل الخامس التطور الحضاري ،تقديم محمد سويدي .موفم للنشر 1990 . ص 90/89

2-نفس المصدر السابق 100

ولو لاحظ المرء التطور الحضاري فسوف يمكنه التعرف على ثلاث مراحل تكنولوجية ذات صبغة ثورية مر بها الانسان

أولها:تلك الإمكانيات العظيمة التي نشأت مع الإنسان عندما ودع حياته التي تشبه فيها بالحيوان حيث بدأ في إستخدام الأدوات والإستئناس بالنار

ثانيا:توجيه طاقات الانسان نحو تحقيق المدنية التي تعتبر من اعظم المستحدثات لاجتماعية التي ظهرت في التاريخ الانساني كله

ثالثا: ظهور ما يسمي بإستئناس القوة وقد إرتبطت هذه المرحلة بإختراع الأسلوب العلمي الذي بسط السيطرة على الكثير من الميادن التى هيمنت التكنولوجيا فيها على جميع ميادين الحياة اليومية. **1**

نظرة تاريخية على نشوء الحضارة العربية واسباب عظمتها:

تدلنا شواهد التاريخ على ان اليونان تتلمذوا على علوم المصريين وتتلمذ العرب على العلوم اليونانية،وتتلمذت أوروبا على علوم العرب وآدابهم زهاء عشرة قرون **2** وتعتبر الحضارة المصرية القديمة الحجر الأساسي في سلسلة التطور الفكري والعلمي للإنسان حيث نجد احد المؤرخين يقول عن الحضارة المصرية ما يلي:ان الشعب المصري القديم هو الذي أخرج الانسان من حياة الكهوف ووضع حدا للعصر الحجري وإن مصر هي البلاد الخالدة فوق كرة الارض وان الشعب المصري هو الشعب الخالد في التاريخ ولا شك في أن الحضارة المصرية القديمة هي التي بدات الخطوات الأولي نحو الارتقاء الحقيقي بالنوع البشري **3** أما فيما يتعلق بإتصال اليونان وتأثرهم بالحضارة المصرية القديمة فيظهر في التشابه الكبير بين التماثيل الاولي لليونان والتماثيل المصرية،كما أثبتت الصلات القديمة بين اليونان ومصر وكيف أسس لهم فرعون مدنا عاشوا فيها ورعاهم ومن المدن التي أقام فيها اليونان جاليتهم نجد "نقراطيس"و"ممفيس"فالحقيقة أن العلم والحضارة اليونانيين لم ينتعشا إلا بعد الهجرة إلي واد النيل،

---

1 -نفس المصدر السابق .ص 105
2-جورج سارتون : تاريخ العلم تقديم إبراهيم مذكور،ترجمة :مجموعة من المترجمين، الجزء الثاني، ط 1 دار المعارف، تاريخ النشر 1991. ص 23/22.
3-جلال مظهر: مأثر العرب على الحضارة الاوروبية : تقديم كمال الدين رفعت و سعد عفره : مكتبة الانجلو المصرية :ط1 .1960 .ص 25

أما طاليس**1** اول فلاسفة اليونان فأقام في مصر سنوات كثيرة حيث تعلم الرياضيات والفلك المصري واسس الهندسة النظرية على اساس المعرفة التجريبية المصرية،كما زار فيثاغورس مصر وتلقي عن كهنتها العلوم الرياضية. **ولما** كان للعرب أدب رفيع تمثل في الشعر الذي إتصف بالحكمة وصفاء النفس وقوة الروح متخذا فوق ذلك كله جرسا موسيقيا يأخذ بمجامع القلوب،فأصبح التعليم في الدولة العربية الأساس الاول الذي قامت عليه دعائمها فتوطدت فيها أركان العلم وأضفي على العلماء فيها أعظم أنواع التشريف ونالوا أحسن منزلة،ونشطت حركة الترجمة نشاطا لم يسبق له مثيل في التاريخ كما تـأسست مدارس في جميع أنحاء الإمبراطورية العربية كالبصرة وسمرقند وفاس ومراكش والقاهرة وصقيلية وإشبيلية **2** ولقد نهج خلفاء أبي جعفر المنصور على سيرته ،وعملوا على ترقية وتطوير جميع فروع المعرفة الانسانية،ذلك في عصر كانت فيه العلوم والأداب في أوربا مهملة على وجه العموم،وبينما حاول شارلمان أن يوقظ أذواق الناس ويوجهها نحو العلم والأدب لكن كل محاولاته باءت بالفشل،كان أولئك الخلفاء يجمعون من حولهم أكثر الرجال ثقافة وعلما من جميع الأقاليم ويعملوا على ترجمة أعظم المؤلفات اليونانية إلى العربية وشيدوا مؤسسات كبيرة للدراسة العمومية وجمعوا مكتبات غنية زاخرة،أما برامج التعليم فكانت علوم الدين وتفسيره جنبا إلى جنب مع مؤلفات أرسطو وأبقراط و بطليموس و إقليدس وأرشيمدس وغيرهم ولقد أقام أمراء العرب في بغداد أكاديميات تناقش الموضوعات العويصة التى لا يقدر على فهمها إلا أساتذة أكفاء وأسسو المدرسة الفلكية القرون الوسطي،وكان العرب أنذاك هم الممثلون للحضارة وهم الذين عملوا على تراجع الهمجية التي إنتشرت في اوروبا حيث عملوا على حفظ كنوز المعارف السابقة من الضياع كما فتحوا طرقا جديدة نحو دراسة الطبيعة **3** ولعل أعظم الاعمال قيمة، وأكثرها اصالة،وأغزرها مادة ،هي الاعمال التى كتبت باللغة العربية،لانها كانت إبتداء من منتصف القرن الثامن حتي نهاية القرن الحادي عشر تمثل لغة العلم الارتقائية للجنس البشري حتي لا بد لمن أراد أن يلم بثقافة عصره وبأحدث صورها أن يتعلم اللغة العربية **4**

1-طاليس:مؤسس العلم اليوناني واحد الحكماء السبعة ،أسس مدرسة الفلسفة الأيونية (بأسيا الصغري)وأول من أعطي تفسيرا للكون :الماء أصل المادة

2-نفس المرجع السابق .ص33

3-نفس المرجع ص 36

4-جورج سارتون مقدمة تاريخ العلوم الجزء الاول ص 16 17

ويكفينا فخرا ان نذكر بعض الاسماء المجيدة التي لم يطاولها في الغرب أى من الاسماء المعاصرة لها أمثال :***جابربن حيان و الكندي و الخوارزمي والرازي و ثابت بن قرة و حنين ابن اسحق الفارابي و المسعودي و الطبري، على بن عباس و البيروني و ابن سيناء وا بن يونس وابن الهيثم و الغزالي وعمر الخيام وغيرهم .***هذه سلسلة من الاسماء اللامعة التي لا تنطفئ شعلتها الى الابد،حيث تميزت فترتهم مابين(750،1100م) بالأصالة العميقة حيث قال العلامة ويل ديورانت يصف الفكر العربي في ذلك العصر: "***كان التعليم عاما وبالمجان أو بنفقات بسيطة وانحصر منهاج الدراسة في تعليم الفروض الضرورية في العبادة الاسلامية*** **"** ذلك بالإضافة الى علوم الدين والتاريخ والاخلاق والقانون وعلوم الصرف وفقه اللغة والخطابة والمنطق والرياضيات والفلك وقد إهتمو أكثر بالنحو بإعتبار أن اللغة العربية هي أكمل اللغات تقريبا. وكان الغرض من التعليم الإبتدائى ينحصر في تكوين شخصية الفرد،

أما التعليم الثانوي فمن أجل الحصول على المعرفة وكان كل طالب للعلم يريد الحصول على منزلة رفيعة وأن يتلقي العلم على أيدي أساتذة مكة وبغداد ودمشق والقاهرة **1**

وعرف العرب صناعة الورق عندما إختلطوا بالصينيين بعد فتح سمرقند، وتأسست أول صناعة للورق في بغداد سنة 794م على يد هارون الرشيد ثم أدخل العرب هذه الصناعة فيما بعد إلى اسبانيا وصقيلية ومن ثمة إنتقلت إلى ايطاليا وفرنسا وكانت مكتبة البصرة (مدينة موجودة في العراق) الاكبر ثراءا في ذلك الوقت وكان الخوارزمي يجمع منها معلومات لقاموسه الجغرافي،أما المكتبات الخاصة فكانت لا تحصي ولقد رفض أحد الأطباء دعوة سلطان بخارى للإقامة ببلاطه،لانه يحتاج إلى أربعمائة بعير لنقل مكتبته ولما مات الواقدي **2** ترك ستمائة صندوق من الكتب يحتاج كل منها إلى رجلين لحمله وهو ما يعادل مجموع كتب اوربا ،وبلغ الاسلام في ذلك الوقت اوج حياته الثقافية وكانت جميع مسالك العالم الاسلامي تعج برجال الدين والجغرافيين والمؤرخين الذين لا يحصيهم العد،وانتشرو في الارض بحثا وراء المعرفة والحكمة وكانت قصور مائة أمير تتجاوب أصداؤها بالشعر والمناقشات الفلسفية ولم يكن هناك من رجل يجرؤ على أن يكون مليونيرا من غير أن يعاضد الادب أو الفن،ولقد قوي علماء

1-ويل ديورانت :قصة الحضارة:الجزء الرابع ت زكي نجيب محمود و محمد بدران ،المجلد الاول ، الجزء الرابع ،الهيئة المصرية العامة للكتاب (سلسلة مكتبة الاسرة –القاهرة مصر ص237/235

2-الواقدي: (747-823)من أقدم المؤرخين في الإسلام ومن أشهرهم عاش في العصر العباسى سكن في بغداد معروف بالتعصب لأهل المدينة والانحراف عن خصومه،اهم اعماله:كتاب التاريخ والمغازي ،تاثر به إبن سعد البغدادي وقد قال عنه الخطيب البغدادي "كان الواقدي كلما ذكرت له واقعة ذهب إلى مكانها فعاينها "

الاسلام فى هذا العصر من أسس الأدب الرفيع بما بذلوا من مجهود في قواعد النحو وبما جمعوا من دواوين الشعر والحكمة والموسوعات التي حفظت كثيرا مما كان من الممكن أن يفقد لولاهؤلاء **1** وكانت القاهرة والاسكندرية والقدس وحلب والموصل وطوس ونيسابور وغيرها من المدن تزخر بمدارسها،أما بغداد فكان فيها ثلاثين مدرسة في سنة 1064،وبعد ذلك بسنة أسس الخليفة مدرسة فاقت جميع المدارس السابقة في الحجم والهندسة والمعدات،ولقد صحب هذا التوسيع الكبير نشاط فكري لا مثيل له في الشرق وكان الناس يسافرون عبر القارات طلبا للعلم في بغداد **2** وقد شهدت فترة حكم المأمون عظيم العرب فكرة التسامح الديني حيث كان المجلس مكونا من مسلمين ويهود ونصاري ومجوس وهي فترة إزدهار الحضارة العربية وكانت إسبانيا العربية الدولة الوحيدة في أوروبا التى يتمتع فيها اليهود بحماية رعاياها، كما ترك العرب الكنائس الموجودة في صقيلية على ما كانت عليه وسمحت للنصاري بالمحافضة على قوانينهم وعاداتهم وحريتهم في القيام بشعائرهم الدينية وفي أسبانيا نشرالعرب رسالة الحضارة فيها فأستطاعوا في أقل من قرن أن يخصبوا أرضها ويعمروا مدنها ويقيموا بها أفخم المباني ثم اتجهو إلى دراسة الأداب والعلوم،وأخذت حضارة العرب في النهوض أكثر فأكثر منذ إعتلاء عبد الرحمن الاول العرش وتأسيسه خلافة قرطبة سنة 756م حيث صارت قرطبة أرقي مدن العالم،وأنشأ العرب مدارس ومكتبات ودرسوا العلوم والرياضة والفلك والطبيعة والكمياء والطب،وكانت قرطبة مركزا للعلم والفن والصناعة والتجارة.أما قرطبة اليوم فكأنها مدينة الأموات**3**

ولم تقتصر نهضة العرب بأسبانيا على الامور المادية والثقافية بل أثروا في اخلاق الناس ايضا حيث اتصفت اخلاق العرب في اسبانيا بالفروسية المثالية فكانو يرحمون الضعفاء،ومما لاريب فيه ان قواعد الفروسية التى جاء بها العرب أدت إلى إصلاح طبائع الأوروبين أكثر من جميع التعاليم الدينية ،وما عجز الفرس والرومان عن تحقيقه في الشرق لمدة قرون فإن العرب استطاعوا أن يحققوه بسرعة فائقة وبغير إكراه والمثال على ذلك ان مصر التى تبدوا أنها اقوي أقطار العالم تصديا للمؤثرات الخارجية، فإنها نسيت في أقل من قرن من الزمن بعد فتح

1-. جلال مظهر: مأثر العرب على الحضارة الاوروبية : تقديم كمال الدين رفعت و سعد عفره ص 42
2-نفس المرجع السابق ص 43

3-جوستاف لوبون Gustave le bon : حضارة الغرب ، la civilisation des Arabes :ترجمة وتحقيق:عادل زعيتر،الناشر،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط1/مجلد1/ ص 286/284/283/281

عمروبن العاص لها،ماضي حضارتها الذي دام قرابة سبعة الاف سنة ،وإعتنقت دينا جديدا ولغة وفن جديدين إعتناقا متينا **1** والحق أن تأثيرالعرب في الشرق لم يكن أقل منه في الغرب حيث فتح العرب لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والادبية الفلسفية فكانو أئمة ومعلمين لها لمدة ستة قرون، فأوروبا مدينة للعرب بحضارتها لاننا لا نستطيع أن ندرك تاثير العرب في الغرب إلا إذا تصورنا حالة اوروبا عندما أدخل العرب الحضارة إليها،ولنا أن نلقي نظرة على القرنين التاسع والعاشر حين كانت الحضارة في الأندلس ساطعة ،في حين كانت مراكز الثقافة في الغرب أبراجا يسكنها نبلاء متوحشون لا يعرفون القراءة والكتابة ودامت هذه الهمجية في أوروبا زمنا طويلا،ولا نستطيع أن نذكر قبل القرن الخامس عشرعالما أوروبيا إبتكر شيئا غير استنساخ كتب العرب حيث نجد أرنست رينان يقول***"إن ألبرت الأكبر مدين لإبن سينا بكل شيئ ،والقديس توما الاكويني بوصفه فيلسوفا مدين لابن سينا بكل شيئ،ومدين لابن رشد بكل فلسفته"*** وكانت ترجمات كتب العرب على الاخص ولا سيما العلمية منها المصدر الوحيد للتدريس في جامعات أوروبا لمدة خمسة قرون، ونستطيع القول بأن تأثير العرب في بعض العلوم كعلم الطب قد دام الى يومنا هذا لان كتب ابن سينا الطبية كانت تدرس في جامعة مونبيليه الفرنسية وكان ابن رشد الحجة العظمي في الفلسفة في جامعات أوروبا منذ أوائل القرن الثالث عشر،فلما أخذ لويس الحادي عشر على عاتقه تنظيم التعليم في سنة 1473.أمر بتدريس مذهب هذا الفيلسوف العربي **2**أما القلعة الحقيقية للفلسفة الرشدية فكانت جامعة بولونيا وجامعة بادوا ومنها انتشر تاثير الفلسفة الرشدية في جميع انحاء شمالي شرق ايطاليا واستمر هذا التاثير حتي نهاية القرن السابع عشر ولقد شهد القرن الثاني عشر عملية التمثيل الكبري للعلم وتم ذلك في مركزين رئيسيين هما الاندلس وصقلية،حيث تلاقت الثقافتان المسيحية والاسلامية،وقد ترجمت كتب اقليدس عن العربية الى اللاتينية عام 1100م،وكذا كتب باطلموس وكتاب القانون في الطب لابن سينا،وقد درست هذه الكتب النادرة في شارترحيث كان بها اشهر مدرسة في القرن الثاني عشر،وكان كتاب جامع الرياضيات هو العامل الذي أدخل التجديدات العلمية العربية الى اوروبا وظل تفوق الثقافة الاسلامية معترفا به وإستمر إستعاب الحضارة الاسلامية جارياً،وعند منتصف القرن التالث عشراصبحت العلوم الطبيعية الاغريقية العربية من أسس التدريس في اكسفورد.**3**

1-جلال مظهر: مأثر العرب على الحضارة الاوروبية : تقديم كمال الدين رفعت و سعد عفره ص: 53.
2-جوستاف لوبون نفس المرجع السابق .ص 618/616/615. /.
3- جلال مظهر: مأثر العرب على الحضارة الاوروبية : تقديم كمال الدين رفعت و سعد عفره ص 76

وفي عام **1215 م** أصبح فريديريك الثاني امبراطورا في صقيلية وقد اتصل إتصالا وثيقا بالعرب سواء في صقيلية ام في أثناء الحروب الصلبية في الشرق،وأثمر إتصاله بالعرب حتي تعلق بهم تعلقا كبيرا فلبس الأردية الشرقية وأخذ كثيرا من عادات العرب وأخلاقهم،ولكن أهم من ذلك كله كان معجبا أشد الإعجاب بالفلاسفة العرب الذين كان يقرأ مؤلفاتهم بالعربية وكان يجيد معرفتها,فأسس في سنة 1224.جامعة في نابولي وجعل منها أكاديمية لنقل العلوم العربية الى العالم الغربي،كما كان يشجع المترجمين على الانتقال الى المدن الاسبانية وترجم هناك شروح ابن رشد لارسطو كما ترجم الجزء الاول من (النفس) وكان القديس توما الاكويني قد اتم علومه بجامعة نابولي التى كانت حينئذ مركزا كبيرا للاهتمام بالفلاسفة العرب،ومما لا شك فيه ان القديس توما الاكويني كان ينظر الى ابن رشد بإعتباره المعلم الاول وأعظم مفسر لمنطق ارسطو**1**

إن إنتصارات العرب في الفلسفة والفلك والكمياء والطب أثبت أنها أبقي وأعظم الشعوب أنتصارا ،فعندما كانت أوروبا لا تقوق في العلم إلا مستوي الانسان البدائى،فإن العرب كانوا يعملون على تهذيب العلوم وترقيتها،فقد تعتبر الكمياء في صورتها العلمية ابتكارا حققه العرب المسلمون،حيث ادخلواعلى هذا العلم الملاحضات الدقيقة والتجربة العلمية وحللوا كمياويا عددا هائلا من المواد وفرقوا بين الحوامض والقلويات ودرسوا ووصفوا مئات العقاقير وينبغي ان نذكر اسهامات العرب (فى القرن الثامن) يساوي في اهميته عصر بريستلى Joseph Priestley ولافوازييه (Antoine -Laurent de Lavoisier) وكان اول من أفضح عن حامض النتريك والماء ولقد تحدث عنه روجر بيكون بإعتباره أستاذ الاساتذة وبناء على ذلك يعتبر موسى بن جعفر اول من وجد حلا للمشكلة الكمياوية الكبري في الحصول على الذهب علي شكل سائل **2 كما** تمكن ***جابر بن حيان*** من شرح طرق للتبخر والترشيح والتصعيد والانصهار والتقطير،وكان يعي تماما طريقة تحضير حامض الكبريتيك وكانت كل المؤلفات التي تحمل اسم جابر بن حيان تترجم الي اللاتينية ولكي يرتسم في اذهاننا الاثر العميق للكمياء العربية في الكمياء الاوروبية فهذه بعض الكلمات العربية التي دخلت الى اللغة الانجليزية عن طريق دراسة كتب العرب الكيماوية مثل الكيميا القطران الكحل وزعفران والطلق **3**

1-نفس المرجع السابق : ص 71/70
2-ويل ديورانت :قصة الحضارة ،الجزء الرابع :ص 244.
3-جلال مظهر: مأثر العرب على الحضارة الاوروبية : تقديم كمال الدين رفعت و سعد عفره ص 116/117

وفي القرن الثامن أسس عبد الرحمن الاول بقرطبة حديقة للنباتات الطبية وارسل رسلا الى سوريا والى اماكن كثيرة في افريقية واسيا للبحث عن بذور نباتات نادرة.وسافر ابن البيطارالى جميع انحاء المعمورة من اجل الحصول على نباتات جديدة وكان يمتاز بسعة العلم وقوة المعرفة وقد ظلت كتبه المرجع الاعلى في علم النبات الى يومنا هذا وهو اعضم نباتي وصيدلي في القرون الوسطي،ولقد كان العرب بحق المبتكرين الحقيقين لعلم الصيدلة ذلك لان اغلب المستحظرات لا تزال تستعمل حتي اليوم ك الاشربة والمراهم والدهانات .....إلخ وهي جميعا من مبتكراتهم**1** .كما اتخذت جامعة لوفان سنة 1617.من كتب الرازي وابن سينا اساسا للدراسة لان مؤلفات اليونان لم تنل إلا خطوة قليلة والدليل أنك إذا دخلت كلية الطب في جامعة باريس،وجدت صورة أبي بكر محمد الرازي(924/844م) معلقة هناك وكان الرازي اعظم طبيب في العالم أما أعظم كتبه فالكتاب "الحاوي"وهو أضخم مؤلف الفه طبيب في تاريخ الطب يحتوي على عشرين جزء وترجم الى اللاتينية في القرن الثالث عشر وطبعت اربعين طبعة باللغة الانكليزية ما بين 1866/1498.تم ترجم الى الفرنسية سنة 1556 حيث كان الكتاب يشرح أعراض المرض بكل وضوح واقام بحثه في علم الامراض على نظرية التخمر ووصف العلاج. ومن علاجات الرازي الجديدة التي حيرت الطب الاوروبي إعتماده على شعر الحيوان كالحصان لخياطة جروح الرأس،فضلا **1** عن انه استعمل تقنية تحليل البول من اجل تشخيص المرض **وهي** تقنية موجودة حتي يومنا هذا. وإلى جانب صورة الرازي نجد صورة ابى على الحسين بن سينا 1037/970.معلقة هناك، قفد كتب ابن سينا تعاليمه العظمي في مؤلفين ضخمين هما "***كتاب الشفا***"و كتاب ***القانون في الطب*** وهو مبحث عظيم في علم الصحة والصيدلة وعلم وظائف الاعضاء والعلاج ولقد بلغ الطب الاسلامي عن طريق ابن سينا عميد الاطباء واميرهم اوج عظمته حيث تناول اولا الامراض المستعصية وبحث فى اعراضها وقام بتشخيصها وعلاجها عن طريق الحقن الشرجية والكي والحمامات والتدليك ويوصي بالتنفس العميق كما تناول بحوثا ممتازة في التهاب اللوزتين والاضطرابات المعوية والامراض الجنسية والانحرافات والاضطرابات العصبية بما في ذلك الحب وكذا العناية بالشعر والجلد وإتباع نظام الحمية .وقد ترجمت كتب ابن سينا في الطب إلي معظم لغات العالم وظلت إلى يومنا هذا

1-غوستاف لوبون نفس المرجع. ص 532

المرجع العالمي في الطب واستخدمت كأساس للتعليم في جامعات فرنسا وإيطاليا جميعا**1** إن مجرد وضع قائمة لبعض أعمال إبن سينا تكفي للدلالة على الحالة التى بلغها العرب من المحصول العلمي،كما ألف إبن الجزار (1009م)أعظم مؤلف هو "زاد المسافر" فترجم الى اللاتينية وكان شائعا جدا لانه وضع شروحا مهمة للأمراض الباطنية ونظرا لاهمية الكتاب البالغة فقد نسبه قسطنطين "مترجم الكتاب"الى نفسه .وكتب ابن عيسي البغدادي في طب العيون إلى جانب ابى مروان بن عبد الملك بن زهر فكان يعتبر أعظم الاطباء منذ جالينيوس واوصف براعته في وصف الامراض المعدية ومعالجة السل المعوي والشلل البلعومي وتدين له المادة الطبية بإستعمال كثير من العقاقير الطبية المفيدة كما تدين له الجراحة بأول فكرة عن جراحة الحهاز التنفسي،كما الف ابن الخاتمة مبحثا في الطاعون فتفوق هذا البحث على جميع البحوث التي نشرت في أوروبا عن الطاعون **2** أما الجراحة فلم تكن مختلفة عن الطب فكان ***ابو القاسم القرطبي*** أول من إستعمل المكواة والسكين في إجراء العمليات الجراحية وفي العمليات النسائية التي يدخل فيها عنصر الحياء كان متوفرا لديهم نساء عفيفات خبيرات في هذه الشؤون.كما عرفو في القرن الحادي عشر علاج غشاوة العين،كما عرفوا عملية تفتيت حصاة المثانة وعلاج النزيف بصب الماء البارد،كما أن إستعمال المخدر- ذلك الكشف الذي ظن البعض أنه من إكتشافات الغرب –لم يكن خافيا عليهم فكانو يوصون قبل إجراء العمليات المؤلمة بإستعمال الزوان**3** لتنويم المريض حتي يفقد الوعي. أما المستشفيات الاكاديمية فقد انتشرت في العالم الاسلامي اكثر من ثلاثة واربعين مؤسسة موزعة من فارس الى مراكش ومن سوريا الى دمشق وفي بغداد اسس هارون الرشيد اول مستشفي في اوائل القرن التاسع،وعرفت المستشفيات المتنقلة خلال القرن الحادي عشر،واحتوت بعض المستشفيات على مكتبات وهي مقسمة الى قسمين:احدهما للرجال والاخر للنساء وكان عند العرب مستشفيات خاصة بالمجانين كما كان عندهم عيادات خيرية يسطتيع الفقراء أن يفحصو فيها بالمجان **4**

1-ويل ديورانت قصة الحضارة الجزء الرابع ص:246/247 .
2-جلال مظهر: مأثر العرب على الحضارة الاوروبية : تقديم كمال الدين رفعت و سعد عفره ص 137/135
3-عشب ينبت بين أعود الحنطة
4- غوستاف لوبون.نفس المرجع السابق. ص 531/529/533

فارق بعيد كل البعد بين كل هذا وبين حياة اوروبا أنذاك حيث إذا أصيب أي شخص في اوروبا بحادثة او فاجعة إنما يسرع إلى ضريح أقرب من اولياء الله في إنتضار حدوث المعجزة،أما العربي المسلم فكان يعتمد على تعليمات طبية مضبوطة ودقيقة **1**

ولنا **أن** نقف وقفة إجلال لهولاء العباقرة اللذين ساهمو في نهضة الادب والفنون في اوروبا، فنحن لا ندين فقط بالعرفان لمدرسة بغداد لحفظها مؤلفات علماء الإسكندرية الهامة،ولكن ندين لها أيضا بإنجابها لرائد من رواد العرب في علم الجبر وهو الباحث العلامة محمد بن موسى الخوارزمي (780- 850م) الذي تناول مبادئ الجبر وصاغ أقدم جداول لحساب المثلثات عرفها التاريخ غير أن عبقريته لم تقتصر على علم الجبر بل تعمق في بحوث اخري فألف تقاويم فلكية والارقام الهندية وهي المؤلفات التي تمثل المرجع الشامل لعلماء الفلك فيما بعد،وكان عنوان الكتاب الذي الفه في الجبرهو "الجبروالمقابلة "وبدأ المؤلف بقوله"قال الغورتمي" ثم تحول بعد العصر الحديث الى اللوغاريتم وهذا هو اصل كلمة لوغاريتم وقد اصبح حساب المثلثات بمجهوداته اكثر وضوحا بإستنباطه حل المعادلات المتعلقة بحاصل جمع الزوايا،ويعتبر ثابت بن قرة أعظم المهندسين الرياضيين العرب حيث قام بأرصاد فلكية في بغداد وعلى الاخص من أجل تحديد إرتفاع الشمس وطول السنة الشمسية، أما إبن يونس فالف الجداول الحاكمية للكواكب ورصد في القاهرة في سنتي 978/977.اول كسوفين شمسيين سجلا بدقة علمية كما لا ننسي ذلك الذي كان مثالا للعالم العربي في اعلى مراتبه حيث كان ابو الريحان محمد بن احمد البيروني فيلسوفا ومؤرخا وسائحا وجغرافيا ولغويا ورياضيا وفلكيا وشاعرا وعالما طبيعيا،الف اعظم المؤلفات وأبتكر في جميع هذه الميادن واهتم بجميع فروع المعرفة وأكد أن الارض كروية الشكل وأن جميع الأجسام تنجذب نحو مركز الأرض وأنها تدور نحو محورها مرة كل يوم،وتدور حول الشمس مرة كل سنة ويكون بذلك قد صحح جداول بطلموس القائل بأن الأرض ثابتة. ألف موسوعة في علم الفلك وبحوثا في علم الجغرافيا وعلم أحكام النجوم والرياضيات وشرح الطريقة التي تعمل بها الينابع الطبيعية والابار الارتوازية بمبدأ توازن السوائل في الأواني المستقيمة،ولقد إستحق البيروني أن يلقبه المؤرخون

1- سيديو:تاريخ العرب العام (امبراطورية العرب :حضارتهم مدارسهم العلمية والفلسفية) تحقيق :عادل زعيتر، الناشر:دار العالم العربي ط 1 المجلد الاول .الجزء الثاني ص 88

الشرقيون "بالشيخ"أو"سيد العارفين"وكان إنتاجه الغزير المتنوع في الزمن الذي ظهر فيه بن سيناء وابن الهيثم والفردوسى نقطة التحول الكبري في الثقافة العربية،إذ كانت الفترة بين القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر هي أوج الثقافة العربية **1**

أما في علم البصريات فتطوروصل إلى ذروته عن طريق ***ابن الهيثم***(1020/996)عارض نضرية إقليدس و باطليموس في ان العين ترسل إشعاعات بصرية إلى الأجسام وبحث في إنتشار الضوء والألوان والخداعات البصرية والإنعكاس البصري بتجارب علمية دقيقة، وفحص إنكسار الأشعة الضوئية خلال الاوساط الشفافة كالهواء والماء ولا يزال إسمه مرتبطا بالمسألة المسماة"***بمسألة إبن الهيثم "*** واعتمد جميع الكتاب الغربين أمثال ليوناردو دافنتشى ويوهان كبلر في القرون الوسطي في مؤلفاتهم في علم البصريات اعتمادا كبيرا على مؤلفات أبن الهيثم في هذا العلم**2** وكان العرب متقدمين من ناحية تطبيق الرياضيات على علم الفلك والعلوم الطلبيعية حيث عرفوا حجم الأرض بقياس على شاطئ البحر الأحمروهذه العملية تضمنت إدراكا حقيقيا لشكل الأرض،كما صنع الإدريسي كرة جغرافية من ذهب وأهداها للملك روجر الثاني ملك صقيليا أنذاك ويعتبر مؤلف الادريسي ***"نزهة المشتاق في إختراق الأفاق"*** أكمل بحث جغرافي ورثته أوروبا عن العرب فهو يعتبر اول من قسم الارض إلى سبعة أقاليم متوازية يبدأ الاول بخط الاستواء وينتهي السابع عند البلدان الشمالية القصوي كما الف موسوعة جغرافية كبيرة إحتوت على جميع المعارف عن الكرة الارضية ّ وفي الزراعة نجد بن العوام الاشبيلي (1190م) حيث تفوق تفوقا عظيما ونال مركزالصدارة في علم الزراعة،حيث ألف "كتاب الفلاحة"وانواع الأتربة ومختلف أنواع الأسمدة"وشرح طرق زراعة 585.نباتا وخمسين نوعا من انواع الفاكهة وبين طرق التطعيم وشرح أعراض وعلاج الأمراض النباتية فكان كتابه هذا أكمل بحث في علم الزراعة ألف في القرون الوسطي فالعرب هم الذين أدخلو إلى اسبانيا فنون وطرق الزراعة حيث زرعوا فيها قصب السكر والارز والتوت ولك أن تلاحظ وسائل الري الموجودة الآن في أسبانيا وطرق استعمال القنوات المائية التي تعتبر من مورثات العرب حينما فتحو الاندلس 3

1- جلال مظهر: مأثر العرب على الحضارة الاوروبية : تقديم كمال الدين رفعت و سعد عفره ص 155/ أنضر أيضا تاريخ العرب العام الجزء الثاني ص 67

2-نفس المصدر السابق : 156-:

3* - سيديو:تاريخ العرب العام (امبراطورية العرب :حضارتهم مدارسهم العلمية والفلسفية) ص *317

واستعمل المصريون في القرن التامن ملح البارود لدفع القذائف بصوت يشبه صوت الرعد،ولقد استعمل العرب الأسلحة النارية قبل أن يستعملها المسيحيون بزمن طويل، كما استعمل العرب الورق قبل اوروبا بعدة قرون وكان لهم الفضل الأول في إدخال هذه الصناعة الاساسية إلى أوربا،ولنا أن نذكر ان اول صناعة للورق كان في بغداد عام 794م) في الوقت الذي ظلو فيه الأروبيون في القرون الوسطي لا يكتبون إلا على جلود الحيوانات ولم تعرف اوربا صناعة الورق إلا في منتصف القرن الثاني عشر **1**

ونحن لسنا بحاجة الى التذكير بدرجة الكمال التي بلغها الفن العربي،لان أول برج أقيم في اروبا كان برج إشبيلية في إسبانيا ومازالت أثاره موجودة حتي اليوم،قفد شيده العرب في القرن التاسع بعد الميلاد وما الساعة المائية التي أهداها هارون الرشيد الى شرلمان،إنما تكفي لإعطائنا فكرة عن دقة الصناعة الميكانيكية كما أن الساعة الكبيرة الشهيرة وهي اقدم ساعة في العالم موجودة في الجامع الاموي بدمشق فهي خير شاهد على مدي عضمة وأصالة هذه الحضارات **2**

وهكذا نري أن التأثير الذي بثه العرب في الغرب الذي تجلت مظاهره في جميع فروع الحضارة الحديثة ولقد رأينا أنه منذ القرن االتاسع حتي القرن الخامس عشر تكونت مجموعة من اكبر المعارف الأدبية في التاريخ وظهرت اختراعات ثمينة تشهد بالنشاط الذهني المدهش في هذا العصر،جميع ذلك تأثرت به أو سرقته منا أوروبا التي أدارت اليوم ظهرها لنا

فمهما جمعنا من أقوال المؤرخين فإننا لا نستطيع أن نحيط بجميع المعارف والعجائب التي كان يزخر بها بلاط بغداد ومصر ودمشق

فلك أيها القارئ أن تتمعن في مجموعة من الكتب التي ألفها هؤلاء العباقرة في الصحة والعلاج وقوانين الطبيعة والمشاهدات الفلكية والنظريات الرياضية و اللغة العربية وخصائصها وأصل الروح وبعث الجسد، وفي الطبيعة وما وراء الطبيعة’،موسوعة المعرفة الانسانية في عشرين جزء . إلخ إن النظر في مثل هذه القائمة يكفي أن يثير فينا إحساسا عميقا عندما نتذكر حالة أوروبا في ذلك العصر.

1-نفس المرجع ص 518/516

2-وقد كتب إبن جبير مقالا يصف فيه جمال وعضمة ساعة الجامع الاموي،فلا الكوارث هدمتها ولا الحروب كسرتها غير أنه وبكل أسف فالساعة العضيمة إستهدفت على أيدي أبنائها في ذلك اليوم الذي إستهدفو فيه قتل العلامة الكبير محمد سعيد رمضان البوطي

الحضارة وتعريفها :

أ- الحضارة civilization إصطلاحا :

جاء في لسان العرب ان الحضارة كلمة مشتقة من الفعل حضر معناه الإقامة في الحضرأي في المدن .ويقال عن الحضارة انها تشيد القري والمنازل،فهي خلاف البدو أو البداوة والذي يدل على المجتمع المعقد الذي يعيش فيه أكثر أفراده في الأرياف ويمارسون الزراعة والصيد.**1**

والحضارة في مفهومها العام:هي سلوك ونظام وقيم وأسس ومبادئ يزخربها مجتمع ما،وتسيطر على مجريات الاحداث فيه،يدعمها ويحافظ على بقائها عمل متصل وفعالية عالية مرتفعة،يساهم فيها كل انسان قادر مؤهل بقدر طاقته وتأهيله **2**

وقد عرفها **ويل ديورانت** كما يلي"إنها نظام إجتماعي،وتتألف من أربعة عناصر:الموارد الإقتصادية،والنظم السياسية،والتقاليد الخلقية ..وهي تبدأحيث ينتهي الإضطراب والقلق،لأنه إذا أمن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع. كما عرفها **جورج باستيد** "بأنها التدخل الإنساني الإيجابي لمواجهة ضرورات الطبيعة من اجل تحقيق المزيد من اليسر في إرضاء حاجاته ولإنقاص العناء البشري" وقد عرفها تايلور "بأنها ذلك الكيان المعقد الذي يضم المعرفة والمعتقدات والفنون والاداب والقوانين والعادات وجميع القدرات والتقاليد الأخري التي يكسبها الإنسان،بصفته عضوا في المجتمع . ومن خلال هذه التعاريف نستنتج ان المفكرون الألمان يركزون الأبعاد المادية من حياة الإنسان،بينما يركز المفكرون الفرنسيون على البعدين المادي والفكري من أبعاد التقدم أما الدكتور **برهان غليون:** فقد حاول ان يقارن بين الحضارة والمدينة فيقول : إذا كانت الحضارة هي النمو المطرد في المنظومات المادية والعقلية والروحية التي تنقل المجتمع من البدائية إلى التحضر وتجعله يتجاوز إنتاج الحاجيات إلى الكماليات ..فإن المدنية هي المبادئ التي تقوم عليها هذه المنظومات ،أو تشكل نواتها الأولي **4**

1- د/نعمان عبد الرزاق السامرائي: نحن والحضارة والشهود،الجزء الاول ،العدد 80.ط 1 فبراير 2001 ص 62
2-د محمد محمود سفر:دراسة في البناء الحضاري(محنة المسلم مع حضارة عصره)الطبعة الاولى 1409ه. ص 25
3- ويل ديورانت :قصة الحضارة:الجزء الرابع ت زكي نجيب محمود و محمد بدران ،المجلد الاول ، الجزء الرابع ،الهيئة المصرية العامة للكتاب (سلسلة مكتبة الاسرة –القاهرة مصر- ص 480
4 - برهان غليون -:إغتيال العقل (محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية) الجزائر سلسلة موفم صاد 1990 ص 106

فالحضارة إذن هى النمو في الماديات والعقليات والروحيات،أما المدنية فهي المبادئ التي تقوم عليها الحضارة والتي تنظم علاقات الأنسان الإجتماعية ومن جهته يعتقد **محمد حسين هيكل** **1** "إن العالم تسوده حضارة واحدة ساهم فيها الكل وهي ملك الكل حيث نجده يقول: (إن الحضارة تراث عالمي فلا وجود لحضارة شرقية ولا حضارة غربية ، وإنما هناك حضارة عالمية واحدة يجب الايمان بها والإخلاص لها) ويقول **محمد عزيز لحبابي"(**الحضارة تراث مشترك يجمع بين جميع الشعوب قديمها وحديثها وأنها إرث إنساني في نمو لا ينقطع، مثل بحر زاخر بالمياه والامواج،وله روافد عديدة تصب فيه على الدوام،تلك الروافد هي الثقافات القومية **2**

ب-أهم العوامل المؤثرة في التحضر:

يجب الإشارة أولا إلى أن التحضر وصف وليس قيمة،فالتحضر بنفسه لا يحمل كل الخير بل يمكن أن تكون الشعوب المتحضرة عائقا على البشرية وهذا حينما يصبح التحضر وسيلة إستدمار أو نهب لثروات الشعوب،لاننا كما نعلم ان الشعوب المتحضرة هي التي أشعلت الحروب وزرعت الفتن ومازال النهب والسلب على قدم وساق لذا نقول أن التحضر وصف وليس قيمة ومن أهم عوامل التحضر السلبية نجد:

عامل الجنس وتسويق العنصرية وتبرير الاستعمار:لا يختلف إثنان **في** كون المجتمع البشري يتكون من اجناس مختلفة يتميز بعضها **عن** بعض فهم يتفاوتون في الرضي والابداع الفكري والثقافي وقد شاع في القرنين 17 و18 م فكرة إختلاف الاجناس وان بعضها أرقي وافضل من البعض الاخر بما في ذلك الجنس الاري وقد اعتبر الالمان أنفسهم افضل الاجناس وارقاها في حين يمثل الافارقة السود شعبا بلا حضارة لكونهم احط الاجناس وادناها فالاجناس الافريقية تمثل أضحوكة وعار مؤلم بالنسبة للشعوب النورماندية التي تجسد صورة الانسان الأعلي إذن فالشعوب المتفوقة عرقيا هي الاكثر تقدما وتحضرا **3**

لو تمعننا تعريف الحضارة عند كل من حسين هيكل وعزيز لحبابي نجد أن الحضارة عندهم تحمل طابعا شموليا وهذا تفاديا للاختلاف والارتباك الذي وقع فيه المفكرين العرب في ترجمة بعض المصطلحات التي تتعلق بالثقافة والحضارة حيث هناك من ترجم culture الى ثقافة وجعل civilization حضارة .وهناك من ترجم culture الى حضارة وجعل civilization مدنية وهناك من يعتبر الثقافة هي الجانب الفكري، لذا يكثر الحديث عن الثقافات الخاصة وان لكل امة ثقافتها وقد لا تكون لها حضارة.أما الحضارة فتشمل الجانب المادي

2/محمد عزيز لحبابي:من الكائن إلى الشخص،"دراسات فى الشخصانية الواقعية) دار المعارف مصر ،ط2 .ص 35

-3- Friedrich Nietzsche. Ainsi Parlait Zarathoustra:t.henri albert.edition numerique p 422

العامل الجغرافي :حمل البعض من مفسري التاريخ ومن الراصدين للتحضر للربط بين التحضر والموقع الجغرافي،فجل الحضارات القديمة قامت على ضفاف الانهار بما فيها "حضارة بلاد الرافدين والحضارة المصرية القديمة) الحضارة تقوم في أمة وأرض،فأذا كانت الأمة مغلوبة على امرها متخلفة وكانت الامية من نصيب اغلب شعبها والفقر يضربها بسيوفه والامراض تستوطنها بشكل دائم،مرة تموت عطشا ومرة تدمر مدنها،فهذه الامة لن تفكر في التحضر،فلا بد أن يكون للأمة كفاية حتي تفكر في التحضر،ففي الصحراء حيث الحرارة المرتفعة والمياه الشحيحة يصعب إقامة حضارة أونجاح مشروع حضاري على نطاق واسع ومثل ذلك بلاد (الاسكيمو)حيث يصارع الانسان البرد من اجل ان لا يفتك به لذا فلن يفكر في إقامة مشروع حضاري وهو يصارع من اجل البقاء.فصحيح أن الإنسان صانع الحضارة،لكنه يحتاج للعوامل التي تعينه وتساعده.فنحن نري اليوم أمما تجاهد للتغلب على العوائق، فهناك تحلية مياه البحر وإستخراج المياه الجوفية والزراعة في بيوت محمية ،وتسميد الاراضي الزراعية لمضاعفة الإنتاج.ونختم ما تقدم بقول "ويل ديورانت" (**إن العوامل الجغرافية على الرغم من انها يستحيل أن تخلق المدينة خلقا،إلا أنها تستطيع أن تبتسم في وجهها وتهيئ سبل إزدهارها)1**

العامل الاقتصادي :يعتقد الماركسيون أن كل العلاقات الاجتماعية والتشريعات والنظم والدين،كلها تتأثر بالعامل الاقتصادي بما فيه التحضر،وكل تغيرفي أشكال الحضارة فهو عائد في اصله إلى تغير في وسائل الانتاج،فليس للإنسان حرية إختيارشكل مجتمعه.بل ذلك متروك لقوي الانتاج بما في ذلك كافة الانضمة الاجتماعية ومنها الدين ونظام الاسرة

عامل العقيدة:يعتبر عامل العقيدة عاملا مهما وفاعلا في التحضر لان الانسان يتأثر تأثيرا كبيرا بدينه ومعتقداته وخير دليل على ذلك أمتنا العربية،فقد إنتقلت من الإنقسام إلى الوحدة،ولو بقيت على إيمانها بالأصنام لعاشت خارج التاريخ،وفي السياق نفسه يقول **كولن ولسن 2 "الانسان ليس كاملا بدون دين فإذا أراد ان يتقدم خطوات أسمي فلن يكون ذلك إلا عن طريق الشهية الدينية،فالدين هو العمود الفقري للحضارة،فالعقيدة أو الدين هو ما يميز الإنسان عن الحيوان وأن كافة الحضارات كان لها عقيدة ودين تعتز به وتستمد التشريع منه"** فعلى حد تعبير **برنار د شو** إن الحضارة تسقط في اللحظة التي تكون قوة اشد واكبر من قوة الدين ولذلك يمكن

1-د/نعمان عبد الرزاق السامرائي: نحن والحضارة والشهود، ص 150/124

2- كولن ولسون، coline wilson (26 يونيو 1931 -05 ديسمبر 2013) كاتب انجليزي،اهم مؤلفاته سقوط الحضارات ،اللامنتهي ،الدين والتمرد

إعتبار عامل العقيدة من اقوي العوامل المؤثرة في التحضر إذا أحسن الإنسان فهمها وتحريكها**1**

قوة الشبكة الاجتماعية: إن الحضارة في نضر مالك بن نبي تعيش وتستمر مادامت شبكة العلاقات الاجتماعية سليمة وقوية،أما عندما يرتخي التوتر في خيوط "شبكة العلاقات الاجتماعية فتصبح عاجزة عن القيام بالنشاط المشترك بصورة فعالة، فذلك أمارة على أن المجتمع مريض وأنه يؤول إلى نهايته،أما إذا تفككت الشبكة نهائيا فذلك إيذان بهلاك المجتمع وحينئذ لا يبقي منه غير ذكري مدفونة في كتب التاريخ .وربما كانت هذه الحالة من التحلل والتمزق في المجتمع الاسلامي حين اصبح عاجزا عن أئ نشاط مشترك- وقد سبق وأن تطرقنا إلى فكرة فساد الشبكة الاجتماعية عند مالك بن نبي بالشرح والتحليل في المحاور السابقة- **2** ومن جهته يري المؤرخ أرلوند تويمبي أن إنحلال الحضارة يزامنه فساد كبير في أرواح الناس الناتج عن تغير جذري يطرأ على سلوكهم ومشاعرهم وحياتهم كلها،فيحل مكان الصفاة الحميدة والقوي المبدعة التي كانو يتحلون بها يحل محلها ثنائية من الصراعات والمواقف المتطرفة والعقيمة،وهكذا ينتشر الفساد الروحي كاشفا عن فوضوية تعم الاخلاق والعادات مما يؤدي إلى إنحطاط يشمل الأداب والفنون ثم قد تسعي (الأقلية المسيطرة إلى فرض دين جديد مستعملة في ذلك العنف لكن دون جدوي ولا فائدة .إن من يطبق هذه النظرية على الحضارة الاسلامية بداية من الاندلس،مرورا بالعباسية في المشرق وحتي العثمانية، فسيجد الكثير من الشواهد على صحة هذه النظرية **3**

الدافع الحضاري:قد تتوفر عند الإنسان إمكانيات كبيرة لكنه لا يتحرك ولا يستغل هذه الامكانيات مثلما هو سائد عندنا في المجتمع الجزائري.وفي مقابل ذلك تكون الفرص قليلة والامكانيات ضئيلة، لكن قوة وعزيمة نفس الانسان تدفعه للعمل والتشبث،وهذه اليابان التي تجاوزت شح البلاد وقلة الخيرات وتحدت الكوارث الطبيعية الخطيرة،لانها ببساطة كانت مصممة على صعود سلم التحضر وبأسرع وقت ممكن وقد صنفت في المرتبة الثانية من حيث الإنتاج الصناعي،بينما نجد بلدان فيها الكثير والكثير من الخيرات وتزخربمختلف الثروات

1-د/نعمان عبد الرزاق السامرائي: ص 126 /128
2-مالك بن نبي :ميلاد مجتمع (مشكلات الحضارات) ص 39
3-ارلوند تومبي: مختصر دراسة للتاريخ. (الجزء الأول) ت :فؤاد محمد شبل،مراجعة:محمد شفيق غربال،تقديم الطبعة: عبادة كحيلة، من إعداد المركز القومي للترجمة: القاهرة 2011. ص 38

إلا أنها كلما خطت خطوة إلي الامام تتأخر بخطوتين وتكون غالبا في مؤخرة القافلة **1**

إن الدافع الى التحضر حينما يكون قويا يزيد في نفس الانسان قوة وعزيمة من اجل التغلب على المصاعب لان الافكار هي التي تسيطر على نفوس أصحابها فتدفع بهم إلى العمل وهنا نشير إلى ما كرره مالك بن نبي في مختلف نظرياته كون الحضارة تبدأ بدافع روحي داخلي وبذلك فهي تكون في هذه المرحلة روحية نشيطة يعمل أصحابها بجد وإخلاص فتحقق إنجازات كبيرة **2**

1-عمر عبيد حسنة :نحن والحضارة والشهود ص 146
2-مالك بن نبي:ميلاد مجتمع ص 37

الفصل الثاني:

حركة التحضر مع أشهر المفسرين لها

1- الحضارة عند رالف لينتون:

تدور معظم حياة الانسان حول علاقات وتفاعلات المجتمع والحضارة والفرد.وترتبط هذه الحقائق الثلاث ببعضها ارتباطا شديدا إلى درجة يجد فيها الباحث نفسه في دوامة معقدة حين يحاول التفريق بينهما فالمجتمع عبارة عن مجموعة منظمة من الافراد.والحضارة مجموعة منظمة من الاستجابات التى تعلمها الافراد وأصبحت من مميزات مجتمع معين،وربما كان أحسن تعبير عن العلاقة بين الحضارة والمجتمع هو القول بان علاقة الحضارة بالمجتمع تشبه إلى حد كبير علاقة الفرد ككائن حي بأنواع الإستجابات المعتادة .أما الفرد فهو عضو قادر على التفكير المستقل وله شعور مستقل وأعمال مستقلة **1** وعلى الرغم من أن الحضارة والمجتمع شيئان متلازمان إلا أنهما ظاهرتان من نوعين مختلفين يتصلان ببعضهما عن طريق الأفراد.ولكن كل فرد يعبر فقط عن جزء من الحضارة،ولا يستطيع أن يعبر عنها على الاطلاق ومن المحال أن يتيسر لفرد واحد ان يلم بجميع نواحي حضارة المجتمع الذي يعيش فيه .ويظهر تأثير الحضارة على الفرد في ناحيتين مختلفتين. فمن جهة تتهيأ للفرد في دور نموه فرصة ليتعلم الكثير من حضارة مجتمعه تعليما مباشرا وموضوعيا حيث يستطيع الفرد ان يتعلم أساليب الحضارة التي تنتقل عن طريق التقليد وهي القيم التى يستطيع الفرد اثناء تطوره ان يحصل عليها.وفي عصر تسود فيه فوضي الحضارة (كعصرنا هذا)نجد ان القيم الخلقية وموقف الفرد منها أصبحت فى الواقع داخلة في كيان حضارتها،وأن ما نعتبره مثالا أعلى قد يختلف إختلافا كبيرا لدي الفرد الاخر فلكل مجتمع أصبح لديه أساليبه الحضارية التي رسمها لنفسه للعناية بالأطفال ففي بعض المجتمعات يتركون الاطفال وشأنهم ولا يلبسونهم أي ملابس،بيمنا المجتمعات الأخري يلفونهم بعناية شديدة بواسطة الاقمطة (القماط) ويضعونهم في المهد **2.**

إن مهمة الحضارة في مجملها تكمن في ضمان بقاء الجماعة التي تسود فيها تلك الحضارة واستمرار رفاهيتها،وتصل الحضارة الى هذه الغاية إذا ما قدمت أعضاء الجماعة أساليب ناجحة من اجل مجابهة كل ما يستجد أمامهم من مشاكل، وفي حالة العجز عن إيجاد الحلول المناسبة فإن فناء الجماعة يصبح امرا لارجعة فيه.وقد يتحتم على الحضارة أن تفسح المجال للإحتياجات النفسانية أو السيكولوجية للأفراد **3**

1-رالف لينتون شجرة الحضارة الجزء الاول الفصل الرابع تقديم محمد سويدي موفم للنشر 1990.ص73/64.
2 -قماش طويل على شكل حبل يستعمل للفف اطفال صغار.
3 -رالف لينتون نفس المرجع السابق .ص 84/82/72 .

فيجب أن تمدهم بأشياء تبعد تبعد عن أنفسهم السأم والملل مثل الألعاب الرياضية وسرد القصص والنشاط الذي يدعو الى تقدير الجمال كما تمدهم بما يعيد الثقة الى نفوسهم عند حدوث الازمات.وإلى جانب ذلك يتحتم ان تقدم الحضارة سلسلة من الأقوال عن طبيعة الكون وعن أصول الأشياء وتسد بوجه جميع حاجات المجتمع وتسد كذلك حاجات الفرد العادي **1** وبالرغم من ان الفرد قد اصبح متحضرا تحضرا كاملا فمازال يفكرويشكل أنواعا جديدة من السلوك إستجابة لمواقف تكون فيها أساليب حضارته غير كافية،أما تحضره فيحدد الوسلائل التى يستطيع أن يعمل ويحدد إتجاهات تفكيره.فالفرد يستطيع أن يتشكل في إطار إجتماعي حضاري ولكنه يظل دائما كما هو،أنه أشبه بالخميرة في عجينة الحضارة، ويمكننا أن نتتبع أي عنصر جديد فنصل الى حقيقة واحدة وهي أننا مدينون دائما لتفكير فرد من الافراد **2**

2- الحضارة عند إبن خلدون :

لقد شكلت مقدمة ابن خلدون منعرجا حاسما في تاريخ الامة الاسلامية لان الدراسة التاريخية قبل ابن خلدون كانت مجرد روايات ينقلها الحاضر عن الغائب دون الاستناد الي اية دراسة دقيقة ومعمقة.وحينما جاء ابن خلدون اضفي علي التاريخ صبغته العلمية حيث ادخل مبدأ السببية وعلل معني تتابع الاحداث.فلقد فهم ابن خلدون علاقة التفاعل المبادلة التي تربط الانسان بتاريخه والتى سماها ب التغلبات للبشر بعضهم على بعض.وبذلك تكون فلسفة التاريخ عند ابن خلدون وقفت كحد فاصل بين مرحلتين متميزتين في المنهج التاريخي.وقد اعطي لهذا المنهج المتفرد سبقا للحضارة الاسلامية التي كان الفضل في الانتقال باالتاريخ من مرحلة الجمع الي مرحلة التفسير ومن منهجية التوثيق الى منهجية التمحيص والتركيب الفلسفي الذي يمثل مرحلة جديدة في الرشد العقلي للانسانية كلها وقد رد ابن خلدون تشكيل الدولة الى العصبية **3** لما تحتويه من اتحاد والتحام لان السياسة لا تكون إلا بالغلب والغلب لا يكون إلا بالعصبية، **4** وان الدعوة الدينية تزيد من الدولة في اصلها قوة على غرار قوة العصبية والسبب عنده هو ان

1-نفس المرجع السابق . ص 80/78

2-نفس المرجع السابق ص 88

3عبد الرحمان ابن خلدون :المقدمة: تحقيق الاستاذ درويش الجويدي : المكتبة العصرية صيدا بيروت ط الاولى 1995 ج 15 ص 225-264.

4-العصبية او العصبة تمثل مجموعة من الافراد اللذين تجمعهم رابطة الدم او رابطة الولاء وتبقي مستمرة بإستمرار عملية التناسل فينشأ بين أفرادها شعورا يؤدي الى المحاماة ومن ثمة يتعصبون ويشعر الفرد بأنه جزء لا يتجزء من اهل عصبيته وفي حال تعرض العصبية الى عدوان يضهر في هذه الحالة الوعي بالعصبية وهو الذي يربط افراد العصبية الي بعضهم البعض وهو ما يسميه ابن خلدون بالعصبية

القيم الدينية تقضي على كل اشكال الحسد والتنافس اللذين هما في اصل العصبية.فهناك تاثيرمتبادل بين الحضارة والعصبية فبينهما علاقة بناء لان دور العصبية هو السعي نحو تغيير أسلوب الحياة اليدوية البدائية وهي بمثابة اداة لتغيير اسلوب الحياة وهي اساس تكوين الدولة وبالتالى وجود العمران الحضري.ولعل هذا التوجيه لابن خلدون في نشوء الحضارات في حدود العصبية عائد الى الاطار البيئي الذي عاش فيه حيث من المعروف ان بيئة ابن خلدون تمتد جذورها الى الحياة اليدوية ولها ارتباط بالحياة الحضرية فالمدن والامصار انذاك كانت تعيش مع غبار القبائل الرحل التى شهدت تغيرات من صعود وسقوط وتدهور ونشوء دول جراء إجتماع العشائر وتفرقها **1** وهي نظرية وفقت الى حد كبير في ابراز العلاقة الوطيدة بين اشكال التحالف الاجتماعي في مثل تلك البيئات الجغرافية كما تكشف لنا النضرية ان الدولة عنده مثل مثل الكائن الحي الذي يتطور على الدوام وفقا لنضام ثابت حيث تلد ثم تنمو وأخير تزول وتفني كما تتطور جميع الكائنات الحية **2** فالحضارة عنده تتعاقب في ثلاثة أطوار هي

طور البداوة: يمثل حياة البدو في ال حصحراء والبربر في الجبال والتتار في السهول وهولاء عند إبن خلدون لايخضعون لقوانين مدنية ولا تحكمهم إلا حاجياتهم وعاداتهم

طور التحضر:فهو يمثل ـتأسيس الدولة على اساس العصبية والدين ومن ثمة الاستقرار

طور التدهور :تأتي بعد مرحلة الإزدهار ووصول الناس إلى مرحلة الإنغماس والترف وتغير العادات إلى المناكر والتكبر عليها.

وقد رأى ابن خلدون ان مراحل تحضر الدولة هي ذاتها عوامل تدهورها ذلك ان الحضارة وإن كانت غاية العمران فهي في الوقت نفسه مؤذنة بنهاية عمرها.وقد توصل إبن خلدون من خلال نظريته فيما يخص النشوء الحضاري إلي ما يلي:

1-د. زينب حضري :فلسفة التاريخ عند ابن خلدون: دار الثقافة للنشر والتوزيع –القاهرة- ص 166.
2-عبد الرحمان إبن خلدون :المقدمة،الجزء 15،ص :251 /260.

العصبية الدينية أو القبيلة لها دور أساسى في بناء الدول فالحضارة مثل الكائن الحي فهي في تطورمستمر حيث تبدأ بطور البداوة إلى طور التحضر ثم الزوال وقد ربط إبن خلدون سقوط الدول بسقوط العصبية والولاء فالدول كالأفراد تخضع لدورة الحياة الفردية التي تنتهي بالموت .فللعوامل الجغرافية والبيئية دور في تسير حركة التاريخ وقد توصل ابن خلدون الي الاقتناع بفكرة التعاقب في الحضارة حيث أن للحضارة عمر تمر به كعمر المرء الذي يولد ثم يكتمل نموه ثم يهرم ويموت وعلي هذا الاساس تمر الدولة بمراحل وهو ما يسميه بالتعاقب الدوري أما عن التاريخ عند إبن خلدون فهو حركة إنتقال مستمرة من البداوة الي الحضارة على شكل دورة لا مستقيم وهذا الانتقال يتم عبر الدولة على خمس مراحل ففي كل مرحلة تنشا الدولة على انقاض دولة سابقة **1**

3-الحضارة عند ارلوند تويمبي:

ارلوند تويمبي مؤرخ كبير بحث في الحضارات بحثا مفصلا شاملا في موسوعته التاريخية (دراسة التاريخ) في 12 مجلد استغرق في تاليفها 41عاما. خلافا لمعظم المؤرخين فهو يفرق بين المجتمعات البدائية والحضارية، فالحضارية أقل عددا من الأولي فهي 21 مجتمعا إندثر معظمها ولم يبق منها –كما يقول-إلاّ سبع حضارات ست منها تمر بمرحلة الانحلال وهي الحضارة الارثوذوكسية المسيحية البيزنطية والأورثوذوكسية الروسية والاسلامية والهندوكية والصينة والكورية -اليابانية اما السابعة أي الحضارة الغربية،فلا يُعرف مصيرها **2**

لقد إستخدم تومبي في تفسير التاريخ ونشوء الحضارات جميع ما يتوفر من الدراسات الانتربولوجية والبيولوجية بما في ذلك طقوس الزواج والمحضورات التقليدية،بالإضافة إلى إستخدام كل ما توصل إليه علماء التاريخ والحفائر والجغرافيا البشرية من اجل إستخلاص عوامل حركة التاريخ والكشف عن قوانينه،وقد توصل الى فكرة اساسية وهي انه من غير الممكن دراسة كل حادثة او واقعة بمعزل عن التاريخ فلا بد من ربط الاحداث المتعاقبة في سياقها الزمني ولو من بعيد وهذا حينما فسر نشأة الحضارة عن طريق عاملي التحدي

1-نفس المصدر السابق ص 70

2-ارلوند تومبي:منهج التاريخ وفلسفة التاريخ:ت محي الدين أسماعيل،بغداد .دار الشوون الثقافية ،ص 51

والإستجابة حيث يلعب فيه العامل الجغرافي دورا اساسيا حيث ان الحضارة ونشوءها تكون من رد معين يقوم به الشعب لمواجهة ضرف ما وهذا الرد او الاستجابة هي التي تمثل الإرادة الإنسانية.وهذا التحدي يأخذ جبهتين:

الاول من الطبيعة والثاني الجنس البشري ومع الجبهتين يلعب العامل الجغرافي دوره في فرض نوع من التحدي الطبيعي والبشري. وقد إستمد تومبي نظريته المشهورة في نشوء الحضارت الاولي من علم *النفس* السلوكي من نظرية (كارل يونغ **Carl Jung**) يوضح ان الفرد عندما يتعرض لصدمة يفقد توازنه لفترة ما ومن ثمة قد يستجيب لها ب نوعين من الاستجابة :الاولي النكوص الى الماضي لاستعادة التوازن والتمسك به فيصبح انطوائيا (استجابة سلبية)والثانية قبول الصدمة والاعتراف بها ثم محاولة التغلب عليها فيكون في هذه الحالة انبساطيا (استجابة ايجابية) فقد طبق تومبي هذه النظرية على نشوء الحضارات حيث يقول ان المجتمعات البدائية لدي مواجهتها للتحديات البيئية والبشرية فإنها تستجيب إستجابات مختلفة أي أنها تواجه ذلك الموقف بردود فعل تختلف بعضها سلبي وبعضها إيجابي.وهذا تماما ما إنطبق علي العرب حينما تعرضو لصدمة حضارية،فلجأو إلي الماضي دفاعا عن النفس حيث هناك مجموعات استجابت الي التحديات الطبيعية بأساليب مختلفة منها البقاء في اراضيها حيث تحول بعضها الى قبائل رحالة والاخر انحدر الى الجنوب نحو المناطق الاستوائية فضلو محافضين علي نمط معيشتهم البدائية السابقة (استجابة سلبية)

أما القسم الأخر واجه البيئات الطبيعية وتحداها فكافح عوائقها لأغراضه بعد ان اكتشف الزراعة،الامر الذي أدي إلي نشاة الحضارة المصرية الرائعة،كما انتقلت جماعات من شبه الجزيرة العربية إلى جنوب العراق والفرات فنتج عنها انبثاق حضارات ما بين النهرين وهي استجابة ديناميكية ايجابية كانت وراء تاسيس اعظم حضارات تاريخ البشرية التي امتازت بالابداع والتطور والتغيير فالبيئة تتحدي الناس فإن إستجابو للتحدي بالنجاح فإنهم سوف يتمكنون من انشاء حضارة قوية ذات شان عضيم وان فشلوا فإن نمو الحضارة يكون عسيرا كالصحراء في شبه الجزيرة العربية ولهذا فإن نمو حضارة من الحضارات أمر مرهون بمدي إستجابة الناس للتحديات التي تواجههم ويري تومبي أن كل حضارة تمر بطورين إثنين:ففي

1-كارل جوستاف يونج(Carl Jung :) 1875، 1961 هو عالم نفس سويسري ومؤسس علم النفس التحليلي.

الطور الأول وهوطور النمو تكون الاستجابة للتحديات موفقة دائما،أي أن الناس يكونون أقدر وأجدر من القوة التى تعارضهم.أما الطور الثاني يكون الوضع متناقضا،أي تكون التحديات أقوي من كفاءات الناس العاجزون عن الاستجابة لها ثم يضهر تحدي اكبر من السابق فيكون الرد أضعف من الرد الأول ويستمر الحال هكذا الى ان تضمحل الحضارة وتشيخ وعلي أساس نظرية تويمبي يكون النشوء والانهيار حسب مستوي التحدي وفعالية الرد من طرف الشعوب المواجهة. ..

وعن سقوط الحضارة يعتقد تومبي بان الحروب هي السبب الجوهري لإنهيار المجتمعات أو الحضارات وهو يأخذ مثال المجتمع الأشوري حيث يقول**"هوت *أشور جثة هامدة* "**ولكنها مدججة بسلاحها، ومن المعروف ان تسليح أشور هو أقوي تسليح في غرب أسيا خلال القرن السابع (ق م) ومع ذلك قفد إنهارت بسرعة قصوي أمام هجمات البابلين.وقد رأي تومبي ان العالم الاسلامي بما فيها العالم العربي يوا جه اليوم التحدي الغربي بطريقتين: سلفية منغلقة تمثلها الحركات السنية الوهابية والشيعية.اما الطريقة الثانية فهي تقدمية منفتحة.ويري ان الموقف السلفي يمثل انحلالا حضاريا بينما يمثل الموقف التقدمي حركة ديناميكية جديرة بالتقدير،وأن الحضارة الإسلامية بما فيها الحضارة العربية تمر بمرحلة الإنحلال وأن محاولات إنقاذها كانت غير كافية ومجدية في تحقيق التقدم واللحاق بالحضارة الغربية وهي الفكرة التي إختلف فيها مع شبنجلر chppengller القائل بأن العالم الغربي قد أخذ بالانهيار اما تومبي فهو يعتقد بأن الغرب ما يزال شابا وأنه لا يضمحل ويستمر في الوجود**1**..وقد اعتبر تومبي الصعاب والازمات مصدرا لحث الانسان على التكامل والتحضر والنهوض،كما ان حياة الترف ورقة العيش يكون سببا لإندثار الحضارة وهنا يلتقي مع نضرية ابن خلدون وكذا فيها انسجام مع كلمة جمال الدين الافغاني"الازمة تلد الهمة "فبالرغم من تعرض الحضارات للتحدي بأعتباره شرطا اساسيا لنهوضها وارتقائها(عند تومبي)إلا أنه ينبغي ان تكون التحديات بأنماط متوسطة العنف لتكون حافزا على مضيها في الطريق الصاعد.وعلى هذا يعتبر تومبي التاريخ انه سلسلة من التحديات والاستجابة.أما عن عملية تكوين الاستجابة فمن المفروض ان لا تقتصر على مضهر واحد من مضاهر الحضارة وانما لا بد ان تملك صفة الخصوبة والتنوع من الدين والعلم والفن والفلسفة **1**

1-نيفين جمعة:فلسفة التاريخ عند أرلوند تومبي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1991،ص 100/99/98.
2-نفس المرجع السابق. ص 165.

3-الحضارة عند أوزولد شبنغلر

لقد كان لإندلاع الحروب أثرا مدمرا على مفكري الغرب إذ شعروا فجأة أن حضارتهم ليست في مأمن من ان يصيبها ما اصاب الحضارات الماضية.فوجهت هذه التجربة القاسية الكثير من مفكري الغرب لدراسة الحضارات والوقوف على أسباب إنهيارها وسبيل إنقاذها.وهذا ما دفع ب اوزولد شبنغلر (1880 1936).أن يبدي قلقه من مستقبل الحضارات الغربية،حيث درس سبع حضارات قتوصل إلى أن جميع الحضارات مرت بفترات تقريبا بنفس المراحل التي تتمثل في النمو والاستقرارثم السقوط،وكأنها مرت بأعمار معينة حيث نجده يقول في هذا الصدد"**إن الحضارات ما هي إلا أجهزة عضوية وتمر كل حضارة في مراحل نموها بمرحلة تشبه الكائن الحي.وبملاحظة سير الدورة الحضارية وتتبع أطوارها يمكننا التنبوء بمستقبل أي حضارة ونتنبأ بما بقيى لها من العمر**"

ولما كانت الحضارة تشبه الكائنات الحية فإن ذلك يعني انها تمر في مراحل نموها بمراحل تشبه عمر البشر أي لكل حضارة طفولتها وشبابها ونضجها وشيخوختها وقد إعتبر شبنجلر الحضارة الغربية أنها في مرحلة الشيخوخة وقد اعطي لفنائها مدة 50 عاما لتكمل 1000عام ويمكن القول ايضا ان لكل حضارة دورا كأدوار السنة حيث لها ربيعها،صيفها،خريفها،وشتاؤها الذي يعني زوالها قبل فوات الا وان الذي يكون بسبب الحروب او ضروف خارجية.وربيعها هو زمن بطولاتها وملامحها ثم يأتي صيفعا وريفها بقيام المدن والارستقراطية حول الزعمات ويشهد الخريف التدفق الهائل لينابع الحضارة الروحية وهو عصر التمدن وازدهار التجارة وتوسيع الدول وقيام الدول كالرأسمالية وحكومات الأثرياء وهوعصر الحروب والاستبداد السياسي ثم ياتي شتاوها اين تفقد روحها وبذلك فهي تعود إلي نقطة البداية ولكن ذلك يمثل الاطار العام للحضارات،أي في مسارها الخارجي عبر التاريخ.اما فيما يخص مضمون الحضارة الداخلي فإن لكل حضارة روحها الخاصة وطبيعتها المختلفة ورؤاها المشتركة فيما بين أفرادها التي توحد نظرتهم للعالم،ولكنها تميزها عن الرؤي الحضارية الاخري.اذ التشابه بين الحضارات هو تشابه خارجي.اما الاختلاف فيتجسد في المضمون الداخلي اي في روح الحضارة لان الحضارات تختلف فيما بينها في الجوهر أو في الاسلوب فالحضارا اذن مستقلة عن بعضها البعض تمام الاستقلال. حيث تكون كل منها مقفلة على نفسها ليس بينها وبين الحضارات الأخري إلا نوافذ لا تسمح بنفاذ إلاّ ما يناسب جوهر الحضارة الأخري وروحها

1 ورأى أنه بالامكان الكشف عن روح كل حضارة من خلال طابعها الخاص واسلوبها الذي تتميز به والذي يمكن رؤيته بوضوح في كل مظهر من مظاهرها مثل (الفن،الدين،العلم،والسياسة)ولا يمكن ان نفهم حركة التاريخ من منظور شبنجلر إلاّ بإعتباره مسارا مكونا من مجموعة من الحضارات التي تتعاقب بشكل دوري.ولما كان لكل حضارة كيانها الخاص الذي تنفرد به عن غيرها من الحضارات الاخري، فهذا يعني أن لكل حضارة ما هي إلا بنية مغلقة على ذاتها وبالتالى فلا سبيل للاتصال بين حضارة واخري.وكل حضارة تعبر عن دورة حياة مقفلة فلا مجال للقول بالأصول الاجنبية لمظاهر الحضارة فذلك لا اساس له لانه لا شيئ اسمه تاثير حضارة في اخري**2**

وهنا تظهر صعوبة الحوار بين الحضارات حسب منهج شبنجلر وذلك لعدم جدوي الارضية المشتركة التي تجمع بين الحضارات لان كلا منها يحمل رؤي وتصورات ومفاهيم خاصة بها حيث تظهر الحضارات بمثابة حلقات مغلقة لا اتصال بينها **3** والدليل على ذالك ان لكل حضارة طابعا معينا في الفن تعبر به عن روحها وشخصيتها فاليونان عبروا عن الهتهم بصورة مجسمة في النحت الذي يمثل التجسيم اما الحضارة الاسلامية فقد استبعدت النحت والتصوير لانهما لا يلائمان روحها المجردة ،وانما عبروا عن عقيدتهم بالزخرفة اما الغرب فقد عبرو عن حضاراتهم بمحتلف التماثيل والتحف التي غالبا ما تكون شبه عارية . لقد اعتبر شبنجلر انه لا يمكن فهم سياق التاريخ والتعبير عنه بشكل صحيح إلاّ عبر مقولة المصير وما يعنيه بمقولة المصير إنما هي حالة القلق الروحي التي تصيب الانسان من جراء تحد خارجي،وبتعبير اخر الانسان بقوة انسانية اخري تتحداه وتهدد وجوده وفي هذه اللحظة تنتفض الروح للتعبير عن وجودها والمحافضة على بقائها،إذ فكرة المصير تقتضي وجود عاملين (وجود ذات مستقلة لها كيانها وطابعها المستقل ثم وجود أحداث خارجية بينها وبين الذات علاقة تنافر،وبالعودة إلى منهج شبنجلر نجد أنه لا بد من عوامل خارجية تعمل على استثارة روح تزخر بالقوة الكامنة في داخلها.**4**

1- عبد الرحمن بدوي،اشبنجلر،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة،1941.ص 126./89/90
2-حمد محمود صبحي،في فلسفة التاريخ،مؤسسة الثقافة الجامعة،الاسكندرية،ط3. 1990.ص 220.
3-اوزولد شبنجلر :تدهور الغرب الجزء الاول،ترجمة احمد الشيباني ،دار مكتبة الحياة بيروت 1964م. ص .266
4-نفس المرجع السابق ص 218 -225.

وكل حضارة في رأي شبنجلر تعرضت لقوة خارجية او ضعط بشري لا بد ان تمر بإحدي الحالات الثلاثة التالية

.حالة ولادة حضارية جديدة نتيجة لقوي أجنبية معادية وحالة التشكل الكاذب للحضارة وهي حالة عندما تتلاقي حضارتان إحداهما أكثر قوة وأعظم انتشارا،والثانية حضارة عريقة تمتلك مقومات الابداع والابتكار ولكن تضطر هذه الحضارة الثانية للخضوع للاولى ماديا ولكن هذا الخضوع ما هو الا نوع من التكيف الظاهري مع الحضارة الاقوي ما دامت الحضارة المغلوبة لا تسطتيع ان تعبر عن طبيعتها الخاصة،ولكن التكيف والتلائم او التغير الظاهري ما هو الا تغير سطحي لا يمس صميم هذه الحضارة،فمثلا منطقة شرق البحر المتوسط على الرغم من سيطرة اليونان ثم الرومان الا انها بقيت تحتفظ بخصائصها الذاتية فبمجرد ظهور الاسلام استجابت له هذه الحضارة بعد ان انحسر نفوذ الحضارتين اليونانية والرومانية.
أما الحالة الثالثة فتحدث عندما تتلاقي حضارة عريقة قادرة على الإبداع والابتكار مع حضارة لا زالت في المهد،فتقوم الحضارة الاولى بخنق الثانية مثل الحضارة الغربية الحديثة التي قضت على الحضارة المكسيكية وحضارة هنود الحمر.

وترجع أهمية دراسة شبنجلر للحضارة لكونها تشكل محورا اساسيا لدراسته التاريخية وموضوع الحضارة هو أحد المواضيع المطروحة على الساحة الفكرية فلا توجد مسالة الا ولها علاقة بالحضارة كمسالة التقدم العلمي والتطور التقني وثورة المعلومات والاتصالات والتقدم الاجتماعي،ومن جهة اخري نري ان شبنغلر قد سعي الى تفسير مسار التاريخ تفسيرا بيولوجيا اتسم بالكثير من التشاؤم فقدم اراءه بطريقة فنية ظهر فيها حدس الفيلسوف اكثر من كونها تحليلا علميا دقيقا **1** ورغم كل الانتقادات التى وجهت اليه إلاّ أنه صاحب النظريات التى ضربت اعماقها عبر التاريخ حيث اثر على عدد كبيرمن المفكرين الغربيين في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ويأتي على رأس هؤلاء المؤرخ الكبير ارلوند تومبي وماركيوز الذين شغلتهم مصير الحضارة الغربية وازمات الانسان الاوربي المعاصر

1- عبد الرحمن بدوي: اشبنجلر،ص 268.

أما عن الفيلسوف الالماني "هيجل" فقد أنشأ فلسفته المثالية كلها على اساس الدياليكتيك **1** وجعله تفسيرا كافيا للمجتمع وللتاريخ والدولة وكل مضاهر الحياة فالجدل في نضره هو قانون للفكر والواقع على السواء فهو طريقة تفكير ومبدأ يرتكز عليه الواقع في وجوده

يتصور هيجل أن التاريخ عبارة عن صراع للمتناقضات،فكل قضية في الكون تعتبر إثباتا وتحمل نفيها في نفس الوقت حيث يتألف من الاثبات والنفي إثباتا جديدا،فالمنهج المتناقض للدياليكتيك أو الجدل الذي يحكم العالم يتضمن ثلاث مراحل،تدعي:الأطروحة والطباق والتركيب. أوبتعبير أخر: الإثبات والنفي ونفي النفي.وبحكم هذا المنهج الجدلى يكون كل شيئ في المجتمع مبني على النقيض.وقد طبق هذه النظرية في تفسيره لحركة التحضر فهو يفسرها كصراع بين متناقضات وهي الفكرة التي تبناه بعده **كارل ماركس** فوضع فلسفته المادية في تصميم دياليكتيكي خالص.**2**

1-الدياليكتيك عند هيجل طريقة جعل منها طريقة خاصة بالبحث واسلوبا في المناضرة واصبح طريقة لتفسير الواقع وقانونا كونيا فالتناقض عنده ثابت في صميم كل واقع وحقيقة فما من قضية إلا وهي تنطوي في ذاتها على نقيضها ونفيها.

2-نفس المرجع السابق:ص270

الباب الخامس:

البناء الحضاري عند مالك بن نبي

الفصل الاول:

الحضارة عند مالك بن نبي

تمهيد:

قبل الحديث عن إشكالية الحضارة في فكر مالك بن نبي علينا أن نتمكن من حصر القالب الفكري من فكر مالك بن نبي، فهل هو مصلح اجتماعي يتصدر قائمة المصلحين الذين وعوا أسباب الفساد في مجتمعهم فأخضعوه للتشخيص بمنهج المصلحين؟ أم أنه عالم اجتماعي يّأتي في طليعة علماء من ابن خلدون إلى دوركايم، فقدم كل واحد منهم - من زاويتة الخاصة - تشخيصا لداء مجتمعه، محاولين تقديم العلاج اللازم لمختلف أمراضه، أم انه فيلسوف التاريخ لأنه تخصص في تقويم أبعاد حضارة مجتمعه مثل هيجل، وتومبي،وشبنجلر، ولمعرفة ذلك لابد من تشخيص نظرية هامة وهي تحليل معادلة العلاقات الاجتماعية لانها تمثل مفتاح الدخول إلى فكر مالك بن نبي فهي تضع الهندسة في مقابل الفقه وتضع ابن خلدون في مواجهة ارلوند

تومبي،والحضارة في مواجهة الهمجية والكم المهمل في مقابل الكيف الديني،والمنهج الافقي امام المنهج العمودي مما يجعل مالك بن نبي مهندسا للحضارة وفقيهها مستلهما ذلك من ابن خلدون عصبيته المجسدة للتعاقب الدوري مؤكدا في كل ذلك على خطوة هامة وهي الموازاة بين المنهج الافقي في شبكة العلاقات الاجتماعية المتينة التي تربط الانسان بمجتمعه وبين المنهج العمودي وهي الشبكة التي تربط الانسان بخالقه .فهذه هي الحلقة التمهيدية في محاولة فك اشكالية الحضارة عند مالك بن نبي،اما الحلقة الموالية فهي تتعلق بالجانب التجديدي في فكره وفلسفته **1**

إن الشيئ الذي يميز عظمة أبحاث بن نبي فيما يخص المفهوم الحقيقي لمعني الحضارة هو سعة اطلاعه لحضارة الغرب وإبراز موقفه النقدي من مختلف أبحاثهم وتفسيراتهم لنشأة الحضارة وعوامل التحضر وفي الوقت نفسه نجده قد أثنى على الفيلسوف العظيم والعلامة الكبير ابن خلدون بإعتباره أول من صاغ الحادثة التاريخية لمنطق محكم وأكتشف ما يسمي ب قانون الدورة التاريخية **2** ففي نظر بن نبي قفد شهد القرن التاسع عشر ظهور أول تفسير للواقعة الإجتماعية بربطها بضاهرة أخرى،حيث يرى "كارل ماركس"karl marx) أن كل إكتمال تاريخي لا يكون إلا نتيجة الضرورات المادية وحاجات الإنسان الأساسية،فالحاجة والفن

1-سليمان الخطيب:نقلا عن قناة المجد الفضائية،برنامج فصول،لقاء حول كتاب فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي.دراسة أسلامية في ضوء الواقع المعاصر 2009
2-مالك بن نبي :شروط النهضة ص 69.

الصناعي يمثلان في نظر ماركس مراكز التقاطب لقوى الإنتاج وهي المراكز التي تحدد العلاقات الإجتماعية الخاصة بحضارة معينة.غير أن هذا التفسير لم يصمد أمام مالك بن نبي الذي بين وأثبت بـأن هناك حضارات كحضارات أمريكا السابقة على العهد الكولومبي وكذلك الحضارة الرومانية تلاشت دون ظهور أئ تغير في طبيعة الحاجات ووسائل الإنتاج وهكذا نجد أن التفسير الماركسي للوقائع اتخذ نقطة انطلاقه من حتمية مادية ما يسميه بالمادية التاريخية أي من عملية ميكانيكية لا من إرادة التخطيط الحضاري ويرى بن نبي أن الدياليكتيك الماركسية تقيم السيرورة التاريخية كدورة مغلقة (من المرحلة المشاعية، إلى المرحلة الشيوعية)، فيها نوع من التفسير الضيق، والواقع أكد لنا أن هذه "الواقعية " أخرجت " العقلانية " التاريخية من المأزق ولم تخرج الإنسانية من المآزق.خصوصا وأن دائرة التنبؤات التاريخية لماركس نجحت مع شعوب " العقل " (كالشعب السويدي) ولم تنجح مع شعوب أخرى عبر قارات العالم

المختلفة.وهو الانتقاد الثاني الذي يقدمه بن نبي للماركسية: "**1** أما في القرن العشرين فقد ظهرت مناهج أخرى لتفسير النمو الحضاري غير أنها مناهج إنحصرت في حاجة الإنسان المادية ووسائل الإنتاج، حيث إعتبر **"شبنجلر"** الحضارة أنها ثمرة لعبقرية خاصة يمتاز بها عصر معين ثم سرعان ما تزول،وإلى نفس الفكرة تقريبا ذهب الألماني **(فرانز شوبرت walter schubart 2** بإعتباره أن الحضارة نتاج عبقرية عصر معين وليس بإعتبارها نتاج عبقرية جنس معين حيث بين شوبرت في كتابه **"أوربا وروح الشرق"** أن لكل عصر عبقريته الخاصة أو روحه الكلي الذي يسود ذلك العصر،أما المؤرخ الإنجليزي الكبير ***"أرلوند تويمبي"*** فقد فسر الحضارة بإرجاعها إلى العامل الجغرافي الذي يلعب دورا أساسيا فيها ما كان يدعوه بالتحدي وهو المذهب الذي يفسر الحضارة ب "رد" معين يقوم به أحد الشعوب أو الأجناس لمواجهة تحد معين .غير أننا لا نري في تكوين الحضارة العامل الجغرافي أو المناخي في شكل "تحدي" ولا في العامل الإقتصادي المتمثل في الحاجة والوسيلة لأننا لو قمنا بعملية التحليل التاريخي يمكننا أن نشاهد قانون ظاهرة الحضارة.خصوصا وأننا نعرف مسبقا أن حضارة معينة تمر بمرحلة الميلاد ثم الأوج وأخيرا الأفول والمنحنى البياني يبدأ بالضرورة من

1-نفس المصدر السابق ص 70.

2-فرانز شوبرت: franz peter schubert ' 1828/11/19-1797/01/31. مؤلف وموسيقي نمساوي،رغم رحيله المبكرجدا في سن 31.الا انه قام بتاليف اكثر من 100 مقطوعة موسيقية ويعتبر الكثيرون بعض اعماله من افضل المقطوعات في تاريخ الموسيقي

النقطة الأولى في خط صاعد ليصل إلى النقطة الثانية في خط نازل الميلاد ثم الاوج وأخيرا الأفول **1** وبين الطوريين الأولين يوجد بالضرورة توازي معين يشير إلى تعاكس في الظاهرة،فطور الأفول النازل هو عكس طور النهضة الصاعد ، وبين الطورين يوجد بالضرورة إكتمال معين هو طور إنتشار الحضارة وتوسيعها و بهذا يكون المفكر مالك بن نبي قد قلب صفحة جديدة في سنه للأسس الأولى للحركة التاريخية. لذا فإنه أقام فكرة التاريخ في حركيتها في ضوء القرآن الكريم بداية من " الفعالية " " الوعد والوعيد "، مرورا برسم العوالم الأساسية لهذه الحركة التاريخية في الحضارة ، والمتمثلة في النشاط المشترك لكل من " عالم الأشخاص " " وعالم الأفكار " وعالم " الأشياء "

1- مفهوم التغيير الحضاري عند مالك بن نبي:

أ/ مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي:

إن أحسن تعريف يقدمه مالك بن نبي للحضارة هو تشبيها "بالشّمس" السّاطعة في أفق الشّعب،فالحضارة عنده لا توضع في مقابل البداوة وإنما توضع في مقابل البدائية **2** لان ذلك يعتبر طمس لمعالم البداوة التى تمثل إحدى روافد حضارة المجتمع العربي الاسلامي.فالحضارة عند مالك بن نبي تمثل ذلك الحصن او السياج الذي يحمي الانسان من الهمجية فهي **"مجموع الشروط الاخلاقية 3 والمادية تتيح لمجتمع معين ان يقدم كل عضو من أعضائه، في طور من أطوار وجوده منذ الطفولة الي الشيخوخة ، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه 4** إن هذه الشروط المادية والمعنوية التي أكد عليها بن نبي هي اساس البناء الحضاري حيث حاول أن يوفق (من خلال هذا التعريف) بين الفكر والاقتصاد ليكون إنتاجا لحركة المجتمع، فبدونها لن يكون المجتمع مجتمعا صالحا لأن من بين شروط نجاح المجتمع **البشري** عند مالك بن نبي أن يكون له حضارة لأن المجتمعات الساكنة لها حياة لكنها دون غاية فهي تعيش في عهد ما قبل الحضارة.وقد توصل بن نبي من خلال تحليله لإشكالية الحضارة إلى

1-نفس المصدر ص 74/72

2-من بين فلاسفة التاريخ الذين اعتقدوا بان الحضارة توضع في مقابل البدو نجد الفيلسوف ويل ديورانت.

3-يقصد مالك بن نبي بمجموعة الشروط الاخلاقية والمادية : المدرسة والعمل والمستشفي ونظام شبكة المواصلات والأمن في جميع صوره،واحترام شخصية المواطن،التي تمثل جميعا أشكالا مختلفة للمساعدة التي يستطيع أن يقدمها المجتمع للفرد الذي ينتمي إليه.

4-مالك بن نبي :شروط النهضة، ص: 106

تحديد العلاقة بين تفاعل الطبيعة والتاريخ داخل الحضارة الانسانية حيث يقول "إن الطبيعة توجد النوع (الانسان) والتاريخ يصنع المجتمع ،وهدف الطبيعة هو المحافظة على البقاء بينما غاية التاريخ أن يسير بركب التقدم نحو الحياة الراقية وهو ما يطلق عليه اسم الحضارة **1** فتحقيق التحضر مرهون بحسن إستغلال الإنسان لطاقاته الفكرية والجسدية وإيجاد الإنسجام بين النمط الفكري الذي يحكم هذه الحضارة عبر التاريخ وبين الطاقات المتوفرة لتنفيذ الجانب العملي وهو الهدف الأسمى للحضارة الإنسانية.كما نجده يعرفها بعبارات مختلفة عن التعريف الأول وهذا بحسب الموضوع الذي يبحث فيه فنجده يعرف الحضارة من الناحية التحليلية وكأنها معادلة رياضية فيقول: "حضارة = إنسان + تراب + وقت. وتحت هذا الشكل تشير الصيغة إلى أنّ مشكلة الحضارة تتحلل إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت. فلكي تقيم حضارة لا يكفي بأن نكرس المنتجات وإنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاث من أساسها". فالذي يقصده مالك من الإنسان هو كونه وحدة اجتماعية وليس انفرادية، أما الوقت فهو مدة زمنية محددة بساعات معينة ينفقها الإنسان خدمة لمجتمعه. وأما التراب فهو ما يقدم غذاء الإنسان في صورة استهلاكية توفي بحاجات المجتمع تبعاً لعملية الإنتاج. لقد إعتبر مالك بن نبي أن كل الأجناس والشعوب مؤهلة لإنشاء الحضارة لأن الله منحها الرصيد الأول والضروري ألا وهو التراب والوقت فمتي توفرت هذه الاعمدة الثلاثة (الإنسان+-التراب+الوقت) توفرت بذلك المواد الخام لإنتاج الحضارة. غير أن الأمر يحتاج إلى مركب تاريخي تكويني فبغيابه تبقي العناصر الثلاثة مجرد مواد خامة لا تجدي نفعا، ومركب الحضارة هذا هو الدين أو الفكرة الدينية، لأن الحضارة لا تنبعث .إلاّ بالعقيدة الدينية.فالحضارة تظهر بدافع الفكرة الدينية وتنتهي بإنتهاء هذه الفكرة، وحتي الحضارة الغربية قامت على أساس ديني فالروح المسيحية ومبدؤها الخلقي هما القاعدتان اللتان شيدت عليهما أوربا سيادتها التاريخية. وقد تتشكل الحضارة عند مالك بن نبي على شكل دورة تبتدأ بالنشوء والإزدهار ثم السقوط والإنهيار ولا تستطيع أمة من الأمم أن تخلق حضارة إلا إذا توفرت جميع هذه الشروط أما مجرد اقتباس المنتجات المادية من حضارة أو حضارات أخرى فإنه لا ينشأ (حضارة)،لان هذا الاقتباس- أو الاستيراد- لا يعدو أن يكون (تكديسا) للمنتجات فقط وإذا جاز . لهذا التكديس أن يسمى حضارة، فهو حضارة الشيئية كما يسميه بن نبى لأن الحضارة الغربية التي نستورد منها كل منتوجاتنا لا يمكن أن

1-مالك بن نبي :أفاق جزائرية:ت الطيب شريف ،مكتبة النهضة،الجزائرية ،ط4 ،بدون تاريخ ص 46

تبيع دفعة واحدة كل الأشياء التى تنتجها ، أى أنها لا يمكن أن تبيعنا روحها وأفكارها الذاتية وأذواقها ودونها تصبح كل الأشياء التى تبيعنا إياها فارغة دون روح وبغير هدف. ، ولهذا نادى مالك بن نبى بوجوب إنتقال العالم الإسلامي من (التكديس) إلي (البناء). فالحضارة إذن لابد وأن تصنع منتجاتها، حيث أننا لا نستطيع إستيراد روح أى حضارة وقيمها ومعانيها التى تربط بين ما يسميه ابن نبى بعناصر الحضارة،والتي عبر عنها فى كل مؤلفاته (بالأشخاص والأفكار والأشياء)، وتتمثل فى تقسيم آخر: وهو (الإنسان والوقت والتراب) وكما أن القانون فى الطبيعة يحتم تدخل مركب ما لإتمام عملية كيميائية، فكذلك وبالمثل لنا الحق فى أن نقول: إن هناك ما يطلق عليه (مركب الحضارة أي العامل الذى يؤثر فى مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض، فكما يدل عليه التحليل التاريخى..، نجد أن هذا (المركب) موجود فعلا، هو الفكرة الدينية التى رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ "**1**

2- الدورة الحضارية عند مالك بن نبي:

إن الهدف من تحليل مراحل الحضارة عند مالك بن نبي هو إبراز الدور التاريخي الذي تقدمه كل مرحلة للمرحلة الموالية .حيث يعتبر أول من اكتشف الظاهرة الدورية بما تحتويه من نقطة البداية ثم الصعود إلى القمة ثم الأفول وهو المدخل الذي نستطيع منه فهم دراسة بن نبي للحضارة. حيث أنه في دراسته لـ (الظاهرة الدورية) يبدأ الفصل بقول تعالى: **(وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) 2** ليؤسس عليها قانون التداول الحضاري. وهذا المبدأ يرتكز على أن الحضارة أيا كانت يحكمها قانون الدورة.الحضارية .ففي نظر مالك بن نبي فإنه يجب فهم هذه الدورة من أجل إستيعاب فلسفة البناء الحضاري.3

. ويمكن عرض نظرية مالك في تركيب الحضارة على شكل صورة تخطيطية. فالمنحنى البياني يبدأ من النقطة الأولى في خط صاعد حتى يصل إلى مستوى نقطة أخرى في خط نازل. أما المرحلة التي تتوسط هذين الخطين فهي مرحلة وسيطة وهي مرحلة القمة وهي طور انتشار

1-مالك بن نبي: شروط النهضة: ص 50/46/45.
2-سورة آل عمران، الأية 140
3-مالك بن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي، ص27 .

الحضـارة وتوسـعها. **1**أمـا الظـاهرة هـي وجـود محـورين تنتقل مـن الواحـد إلـى الآخـر القيم الحضارية بصورة دورية، كأنما تاريخ الإنسانية يتأسس على محورين بينهما حركة مد وجزر مستمرة تنقل القيم الحضارية"**2**

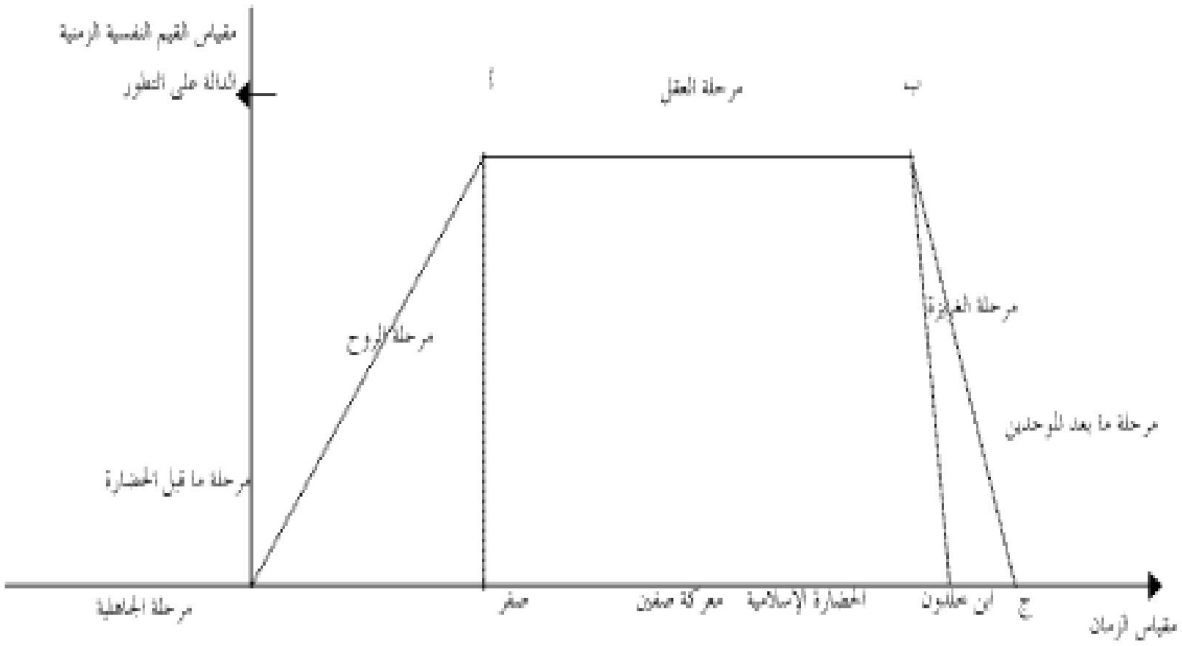

وقد حاول مالك تطبيق هذا الرسم البياني على حركة التاريخ الإسلامي، وذلك للوقوف على إتجاه حركة الحضارة الإسلامية في صعودها وهبوطها،وهذا لكي يتسنى للمسلم أن يعرف تاريخه كقيم ومفاهيم. حيث وقبل بدء دورة من الدورات أو عند بدايتها يكون الإنسان في حالة سابقة للحضارة. أما في نهاية الدورة فإن الإنسان يكون قد تفسخ حضارياً وسلبت منه الحضارة تماماً، فيدخل في عهد ما بعد الحضارة 3 وهي مرحلة الانحطاط حيث لم يعد الإنسان والتراب والوقت عوامل حضارة بل عناصر خامدة غير متفاعلة. حيث أن نقطة الصفر في الرسم البياني التي تسجل الحالة السابقة على الحضارة تمثل بداية ظهور تركيب العناصر الثلاثة ـ الإنسان والتراب والوقت ـ مما يؤدي إلى ميلاد مجتمع معين. ولكن عالم الأشخاص والأشياء لم يوجد

1ـــنفس المرجع السابق ص28 .
2- بن نبي مالك، شروط النهضة، ص73-74.
3-د/ سليمان الخطيب ، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي: دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ، ط1، 1993)،ص 99

بعد. أما عالم الأفكار فإنه يحتوي على بذرة إمكانياته "كما تحتوي النطفة كل العناصر العضوية والنفسية المهمة في تركيب الكائن" وبهذا يمكن التقرير "أن الفكرة التي غرست بذرتها في التاريخ هي فكرة دينية" أي أن الدين هو أساس بناء المجتمع وهو يخلق نظاماً اجتماعياً للأفراد. فكلما قويت العلاقة الدينية بين نقطة الصفر والنقطة (أ) فإن درجة الفراغ الاجتماعي تقل وهي الهدف والمثل الأعلى لجميع الشرائع التي تحاول جاهدة سد أي فراغ اجتماعي **1** وفي النقطة(أ) توقفت النهضة الإسلامية حينما حدث أول انفصال في التاريخ الإسلامي وذلك مع بدء معركة صفين (38هـ) بسبب ذهاب الروح إلى حب السلطة والنزعة القبلية أي أن الروح فقدت نفوذها على الغرائز بالتدريج ومنذ ذلك الانفصال فقد العالم الإسلامي قوته وتوازنه غير أن الفرد المسلم ظل متمسكاً في داخله بدينه الإسلامي وعقيدته حتى سقوط دولة الموحدين .أما النقطة '(ب') والتي تمثل نقطة الانكسار في منحنى التطور التاريخي وهي تتمثل في إنقلاب القيم الأخلاقية داخل حضارة معينة. والتي تتمثل في فقدان الإنسان المتحضر لهمّته وأخلاقه الحضارية ،فيعجز عن تطبيق إبداعه ومواهبه على التراب والوقت مما يؤدي إلى تفكيك الحياة الاجتماعية لتحل مكانها الحياة البدائية. وقد بدأت هذه المرحلة في التاريخ الإسلامي بسقوط دولة الموحدين في الأندلس الذي يمثل سقوط الحضارة الإسلامية الخالدة فبدأ تاريخ الانحطاط وكان ذلك في عهد ابن خلدون.**2**

نستنتج من خلال الرسم أن لدورة الحضارة ثلاثة مراحل مختلفة فالأولي تبدأ بنقطة الصفر التي تمثل إنسان الفطرة فالمرحلة الأولى هي مرحلة الروح (من نقطة الصفر إلى النقطة (أ) وهي تتمثل في علاقات اجتماعية قوية ومتينة ،توحي بعبارة من القرآن "البنيان المرصوص" كما في قوله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ)3** كما أن الفرد في هذه المرحلة يكون في أحسن ظروفه وفاعليته الاجتماعية أما في المرحلة الثانية (من النقطة أ إلى النقطة ب) فإن العلاقات الاجتماعية لا تزال قوية ولكن قد ظهر عليها بعض الشوائب والنقص. فالمجتمع يواصل نموه ولكن ليست. كل قواه في نطاق الحركة، فلم يعد الفرد المسلم وهو يباشر وظيفته الاجتماعية، يعمل بكامل طاقته لأن جانباً من الطاقة مضى إلى السكون. أما المرحلة الثالثة (من النقطة ب إلى النقطة ج) فإن الغرائز تتفكك

1- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص83.
2- - بن نبي، مالك، ميلاد مجتمع شكبة العلاقات الاجتماعية، ص55-58
3- سورة الصف، الأية 4

وتسود الفردية تبعاً لتحرر غرائز الأفراد مما يؤدي إلى انهيار العلاقات الاجتماعية فيختل نظام الطاقة الحيوي وهو ما يسمى بعصر الانحطاط وهو العصر الذي هيأ للعالم الإسلامي الظروف الملائمة للقابلية للاستعمار ثم دخول الاستعمار حقيقة.**1**

.3- تطور الحضارة الإسلامية:

في هذا العنصر سوف نتعرف على خصوصيات كل مرحلة وماذا تعني كل واحدة منها ؟ كما نحاول أن نحدد العلاقة التي تجمع هذه المراحل ببعضها البعض في تفسير للحركة التاريخية ولقد قسم مالك بن نبي الحضارة إلى ثلاثة مراحل هي:

المرحلة الأولى: وهي المرحلة التي تبدأ من غار حراء إلى واقعة صفين (سنة 38هجري) وهي المرحلة الجوهرية التي تركبت فيها العناصر الأساسية للحضارة الإسلامية لأنها حتي وإن كانت دينية إلا وأنها يطغى عليها الجانب الروحي ففي هذه الحقبة ظلت روح المؤمن هي العامل النفسي الرئيسى لذا سميت هذه المرحلة ب مرحلة الروح – **2** وكان الإنسان في هذه المرحلة يمثل نقطة الانطلاق متسما بالبساطة الفطرية، فهو إنسان طبيعي (Homonatura) يحيا حياة راكدة خاوية ثم تأتي الفكرة الدينية المركبة للعناصر الثلاثة (الإنسان، التراب، الوقت) فتملأ فراغه فتندفع بذلك عجلة التاريخ وتشرع في دورتها وتكون للإنسان روح. كله إيمان وأمل وسمو نحو الغاية التي رسمتها له الفكرة الدينية، التي هي تمثيلا أولياً " لإشعاع الفكرة الدينية تلك التي تتمكن من النفوس فتبنيها بناء " مرصوصا ".كما كان ذلك في عهد الرسول (ص) وجماعته من الصحابة والخلفاء الراشدين، إذ أنه في ذلك العهد كانت الروح التي بدأت في غار حراء، قد فعلت فعلتها في النفوس. فكنا نلاحظ أنه وبمجرد ما إن نزلت آيات الخمر مثلا. فإن الصحابة ومن تابعهم نهوا عن شربه حتى أن واحدا كعمر ابن الخطاب –رضي الله عنه (والذي كان يتعاطاه في الجاهلية) تخلى عنها بكل سهولة بمجرد أن أعلن إسلامه- 2 يأتي مالك بن نبي بأمثلة عديدة لفعل القرآن فيها لا نرى ضرورة لسردها كلها –وبالمقابل نجد كلا من الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفياتي أصدرتا مرسومين يقضيان بمنع تعاطي"

1-مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص77-78
2/مالك بن نبي: شروط النهضة:ص 70/69. وأنظر أيضا عباس محمود العقاد عبقرية الإمام – البيعة- دار المعارف بمصر بدون تاريخ

الخمر " ثم تراجعا عنه لاحقا، حتى أن الرئيس الأمريكي في 1963 تراجع -بعد شهر من إصداره للمرسوم- عن قانون المنع هذا بسبب هو أن المجتمع الأمريكي لم يكن ليجد الروح المربية للنفس كما أقامها القرآن الكريم، في قبائل قريش). وهذه هي المرحلة الأولى من التحضر، وسماه "مالك بن نبي" "بمرحلة الروح"، لأن الروح هنا تكون مهيمنة على الغرائز ومتحكمة في العقول في بداية التحضر، ويكون المجتمع والفرد متماسكا كلما زادت الطاقة الدينية، حيث رأى "مالك بن نبي "أن هاته المرحلة ضرورية لأي إنسان كان في أي زمان أو مكان.**1**

المرحلة الثانية : وهي المرحلة الدالة على أفول الروح وهذا بعدما دخل العالم الإسلامي في حروب وفتن لا مخرج منها مما تسببت في ظهور ظاهرة التشيع التي لا يزال أثارها موجودا حتي يومنا هذا.ونتيجة لهذه الصراعات ،فقد دخل الانسان المسلم في مرحلة ثانية وهي مرحلة العقل أين يشهد صراع داخلي بين الغرائز والعقل حيث تساوى فيها أسباب السمو الروحي وجاذبية الغرائز. و من الناحية التاريخية تمثل هذه المرحلة ظهور العصر العباسي الذي عُرف بالعصر الذهبي للحضارة الإسلامية حيث جمع لنا هذا العصر قائمة بأسماء علماء ومفكرين شهد لهم التاريخ بأنهم أعلام عصرهم ومن ذلك أمثال الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي(هؤلاء في الفكر) وابن حفصين وابن النفيس والرازي وجابربن حيان والخوارزمي (في العلوم.). وقد شهدت هذه المرحلة توسعا فوق الأرض وبدأ العلم ينتشر وهذا بفضل أساتذة سطعت أسماؤهم في جو المعرفة ومن الناحية الجغرافية فإن الحضارة الإسلامية في هذه المرحلة قد خرجت من عمق النفوس إلى سطح الأرض التي إمتدت من شاطئ الأطلنطي إلى حدود الصين كما عبرت عنه كبريات الجوامع والمنارات والقصور وغيرها التي أنشئت هنا وهناك في كل من بغداد والقاهرة ودمشق والأندلس وتركيا وغيرهم.. نستنتج إذن أن تطور الحضارة عند بن نبي مرهونة بتطور الانسان التي هي عبارة عن حلقات متصلة إذ تبدأ الحلقة الأولى بظهور فكرة دينية ثم يبدأ أفولها وهذا بتغليب جاذبية الأرض عليها بعد أن تفقد الروح ثم يظهر العقل ولذلك سميت هذه المرحلة ب مرحلة العقل

1- مالك بن نبي- حديث في البناء الجديد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بدون تاريخ، ص 100-101

المرحلة الثالثة: عندما تنكمش تأثيرات الروح والعقل يعود الإنسان إلي مستوي الحياة البدائية وهو ما يمثل مرحلة الغرائز الناتج من المرحلتين السابقتين حيث يدخل الإنسان (في منظور مالك بن نبي) مرحلة جديدة، أين تسيطر الغرائز في هذه المرحلة على العقل والروح فينحط الإنسان إلى حضيض الحيوان نتيجة التدرج في السيطرة من الروح إلى العقل ثم الغرائز في بناء الإنسان، وتدخل نتيجة لهذا الحضارة الإنسانية في مرحلة جديدة من التخلف والتوقع وهو حال أغلب المجتمعات العربية والإسلامية اليوم -ويكون المجتمع غير متماسك ميالا إلى الماضي والقابلية للاستعمار والأصح كما سماه "الاستدمار"،

إن المجتمع في مرحلة الغريزة من الدورة الحضارية، فقد كل ما يربط أواصره: بحيث أصبحت صالونات الآداب (بالأندلس) مراقص وملاهي بدعوى التجديد في التطور أوالتقدم الحضاري.كما بقيت " المقدمة "لأبن حلدون حروفا ميتة، وقد كانت مكتبات القيروان وفاس وغيرها، تزخر بالكتب النادرة دون أن تجد منشغلا بها أو حتى متصفحا لها). إن مرحلة الغريزة في الحضارة هي الطور الحضاري الذي ينبئ عن مجتمع سماه مالك بن نبي بمجتمع **ما بعد الحضارة**، وهو ممثل أيضا على محور الزمن من وقت سقوط دولة الموحدين بالمغرب العربي حتى عام 1868 ومنه رأى "مالك بن نبي" ضرورة أن تحل "الفاعلية الإيجابية" محل هذه "القابلية" لتربط الفكرة بالعمل، ويقوم النهوض ويخرج المجتمع من "حضارة شيئية" إلى"حضارة إنتاجية" لإعادة "الفكرة الدينية" ووظيفتها الاجتماعية في الحياة العملية، ويخرج الإنسان من دائرة "الفجور والجهل والفقر والظلم...إلى دائرة التقوى والعلم والاكتساب ونصرة الحق فتكون إنسانية الإنسان وإجتماعية المجتمع." ومن هنا نكتشف أن "الإنسان" أهم عنصر من عناصر الحضارة، ولا يمكننا أن ننفي علاقته المباشرة "بالتراب" و"الوقت" كعنصران ضروريان لحركة الإنسان في التاريخ وعدم إدراك هذه الحركة في علاقتها بالزمان والمكان يجعل صعوبة في تشخيص أسباب أفول الحضارة، وأيضا في إيجاد حلول ومناهج لجهل مكانة الأمة من التطور الحضاري. **1**

- **الفكرة الدينية ودورها فى عملية البناء الحضاري عند مالك بن نبي:**

يرى مالك بن نبي أننا حينما نتأمل القرآن يظهر لنا أن الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته، كما تحكم الجاذبيةُ المادةَ، وتتحكم في تطورها. والدين على هذا يبدو وكأنه مطبوع

1-مالك بن نبي:شروط النهضة':ص 71/ 74/73

في النظام الكوني، قانونًا خاصًا بالفكر، الذي يطوف في مدارات مختلفة، فهو قانون من قوانين الله عز وجل التي فُطرت عليها النفس الإنسانية.. وهو فضلاً عن أنه يغذي الجذور النفسية العامة، فإنه يتدخل مباشرة في العناصر الشخصية التي تكوِّن الأنا الواعية في الفرد، وفي تنظيم الطاقة الحيوية التي تصنعها الغرائز في خدمة الإنسان .ثم يرجع بن نبي إلى شهادة التاريخ بإعتباره السجل الأمين للتحولات التي شهدتها البشرية، فيجد أن التاريخ شاهد على أن الدين يمثل أحد الركائز التي يبني عليها الانسان المسلم شخصيته كما يمثل ثابت من ثوابت الشخصية الإنسانية، بل وأن الدين كان وراء كل الإنجازات البشرية، ولهذا فابن نبي إنتقد نظرية توينبي في التحدي والاستجابة، لأنها حتي وإن فسرت قيام بعض الحضارات فإنها لم تفسر لنا دور الفكرة الدينية في بنائها وقيامها ، ويقدم الدين بديلاً لقيام الحضارات ومنجزاتها عبر التاريخ. حيث نجد مالك بن نبي يقول: **(كلما أوغل المرء في الماضي التاريخي، وفي الأحقاب الزاهرة لحضارته، أو في المراحل البدائية، وجد سطورًا من الفكرة الدينية حيث إن الحضـارات ما أشـرقت إلا من أمثـال الكعبة أو معبد سليمان، ومن هناك كانت تشرق هذه الحضارات لكي تنير العالم.) 1** فابن نبي لا يرى الفكرة الدينية نسقًا من الأفكار الغيبية فحسب ولا يقصرها على الدين السماوي فقط، بل يعتبره قانون يحكم فكر الإنسان، فبتحليله لدورتين من دورات الحضارة; هما الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية توصل إلي استخراج السر الذي دفع بكلتا الحضارتين إلى تحديد الموقع الذي يمثله الدين في حركة الحضارة. حيث توصل إلى تأكيد أن السر الكوني الذي يركِّب العناصر الثلاثة الأساسية للحضارة; الإنسان والتراب والوقت، والذي يبعثها القوة الفاعلة في التاريخ هو الدين. لان كلتا الحضارتين تنطلقان من الفكرة الدينية التي تطبع الفرد بطابعها الخاص، وتوجهه نحو غايات سامية.إلا أن هذا القانون لا نجده في الحضارتين: الإسلامية والغربية فحسب، بل يتعداه إلى بقية الحضارات التي سجلها تاريخ الإنسانية، كالديانة البوذية في الحضارة البوذية، والبرهمية مما يفسر لنا أن كل حضارة في أساسها ذات مبعث ديني. ولا يمكن للحضارة أن تظهر في نظر ابن نبي إلا (في صورة وحي يهبط من السماء ، وعلى هذا فالحضارة تبدأ عندما يمتد نظر الإنسان إلى الأفق . ومن هنا ينبغي علينا أن نتتبع تأثير الدين من خلال تركيبه بين العبقرية الإنسانية والشروط الأولية للحضارة، أي نتتبع ذلك (الإطراد بين الفرد والفكرة الدينية التي تبعث الحركة والنشاط).**2**

1-مالك بن نبي: شروط النهضة ص 48

2- د: عائشة المناعي مضاهر التجديد في فكر مالك بن نبي:مجلة المسلم المعاصر بقلم عبد الحميد الادريسي العدد 101 سبتمبر 1 200 ص 18

فالفكرة الدينية فى عمومها أساس لكل مشروع حضارى، يقول ان نبى: " فالحضارة لاتبعث- كما هو ملاحظ- إلا بالعقيدة الدينية، وينبغى أن نبحث فى حضارة من الحضارات عن أصلها الدينى الذى بعثها، ولعله ليس من الغلو فى شىء أن يجد التاريخ فى البوذية بذور الحضارة البوذية، وفى البرهمية نواة الحضارة البرهمية. فالحضارة لا تظهر فى أمة من الأمم إلا فى صورة وحى يهبط من السماء يكون للناس شرعة ومنهاجا، **1** ولقد كانت قناعة ابن نبى فى الدين الإسلامى على الخصوص، على أنه يملك من المقومات ما يغيربه حياة الفرد وحياة المجتمع، كما أنه يحمل من جهة أخرى مقومات وجوده واستمراريته. ولقد كانت عناصر الحضارة فى جزيرة العرب "الإنسان والتراب والوقت " راكدة خامدة، وبعبارة أصح مكدسة لا تؤدى دورا ما فى التاريخ، حتى إذا ما تجلت الروح بغار حراء- كما تجلت من قبل بالواد المقدس أو بمياه الأردن- نشأت من بين هذه العناصر الثلاثة المكدسة حضارة جديدة فكأنما ولدتها كلمة (اقرأ).هذه الكلمة التى غيرت مجرى التاريخ، وتميز بها الدين الإسلامى عن غيره من الأديان السماوية، " فبينما يفتح في الغرب كتاب العهد الجديد فى إنجيل يوحي لنا بعملية التجسيد فإننا نجد عندنا القرأن ينفتح على الجانب العقلى فى قوله تعالى **"اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي** خَلَقَ"..**2** (اقرأ) هذه هى الكلمة الأولى التى تفتح إليها أول ضمير إسلامى، ضمير محمد، ويتفتح لها بعده كل ضمير مسلم" **3.** ويفهم من ذلك أن الأمر الإلهى (صورة الأية)، أمر بالتغيير، ومن هنا كان منهج الرسالة الإسلامية مقتضيا للتغيير، والتغيير يستلزم تغيير ما بالنفس أولا، وهذه المسؤلية الفردية وإن كان أساسها ذات الإنسان كفرد، إلا أنها تحتم من ناحية أخرى تغيير المجتمع أو ما سماه القرآن بالقوم فى قوله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ).4** هذه الآية الكريمة الصادقة التى يتخذها (مالك بن نبى)

1-شروط النهضة- مصدر سابق- ص 50- 51.
2- سورة العلق،الأية 1
3- مالك بن نبي انتاج المستشرقين- مكتبة عمار- القاهرة- 970 1م- ص 42.
4-سورة الرعد- الاية 11.

وكذلك رجال الإصلاح شعارا لهم، تعبر عن أهمية وضرورة أن يبدأ التغيير من الإنسان الفرد ثم يأتى فعل الله تعالى فى التغيير،و من هنا تظهر القيمة القرآنية لا على أساس أنها آية يتعبد بها وتحفظ عن ظهر قلب دون أن تمس القلب، بل قيمتها فى كونها محركة للحياة وباعثة للنشاط ومغيرة للإنسان، ولكن لن تكون كذلك إلا إذا وجدت من يجعلها آية حية تملى على الفرد تصورا جديدا لعبوديته لله تعالى، وتملى عليه سلوكا جديدا ثم تجذبه إلى الحياة .فإذا وهنت الدفعة القرآنية توقف العالم الإسلامى كما يتوقف المحرك عندما يستنفد آخر قطرة من الوقود.ولا يمكن لأي عامل مهما كانت أهميته أن يقوم مقام الدين لأنه المنبع الوحيد للطاقة الإنسانية، **1**

أ/ دورها في خلق التوازن النفسي

يرى مالك بن نبي أنه عند دراستنا للحضارة الإسلامية لا بد أن نخضعها لعاملين أساسيين هما: الفكرة الإسلامية والإنسان المسلم .الذي يمثل السند المحسوس لهذه الفكرة لأن كل القيم النفسية الزمنية التي تميز مستوي حضارة ما وفي وقت معين.ما هي إلا ترجمة تاريخية لهذه العلاقة العضوية بين فكرة معينة كالإسلام مثلا،والفرد الذي يمثل بالنسبة إليها السند المحسوس وهو المسلم، ولتوضيح الفكرة أكثر نلجأ إلى لغة التحليل النفسي بغية تتبع إطراد الحضارة بإعتبارها صورة زمنية للأفعال وردود الأفعال المتبادلة بين الفرد والفكرة الدينية، فالإنسان يولد مع جميع غرائزه وهو ما نسميه ب الإنسان الطبيعي أو الفطري l'homonoatuna غير أن الفكرة سوف تتولي إخضاع غرائزها إلى عملية شرطية conditionnement وهذه العملية الشرطية لم تقض نهائيا على الغرائز،ولكنها تولت تنظيمها في علاقة وظيفية مع مقتضيات الفكرة الدينية، فالحيوية الحيوانية التي تمثلها الغرائز لم تلغ، ولكنها إنظبطت بقواعد نظام الفكرة الدينية، ففي هذه الحالة يتحرر الفرد جزئيا من قانون الطبيعة المفطور في جسده ويخضع وجوده إلى المقتضيات الروحية التي طبعتها الفكرة الدينية في نفسه بحيث يمارس حياته في هذه الحالة الجديدة حسب **قانون الروح**.ذلك هو الطور الأول من أطوار الحضارة الإسلامية،وهو الطور الذي تكبح فيه الغرائز وهذا بسيطرة الروح عليها 2

1-نفس المصدر السابق ص 74
2-- نفس المصدر ص 75

ولكون المجتمع متحرك فإنه يشهد توسيعا في مختلف الأنشطة وهو ما يستدعي وجود متطلبات كثيرة وأساسية لا بد من إرضاءها، وهو ما يتحتم على الحضارة أن تسلك منعطفا جديدا وأن تختار بين طريقين لا ثالث لهما، فإما أن تتطابق مع النهضة كما رأيناها بالنسبة للدورة الأوروبية،وإمّا أن تأخذ بسياسة الأمويين **1** كما هو شأن الدورة الإسلامية وفي كلتا الحالتين فإن المنعطف الذي تسلكه الحضارة هو منعطف العقل،غير أنّ هذا العقل لا يملك قدرة السيطرة على الغرائز وحينئذ تشرع الغرائز في الظهور والتحرر من قيودها وبذلك يكون المجتمع قد فقد سيطرته على ممارسة ضغطه على الفرد وكلما ضعفت سلطة الروح تحررت سلطة الغرائز **2** ولو تتبعنا بدقة هذا الإطّراد يمكننا ان نلاحظ إنحفاظا في مستوى أخلاق المجتمع وهو ما يؤدي إلي نقص في الفعالية الإجتماعية للفكرة الدينية حيث أن هذه تبدا بالتدنّى منذ أن دخلت الحضارة منعطف العقل وبهذا تواصل الغريزة المكبوحة سعيها إلى التحرر والإنطلاق.وعندما يبلغ هذا التحرر أوجه يبدأ الطور الثالث من أطوار الحضارة، وهو طور الغريزة التي تكشف عن وجهها. وهنا تنتهي الوظيفة الإجتماعية للفكرة الدينية التي تصبح عاجزة عن القيام بمهمتها في مجتمع منحل يكون قد دخل نهائيا في ليل التاريخ .وبذلك تتم دورة الحضارة التي غالبا ما تنتهي دورتها إلى مرحلة الفوضي يعيش أصحابها على حساب الجهل المنتشر.فدورة الحضارة تتم على هذا المنوال:حيث أنها تبدأ حينما تدخل إلى التاريخ فكرة دينية وتنتهي حينما تفقد الروح نهائيا الهيمنة على الغرائز المكبوتة فقبل بداية دورة الحضارة يكون الإنسان في حالة سابقة للحضارة،أما في نهاية الدورة فإن الإنسان يكون قد تفسخ حضاريا وسلبت منه الحضارة تماما فيدخل في عصر ما بعد الحضارة **3** فإذا كان ممكنا المماثلة بين هاتين الحالتين من وجهة نظر سطحية لما فيهما من وجوه الشبه الظاهرية، فإنه من الخطأ المماثلة بينهما ذلك أن الإنسان الذي تفسخ حضاريا يختلف تماما للإنسان السابق على الحضارة أو الإنسان الفطري.لأن الإنسان الذي خرج من حضارته لم يعد قابلا لإنجاز عمل فيه تحضرّ ،إلا إذا غيّر ومن الأساس نفسه ،عكس الإنسان السابق على الحضارة يظل مستعدا للدخول في دورة الحضارة .ولتوضيح

1- الأمويين نسبة إلى العصر الأموي وهو عصر الصراعات والإنشقاقات السياسية الخطيرة حول مشكلة الخلافة حيث شهد هذا العصر الصراع الدموي بين أنصار الإمام علي ومعاوية بن أبي صفيان حول السلطة، وقد انهت الحرب لصالح معاوية وهو مالم يتقبله أنصار الإمام علي

2- مالك بن نبي:شروط النهضة:ص76

3-نفس المصدر ص 78/77

الفكرة أكثر لدينا مثلا (جزيئا) من الماء في وضعيتين مختلفتين،الوضعية الأولي: قبل دخوله الخزان يكون مشبع بطاقة مذخرة فيه قابلة لتأدية عمل نافع إذا ما إستعملتها أجهزة الخزان في الري –معناه السقيئ- أو في إنتاج الكهرباء فهذا يعطينا صورة للإنسان السابق على الحضارة.غير أن هذا الجزئ يعجز عن تأدية العمل نفسه منذ خروجه من الخزان لأنه فقد طاقته المذخورة ولم يعد بإمكانه أن يستعيد حالته إلا بواسطة عملية جوهرية تتمثل في عملية التبخر التي ترجعه إلى أصله، حيث يتم تحويله من جديد إلى جزئ مائي وهو ما يعطينا صورة للإنسان الذي خرج من دورة الحضارة **1**

ب/ دورها –العقيدة - في إعادة بعث الروح الانسانية (استقراءا للتاريخ الحضارة الاسلامية)

فبعدما بين لنا مدي أهمية الفكرة الدينية في بناء الحضارة القائمة على أساس منطقي وواقعي هنا نجده (مالك بن نبي)يوضح لنا أهمية الفكرة الدينية (في بناء الحضارة) من الناحية التاريخية .ولعل الإهتمام بهذا الجانب والتركيز عليه يبين ما مدي أهمية العقيدة الإسلامية ودورها الفعال في إعادة تركيب بنية الفرد المسلم، فحسب مالك بن نبي فإن العوامل المادية الثلاثة (الانسان- الوقت-التراب) التي أشرنا إليها فيما سبق هي عوامل بناء الحضارة،غير أنها لا تكتمل ولا تتطور إلا بالعقيدة الدينية، **2.** ولتوضيح الفكرة أكثر نضرب المثال التالي:فجزيرة العرب مثلا قبل نزول القرأن يسكنها شعب بدّوي يعيش في صحراء جرداء قاحلة يقضي سكانها معظم أوقاتهم في اللهو والخمول والكسل (بما لا ينتفع به) لذلك كانت العوامل الثلاثة:الانسان والتراب والوقت راكدة خاملة فهي لم تؤد دورا في التاريخ، حتي نزل الوحي بغار حراء أين أعاد الحياة والروح للإنسان،وأثارت كلمة الوحي **–إقرأ-** المعالم الجديدة.فمنذ تلك اللحضة فرضت القبائل العربية نفسها على مسرح التاريخ حيث ظلت قرونا طوالا تحمل للعالم حضارة جديدة قادته إلى التمدن والرقي. وماهو مثير للإندهاش هو أن هذه الوثبة لم تكن من صنع السياسين ولا العلماء،بل كانت من صنع أناس لا يزالون في بداوتهم يتسمون بالبساطة، غير أن بصيرتهم توجهت إلى ما وراء أفق الأرض حيث تحول هؤلاء الرجال البسطاء إلى دعاة إسلاميين عندما مستهم شرارة الروح التي تمتلت خلاصتها في قيام حضارة جديدة حيث نقلت من علوم الأولين ما يخدمها وأدخلت علوما جديدة حتي بلغت درجة قصوي من الرقيّ

1-نفس المصدر السابق ص 79
2-نفس المصدر السابق ص 56/48

واللإزدهار وهي حضارات أنتجتها دمشق وبغداد وقرطبة وسمرقند وبالمقابل لم يكن حظ الحضارة المسيحية في نفوس أهلها وبيئتها كحظ الحضارة الإسلامية، فقد نشأت المسيحية في وسط من الخليط بين الديانات والثقافات العبرية والرومانية واليونانية، فلم تستطع أن تدخل إلى قلوب الناس وسط الزحام الفكري والثقافي ولم يكتب لها ان تعمل عملها مثلما قامت به الحضارة الإسلامية . كل هذا يعود إلى قوة الإيمان والعقيدة التي لم تزعزعها أية ديانة. فحسب مالك بن نبي لكي نتوصل إلى ايجاد حل للمشكلة الاسلامية وجب ان يتوفر لدينا الوازع الديني الذي يغير النفس الاسلامية لأن الدين كما يقول **كسرلنج "الدين يمنح للنفس مبدأ الشعور"**فقوة التركيب لعناصر الحضارة خالدة في جوهر الدين لأنه عامل مؤثر صالح في كل زمان ومكان كما انه (الدين) الوحيد الذي يمنح للإنسان قوة بدنه وروحه والتاريخ الإسلامي يفتخر بهولاء الرجال اللذين إمتازوا بقوة العقيدة والروح، وإلا فكيف نفسر التعذيب الشديد الذي تعرض إليه الصحابي **"بلال بن رباح"**وكذلك معاناة الصحابي عمار بن ياسر حيث كان يحمل حجرين على كاهله في بناء مسجد المدينة في الوقت الذي كان ثقل الحجر الواحد يعادل مجهود شخصين،ففي هذه الحالة نستنتج أن قوة الإيمان التي إمتاز بها هؤلاء الرجال هي التي مهدت الطريق إلى حضارة **1**

ج/ دورها في تكوين مجتمع موحد ومتماسك

للدّين في ضوء القرآن غايتان، ففي قوله تعـالى: **(وَمَا خَلَقْت الْجِنّ وَالْإِنْس إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) 2** ، فهذه الاية تبين لنا أن غاية الدين هى ربط الأرض بالسماء، و هذا عن طريق وجود الشبكة الروحية التي تربط الفرد والمجتمع بالله، ففي الوقت نفسه يبني شبكة العلاقات الاجتماعية التي تتيح لهذا المجتمع أن يؤدي مهمته في الارض والذي يكمن في العبادة ،وهو بذلك يربط أهداف السماء بضرورات الأرض. ومن خلال هذه الاية أراد بن نبي ان يفتح آفاقًا أوسع للإنسان حينما ربطه بأبعاد السماء، رفع بصره إلى ما بعد حياته الدنيوية ففي نظره هناك غايتان للدين، أولاهما ربط الصلة بالله، وثانيا بناء شبكة العلاقات الاجتماعية التي تدخل المجتمع

1- نفس المصدر السابق ص 66/64.
2-سورة الذريات الأية 56

في دائرة الحضارة. باعتباره يبحث عن القوانين التي تحكم التغيير الاجتماعي، وينظر في شروط البناء الحضاري، وقد ركز مالك بن نبي على الوظيفة الاجتماعية للدين، معتمدًا في ذلك على الاعتبارات النفسية والاجتماعية بالإضافة إلى الاعتبارات التاريخية. فهو يختبر هذه الوظيفة من ناحيتين; من ناحية تسجيل الفكرة الدينية في النفوس، ومن ناحية تسجيل الفكرة الدينية في التاريخ، وهو ما بينه في كتابه (شروط النهضة) ، وهذا الاختبار لعمل الفكرة الدينية، هو الذي جعله يختار في دراسته دورتين حضاريتين مختلفتين، هما; دورة الحضارة الإسلامية، ودورة الحضارة الغربية، فمن الناحية النفسية الاجتماعية، فإنه يتبع بالتحليل والتركيب كيفية دخول الفكرة الدينية في بناء الشخصية الإنسانية**1** وهذا (برنال) في كتابه (العلم في التاريخ) عندما تحدث عن حركة الإصلاح البروتستانتي حيث قال كانت الحركات التي قضت على الإقطاع والنفوذ الكنسي هي نفسها التي قضت على العبودية والأنظمة المتخلفة المتوارثة، وكما في السياسة كذلك في العلم حدثت ثورة على التقاليد، التي حررت عقل الإنسان وأخرجته من الدائرة الضيقة التي كان مسجونًا فيها وهذا هو الدور الذي كان بن نبي يقصد من وراءه بقوله إن الفكرة المسيحية شكلت أنا الأوروبي أو ذاته، كما صاغت منظر أوروبا الذي شهدته في منتصف هذا القرن .وكانت الفكرة الدينية المشكِّل الأول للفردية الأوروبية، والأنا المتفوق الذي كان يشعر به الغربي في بداية حملة توسعاته الاستعمارية عبر العالم، بل إن المسيحية كانت الفكرة الوحيدة، والدافع الأخلاقي الذي وظفته أوروبا لغزو العالم، ويستشهد ابن نبي بالتفسير الذي ذهب إليه (كسرلنج) الذي رأى بأن الحضارة الغربية الأوروبية باعتبارها تركيبًا مكونًا من روح المسيحية وتقاليد الجرمانية. ولهذا فقد أكد ابن نبي على أن المسيحية كانت المفعِّل الأول لشروط الحضارة الأولية في الغرب **2**

. وبما أن الدين سنة مرتبطة بالوجـــود الإنساني، فإن الفكرة الدينيـــة تبــقى تعمل، وتقــوم بــدورها الاجتمـــاعي ما دامت متمسكة بقيمتها الثابتة ، وعندما تفقد هذه القيمة فإنها تترك مكانها، أو تعمل بواسطة بديلاتها اللادينية نفسها، وهـذا فعلا ما حدث في الغرب، عندما لم تعد المسيحـــية تملك بعدًا دينيا متماسكًا، وأنتجت المادية الماركسية

1- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ص: 71
2-مالك بن نبي –شروط النهضة ص56.

. وانطلاقا مما سبق فإننا نجد المفكر مالك بن نبي قد إستعمل مفهوم الدين باعتباره تلك السنة التي فطر الله عليها الإنسان، وأن الدين هو وحده الذي يمثل المركب الحقيقي للقيم الحضارية،لأنه يعطي شرارة الانطلاق الاولى لتدخل الحضارة في التاريخ، وتتحقق في عالم الإنجاز كما وضح لنا أهمية هذه الفكرة وأبراز علاقتها بالنفس كعنصر حضاري من خلال إتخاذه لمنهج التغيير،كأساس للبناء الجديد للإنسان الذي يتماشى مع الروح والعقل والغريزة، "فمالك بن نبي" نظر بإمتياز لمشكلة الإنسان العالمي، وليس الإنسان العربي المسلم فقط، حيث يمكن إعتبار نظريته الفلسفية الواقعية حلا فاصلا بدلا من الفلسفات المادية والعقلانية، بل حتى الفلسفات الوجودية التي تزعمت النزعة الإنسانية، كما يمكن اعتبارها ردا بناء على أصحاب الفلسفات المعاصرة أمثال: (فرويد ، ماركس، ماركيوز...وغيرهم)، والتي حاولت بناء الإنسان فى جانب واحد فقط سواء أكان هذا الجانب ماديا أو عقليا أو غريزيا أو ما سواه، وحقيقة المشكلة هنا أن هؤلاء حاولوا دراسة الإنسان بمناهج لا تتماشى والطبيعة الإنسانية؛ وبالرغم من أن البداية كانت غربية في تجاوز هذا المشكل مع كل من "هوسرل وكيركيكورد هيدغر و مرلوبونتي وسارتر...الخ "، إلا أن التنظير كان بعيدا عن الرؤية الشمولية التي اتسمت بها الرؤية العميقة "لمالك بن نبي" فقيه الحضارتين الغربية والعربية، والمؤسس لنظريته على منهاج إسلامي أصيل أدرك من خلاله نقائص التنظير العربي والغربي في تناول أزمة الإنسان والمجتمع والأمة **1** .

--دور شبكة العلاقات الاجتماعيّة في تقوية البناء الحضاريّ عند مالك بن نبيّ:

لقد أراد مالك بن نبي توضيح معالم الصّلة القائمة بين النّشاط الاجتماعيّ للإنسان، ضمن عالم الأفكار والأشخاص والأشياء، وبين نشاطه فيما ما يخصّ استغلال مقاييس التّراب والزّمن في التّنمية، هذه الصّلة تتّضح أكثر من خلال التّفاعلات داخل شبكة العلاقات الاجتماعيّة. إستمدّ هذا البحث مادّته من كتابات مالك بن نبيّ وتحليلاته، على إعتبار أنّه أَولى إهتماماً خاصّا لهذه المشكلة، وجاءت هذه التّحليلات خلاصة معايشة لواقع المسلمين، امتزجت بدراسة عميقة لتاريخ الأمّة عبر مختلف مراحله، بنجاحاته وانتكاساته، إبّان ميلاد الجماعة المسلمة وإلى غاية تصدّعها، وكذا المحاولات الّتي كرّست من أجل لـمّ شملها.وتتحدّد أهمّية موضوع شبكة

1-د-عائشة المناعي:مضاهر التجديد في فكر بن نبي،مجلة المسلم المعاصر العدد 101.سبتمبر 2001.القاهرة ص 43

العلاقات الاجتماعية من خلال مستويين

أ.المستوى المعرفيّ: تكمن أهمّية الموضوع في أنّه يتطرّق إلى إشكال عالجه مالك بن نبيّ في كتاباته، ألا وهو معادلة العلاقات الاجتماعيّة، ومدى تأثيرها على الأداء الوظيفيّ لعوالم البناء الثّقافيّ: عالم الأفكار، عالم الأشخاص وعالم الأشياء، وبالتّالي تأثيرها على مسيرة الإنسان والزّمن والتّراب باتّجاه البناء والتّنمية، الأمر الذي يؤهّل هذا البحث ليكون خطوة لفهم إشكالية الحضارة عند ابن نبيّ، خاصّة وأنّه حلّل التّجربة الحضاريّة الإسلاميّة في جميع مراحلها: الولادة، النّمو، والأفول، واستفاد علميّاً وعمليّاً من التّجربة الغربيّة.

ب. المستوى الواقعيّ: يستمدّ الموضوع أهمّيته من واقع الأحداث على السّاحة العربيّة، بالخصوص تلك الإنقسامات الخطيرة التي إستهدفت البنية الدّاخليّة للمجتمع، سواء على مستوى القاعدة الشّعبيّة أم على مستوى السّلطة، أوحتي بين القاعدة والسّلطة. وقد تسبّبت هذه الإنقسامات في حالة من اللاتجانس الوظيفيّ في هذه المستويات، أثّر بشكل سلبيّ وخطير على قضايانا المصيريّة، التي تتراجع المواقف إزاءها نحو الهروب الى الوراء.و قد حاول "مالك بن نبي" إبراز المكانة التي تحتلُّها شبكة العلاقات الاجتماعيّة بالنّسبة لعناصر البناء الحضاريّ (الإنسان، الزّمن والتّراب)، ومدى تأثيرها على الأداء الوظيفيّ لعوالم البناء الثّقافيّ (عالم الأشخاص، عالم الأفكار وعالم الأشياء)، وذلك من خلال رصد مجموعة من المظاهر، عبِّرت في جوهرها عن حالة نموٍّ في كيان الحضارة على المستوى المادّيّ وعلى المستوى الاجتماعيّ، أو عبّرت عن حالة تراجعٍ نحو اللاّحضارة على ذات المستويين، كما يهدف إلى تهيئة أرضيّة صلبة لحوار الحضارات والأديان من الجانب الإسلامي وذلك لأن المنطلق الاساسي في هذا الحوار يكون بالتّأسيس لحوار داخليّ، ومن ثمّة التّوجّه نحو الآخر بشبكة متينة تعكس تناغما بين الفكرة والكلمة، خاصّة في ظلّ تصاعد المدّ العدائيّ للإسلام. لان الدّعوة التي تحمل شعار "حوار الأديان والحضارات" تصير خاوية المحتوى إذا غضّ الطّرف عن حوار الأنا أو الحوار الدّاخليّ، الذي يتمّ حاليّا بلغة القتل والسّلاح و يهدف مالك بن نبي من خلال إستعراضه لأهمية الشبكة الإجتماعية إلى التّحسيس بواقع علاقاتنا التي تتّجه أساسا نحو التّمزّق، الذي ينتج عنه تفكّكٌ في بنائنا الاجتماعيّ، ممّا يعني التّراجع أو النّهاية بالنّسبة لمحاولاتنا التّنمويّة، لأنّ العلاقات الاجتماعيّة صارت رهينة حساباتٍ فرديّةٍ ضيّقةٍ، بسبب إنهيار القيم الانسانية وإنتشارالأنانية والمصلحة بين الأفراد . والمجتمع الذي يصل إلى هذه

الدّرجة ينهار داخليّا، ثمّ لا يلبث أن ينهار خارجيّاً. لذلك فإنّ هذا العمل جاء ليلحّ على خطورة القضيّة بالنّسبة لحاضر علاقاتنا ومستقبلها، ومصير امتنا . فإذا كان الإحساس بالمشكلة أول مرحلة في البحث عن الحلّ، فإنّ التّحسيس بالمشكلة هو أوّل مراحل تطبيقه، خاصّة إذا استندت العمليّة التّحسيسيّة للواقع الذي يعتبر منبع المشكلات، وموطن الحلول في آن واحد**1**

لقد اعتبرمالك بن نبي شبكة العلاقات الاجتماعيّة روح المجتمع الّتي توحِّد عناصره ؛ فهي المركّب الّذي يُحدِث الانسجام الدّاخليّ بين عناصر البناء الثّقافيّ (عالم الأشخاص، عالم الأفكار وعالم الأشياء)، ويخلق الصّلات الضّروريّة بينها، بما يضمن وحدةَ الهدفِ، وتوافقَ السَّيرِ، واشتراكَ الجهودِ. فوجود شبكة قويّة من العلاقات في عالم الأشخاص، يمنح فاعليةً أكبر لنشاط عالم الأفكار من أجل استغلال أحسن لعالم الأشياء. وهنا يكمن لبّ العلاقة بين البناء الحضاريّ، وشبكة العلاقات الاجتماعيّة. ويرتكز البناء الحضاريّ على شبكة قويّة من العلاقات حيث ينتظم وفقها نشاط عالم الأشخاص؛ ذلك أنّه إذا كان يعتمد في ناحية على قوّة عمل الأشخاص، والأفكار في استغلال مقاييس التّراب والزّمن، فإنّ قوّته تعتمدُ من ناحيةٍ أخرى على حجم العلاقات الدّاخليّة في المجتمع ومتانتها، وإذا كانت ثروة أمّةٍ ما تقاس بغنى مواردها البشريّة والمادّيّة، فإنّ فعّالية هذه الموارد مرتبطةٌ بنوعية شبكة العلاقات الاجتماعيّة ووضعيتها. وقد تمارس شبكة العلاقات الاجتماعيّة دورا هامّا في حماية النّسيج الفكريّ والاقتصاديّ والحضاريّ ككلّ، وذلك من خلال خاصّية توحيد الأنشطة وتوجيهها لخدمة غاية مشتركة في عالم الأشخاص. فهي بذلك تمارس دور التّنظيم والتّوجيه والحماية على مستوى الإرادة الحضاريّة والإمكان الحضاريّ معاً. كما أن إرتباط شبكة العلاقات الاجتماعيّة بعوالم البناء الثّقافيّ، لا تحكمه علاقةٌ من طرف واحد، بمعنى أنّ هذا التّأثير لا يكون من جانب واحد فقط، بل تحكُمُه علاقة تأثير وتأثُّر متبادلة. وإنّنا وفي مثل الظّروف الّتي تمرّ بها، فنحن بأمسِّ الحاجة إلى تبنيِّ هذا المنهج، خصوصاً إذا تعلّق الأمر بقضايانا الاجتماعيّة، والتّربويّة والتّنمويّة على العموم. وأنّ التخلي عن هذا المنهج يؤدِّي إلى تبنيِّ حلول عرجاء، تَنتُجُ عنها نتائج عوجاء ، تؤثّر على سلامة النّظام الاجتماعيّ، والتّربويّ، والتّنمويّ ككلّ، ليدفع ضريبة هذه الحلول الترقيعية المواطن البسيط **2** .

1- مالك بن نبي :ميلاد مجتمع، (شبكة العلاقات الاجتماعية) ص136

2-موسي لحرش:مالك بن نبي:حياته وانتاجه الفكري (مجلة مالك بن نبي)جامعة الامير عبد القادر ،قسنطينة،الجزائر جويلية 2006. ص 20.

وعن أهمية شبكة العلاقات الاجتماعية على المستوى الواقعيّ فقد إقترنها مالك بن نبي بالاحداث التي شهدها الواقع العربيّ والإسلاميّ، في ظلّ التّراجع الخطير لعلاقاتنا الدبلوماسية مع الغرب ، فإنّه من الواجب أن نعيد ترميم هذه العلاقات، قبل الخوض في أيِّ مشروع تنمويٍّ؛ فالإصلاح الاقتصاديّ لن يجدي نفعاً، إذا لم يسبقه الإعداد لأرضيّةٍ اجتماعية صلبةٍ، تحوي هذا الإصلاح، وتهيِّئ له المناخ الصِّحيَّ لإقلاعه. وإنّ إغفال هذه المرحلة أو التّغاضي عنها يقود إلى استنزاف الإمكانيات الاقتصاديّة، والاجتماعيّة لدولنا، بسبب تضارب المصالح وتباين الأهداف، الأمر الّذي يؤدِّي في الأخير إلى تشتّت الجهود، وبالتّالي ضياعها. هذا إن لم تكن هذه الإمكانيات مستغلّة لصالح أطراف، يناسبها أن تبقى الأوضاع على ما هي عليه، ولنا في التّاريخ والواقع أعظم الدّلائل. فصد قت يا أيها المفكر العظيم حينما قلت ***لا يقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من أشياء، بل بمقدار ما فيه من أفكار "***

"العلاقات الاجتماعية تكون فاسدة عندما تصاب الذوات بالتضخم فيصبح العمل الجماعي المشترك صعبًا أو مستحيلاً، إذ يدور النقاش حينئذ لا لإيجاد حلول للمشكلات، بل للعثور على أدلة وبراهين

1-مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،ص 144/140/139

4-عناصر البناء الحضاري عند مالك بن نبي:

اتجه مالك بن نبي نحو تحليل الأحداث التي كانت تحيط به وهذا بفضل سعة ثقافته التي ساعدته على إبراز مشكلة العالم النامي باعتبارها قضية حضارة أولاً وقبل كل شيء،حيث نجده يقول **(إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم مشكلته ما لم يرتفع بفكره إلى مستوى الأحداث الإنسانية وما لم يتعمّق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها) 1**

لأن بناء الحضارة لا يتم عن طريق الصدفة، بل يتطلّب نظرة منهجية تعتمد على التحليل ومعرفة عوامل البناء. حيث أن مسألة الحضارة عنده لا تعني محاولة لاكتشاف حقائق جديدة تتعلّق بعلم الإنسان، ولكنها تعني لديه تحديد الطرق المؤدية إلى الهدف المنشود وهو تحريك العالم الإسلامي المعاصر، حتى يتخلّص من رواسبه ومعوقاته وينطلق بإرادة وفاعلية نحو إستعادة مكانته في التاريخ والحياة وفق شروط معيّنة.لأن المشكلات التي تواجه العالم الإسلامي متعدّدة، ولذلك يتطلّب منا أن نقوم بترتيبها منطقياً، حتى نعطي لكل نوع قيمته الحقيقية، دون أن نقع في شراك الشيء السهل أو شراك الشيء المستحيل مدركين بأن للحضارة قانونها الذي لا يجامل أحداً، وبذلك يستطيع العالم الإسلامي أن يشقّ طريقه نحو دورة حضارية جديدة.

ولقد استطاع مالك بن نبي أن يحدّد المشكلات الأساسية التي تواجه العالم الإسلامي في الآتي:

- **مشكلة الإنسان- مشكلة التراب- مشكلة الوقت (الزمن)**

إن مشكلات الإنسان والتراب والوقت هي المشكلات الأساسية التي تواجه كل مجتمع متخلّف، فإذا أراد أن يبني نفسه ويخرج من دائرة التخلّف فعليه أن يُولي اهتمامه لهذه المشكلات وأن لا يضيع جهوده بالاهتمام بالمشكلات الجزئية .ولاريب فى أن مشكلة الإنسان تأتي في المقام الأول، إذ أنه هو الذي يوجّه الأشياء ويبني الحضارة، وهو الذى يمثل محور العملية الروحية ثم التراب الذي يمثل أحد المعطيات المادية التي يجب أن تستغل جيداً لصالح المجتمع، أما الوقت فهو الزمن الذي يتم تكييفه بحيث يصبح زمناً إجتماعياً.فأول عمل يجب القيام به في بناء الحضارة (في نظره) هو أن نفكر في عناصر بناء الحضارة وأن ندرسها وأن نحللها، وقد دعم

1-مالك بن نبي: شروط النهضة ، ص 48

مالك بن نبي نظره من خلال مثال بسيط تضمن رغبة الإنسان في معرفة عناصر تركيب الماء حيث قام أولا بتحلّل الماء تحليلاً علمياً ووجد أنه يتكوّن من عنصرين هامين عنصر الهيدروجين وعنصر الأكسجين ثم إنه بعد ذلك درس القانون الذي يتركّب منه هذان العنصران ليعطيانا الماء، وهذا بناء وليس تكديساً، ذلك لأنه لو كدّس ملايين من الأطنان من الهيدروجين والأوكسجين ثم بقي ينتظر أن يتكوّن الماء فإنه لا يتكوّن وحده إلاّ بعد أن يبعث الله إليه شرارة من عنده

أ-الإنسان:

كيف يمكن إعادة بناء وصناعة الانسان من اجل حل المشكلة الحضارية ؟

تحليل الإنسان يري مالك بن نبي أنّ أزمة العالم الاسلامي هي أزمة إنسان ،الذي توقف عن الحركة وقعد عن السير في ركب التاريخ واصبح في حالة خمول تام،في الوقت الذي خطت فيه الحضارة خطوات العماليق **1** وعليه إن أردنا مواكبة العصر والدخول في دائرة التحضر واللحاق بمصف الدول المتقدمة علينا أن نصنع رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى وقد صنف بن نبي الانسان الى صنفين من الناس,**فالصنف الاول** هو الذي يسكن المدينة فنجده إما عاطلا لا يعمل شيئا وإما نجده يبيع بعض العقاقير والحاجيات.***أما الصنف الثاني***:هو الذي يسكن البادية يقضي معظم أوقاته في المحراث وخدمة الأرض،والفرق بين هذين الصنفين من الناس هو أن ساكن الحضر رجل قليل (تمثل فيه القلة في كل شيئ) والثاني فهو ذلك الرجل الذي يرضى من الاشياء بالعدم،إن رجل المدينة الذي يرضى بالقليل من الاشياء قد تغلغلت في نفسه دواعي الانحطاط فهو يحمل روح الهزيمة بين جوارحه.إذ يقف دائما في منتصف طريق وفي منتصف فكرة وفي منتصف تطور لا يعرف كيف يصل إلى هدفه ،إذ هو ليس (نقطة الإنطلاق)في التاريخ كرجل الفطرة ولا (نقطة الإنتهاء)كرجل الحضارة،بل هو في نقطة التعليق في التطور وفي التاريخ وفي الحضارة، فرجل المدينة هو رجل القلة ورجل النصف.**2 او** رجل العالم الثالث الذي يختلف في متطلبات حياته وفي حوافز نشاطه عن الانسان المتحضر الذي بلغ بمجتمعه قمة الحضارة وبلغ به مجتمعه

1- مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ص 71
2--مالك بن نبي :شروط النهضة ص 83/82

شموخ التحضر في حين نجد ان إنسان التنمية يعاني من قصور ملموس في الخدمات الاساسية ومتطلبات الحياة الكريمة في الوقت الذي يجد نفسه مطالبا بان يعمل بجد وجهد لتحقيق خطط التنمية **1** فالانسان عند مالك بن نبي هو بمثابة الخلية الحضارية الاولي التي يجب تكوينها وبناؤها عن طريق حشد الفعالية الروحية وتحريك الدوافع والبواعث الكامنة فيه لاننا اذا اهتممنا بهذا الانسان ونمينا قدراته وصقلنا مواهبه ونفضنا عن عزيمته غبار التخلف وفجرنا طاقاته ،إستيقضت روح العمل فيه واصبح بامكاناته الروحية والمادية مستعدا للتلقي والابداع وملاحقة العصر ومواكبة حضارته بنظرة ثاقبة وعزيمة قوية تتجاوز كل مظاهرالخمول والكسل والتقوقع، لان الروح الخاملة لا مكان لها اليوم في دنيا الناس ولا قيمة لها ابد في افاق الحضارة. ولعل هذا يحدث عندما يتوصل الفرد إلى تغيير ما بنفسه وهذا يتم طبقا لمجموعة من الشروط، ولهذا نطرح السؤال التالي **ما هي شروط التغيير النفسي عند مالك بن نبي ؟** :

إن انطلاق "مالك بن نبي" من مرجعيات الفكر الإصلاحي يجعلنا لا نستغرب إهتمامه وتركيزه على فكرة التغيير النفسي والاجتماعي التي جعلتها بعض الحركات الإصلاحية شعارا ومنهاجا لها .وهذا يعني لنا باختصار أن سنة التغيير هاته تربط تغيير الأوضاع الاجتماعية بتغيير الأحوال النفسية لأن ترقية النفوس لما هو أفضل يستلزم ترقية في المجتمع أولا وتطويره سواء تعلق الامر بالجانب المعنوي أوالمادي وقد تتضمن شروط التغيير النفسي والبعث الحضاري عند مالك بن نبي تطهير القلوب وتطهير النفوس الذين أصبحا مطلبين في صناعة إنسان اليوم واستخلافه على الأرض لأنه أساس التغير نحو الأفضل والعودة من سيطرة الغرائز والعقل إلى سيطرة الروح المملوء بالإيمان وحب الخير كما جاء في قوله تعالى: **(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)** **1** حيث يستقيم الإنسان مع نفسه مما يجعله لا يقبل إلا سلطة حاكم مستقيم مع دينه، وهو ماجسده في مقولته المشهورة (غيّرنفسك يتغيّر التاريخ). ولتوضيح مسألة التغيير النفسي علينا بالرجوع إلى مصطلح "مالك بن نبي فى " قابلية الاستعمار" وفي علاقتها بتواجد الاستدمار في البلدان الإسلامية والذي يعتبر حتمية نفسية مرضية ، لذا أوصى "مالك بن نبي" بإنشاء "علم الاجتماع المرضي" في البلاد الإسلامية لتشخيص جميع الآفات الاجتماعية وإيجاد

---

1 -د/ محمود محمد سفر:دراسة في البناء الحضاري (محنة المسلم مع حضارة عصره) الطبعة الاولى رجب 1409هجري. ص 25-106
2- سورة النور الاية 55

حلول لها إذ أن المسألة الجوهرية في التغيير الحضاري تربطها بالإنسان **1** وهذا ما قال عنه المولى عز وجل: **(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)**" **2** فإذا عوض الإنسان بالنفس في المعادلة الحضارية عند "مالك بن نبي" والمتكونة من جانبين هما الفجور والتقوى فيكون مايلي: **نفس = فجور+ تقوى فالحضارة = (فجور+تقوي)+ التراب +الوقت**

وتبدأ عملية التغيير الفعلية بتخليص الإنسان من عقدة النقص أو الانبهار بمظاهر الغربيين، كذلك بتخليصه من بقايا التوكل والخرافة، وبإعادة الثقة بينه وبين وعقيدته وسلوكه وعمله. فليس المهم في بناء الإنسان الجديد أن يبدل نمط أو زي لباسه ونوعية أثاث منزله ومكتبه... ولكن المهم أن يتحدد له إطاره الحضاري في مجال الثقافة، والأخلاق، والاقتصاد؛ وكافة المجالات وبكلمة واحدة أن نقتلع ونصفي "القابلية للاستعمار" من عالمه الداخلي حتى تنطلق طاقته لتصفيته من عالمه الخارجي ،فالتغيير الحقيقي إذن يبدأ من النفس، وبها تتعدل شخصيته ويتم توازنها لمحاولة الدخول في مرحلة الإقلاع الحضاري القائمة على الأصالة والمعاصرة من خلال منهجها المنشود على التواصل والتفاعل فسح المجال أمام الفاعلية الإيجابية للتأثير والتفاعل مع وقائعه الساعية إلى تحقيق أهداف مستقبلية لتتجاوز التمزق والتخلف والاستبداد؛ لأن مشكلة الإنسان الكبرى هي الحضارة من حيث عناصرها وشروط بنائها وأسباب هدمها، وأن هذه القضايا تطرح تساؤلات ترتبط بالإنسان والتراب والوقت من جهة وبالمحيط الذي يعيش فيه من جهة أخرى، وهو يختلف من مكان إلى آخر ومن مرحلة تاريخية إلى أخرى، وبالتالي توجد ثلاث مشكلات فرعية تنحل بفضلها مشكلة الحضارة وهي مشكلة الإنسان ومشكلة التراب ومشكلة الوقت**3** .ولهذا فمشكلة الانسان تعالج إيجاد سبل وطرق في تكوين إنسانا قادرا على بناء حضارة والمحافظة عليها حيث أكد "مالك بن نبي" على هذه القضية من خلال فكرة تُعتبر إجابة على سؤال: هل نحن في حاجة إلى مؤسسات أم إلى رجال ؟ ويجيب مالك بن نبي بأنه يجب أولا أن نصنع رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافه الكبرى" ولبلوغ هذا المبلغ يجب الإلمام بالمشكلة برمتها

1- أحمد سعيد مولاي ، إشكالية الحضارة عند مالك بن نبي، مجلة الموافقات، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، العدد الثالث، جوان 1994، ص 308

2-سورة:الشمس: الايات 10/9/8/7

3-مالك بن نبي: وجهة العالم الاسلامي ص 163

– مشكلة الحضارة – والتركيز على عناصرها الأساسية كما ينبغي فهم كيفية تأثير هذا الإنسان في تركيب الحضارة، حيث أن الفرد يؤثر في مجتمعه "بثلاثة مؤثرات:أولا: بفكره، ثانيا: بعمله، وثالثا: بماله"، وبالتالي ينبغي توجيهه في الجوانب الثلاثة، توجيه الثقافة وتوجيه العمل وتوجيه المال أو رأس المال و قد **رأى** مالك بن نبي ان العامل الاساسي الذي يجب ان يتوفر لدي الإنسان من أجل مواكبة التحضر هو فكرة التوجيه الذي تحركه حركة دينية،وقد اعتبر التوجيه انه قوة في الاساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف لانه كم من طاقات وقوي ضاعت ولم تحقق هدفها ، فالتوجيه اذن هو تجنب هذا الإسراف في الجهد وفي الوقت، فهناك ملاين السواعد العاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية،صالحة لأن تستخدم في كل وقت،والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل المكون من ملايين السواعد والعقول في أحسن ظروفه الزمنية والإنتاجية **1** بحيث ينبغي أن نركز في عملية التوجيه على الجانب الثقافي لان الثقافة عنده ليست مجرّد علم يتعلّمه الإنسان في المدارس أو من الكتب بل هي جوّ من العادات والأذواق والقيم التي تؤثر في تكوين الشخصية وتحدّد دوافع الفرد وانفعالاته وصلاته بالناس والأشياء،و بناء على هذا فقد نجده يقدم تعريفا جامعا وشاملا لمعني الثقافة حيث يقول **"بأنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته "** والثقافة على هذا المنوال تمثل المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر، ولكي يتحقق كل هذا لا بد أن تعود الثقافة عندنا إلى مستواها الحقيقي ويجب ان نحددها كعامل تاريخي لكي نفهمها ثم كنظام تربوي تطبيقي حتى ننشرها بين طبقات المجتمع **2**

دورالثقافة في تغيير الانسان واعادة بنائه

إذا كانت الثقافة - كما ذكرنا سلفا- تمثل الوسط الذي تتكون فيه خصائص المجتمع المتحضّر وتتشكل فيه كل جزئية من جزئياته، تبعا للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه بما في ذلك الفنان والراعي والإمام وعلى هذا الاساس يتركب التاريخ ،فالثقافة هي تلك الكتلة نفسها بما تضمنته من عادات متجانسة وعبقريات متقاربة وتقاليد متكاملة وهي بعبارة جامعة: كل ما يعطي للحضارة سمتها الخاصة ويحدد قطبيها :من عقلية ابن خلدون وروحانية الغزالي أو عقلية

1- مالك بن نبي : شروط نهضة ص 48
2-نفس المصدر السابق ص 91

ديكارت وروحانية **جان داراك** .Jeanne d'Arc **1**..هذا هو معنى الثقافة في التاريخ وإذا حاولنا أن نحدد الثقافة معنى فى الحقل التربوي ،فإن الثقافة ليست علما خاصا بطبقة معينة من الشعب دون أخرى،بل هي دستور تتطلبه الحياة العامة.أو بعبارة أوضح إذا كانت الثقافة هي الجسر الذي يعبره المجتمع للوصول إلى الرقي والتمدن،فإنها أيضا ذلك الحاجز الذي يحفظ بعض افراده من السقوط من فوق هذا الجسر إلى الهاوية .وعلى خطى هذه القاعدة تشتمل الثقافة في معناها العام على حياة واحدة تجمع بين جميع طبقات المجتمع وهي (الثقافة) تتدخل في شؤون الفرد وفي بناء المجتمع ومعالجة مشاكلهم،وإذا أردنا توضيح الفكرة أكثر لوظيفة الثقافة فلنمثل لها بوظيفة الدم،الذي يدخل فى تركيبه الكريات الحمراء والبيضاء، وكلاهما يسبح في سائل واحد من البلازما ليغذي الجسم، فالثقافة هي ذلك الدم في جسم المجتمع ،يغذي حضارته يحمل أفكار النخبة كما يحمل كذلك أفكار العامة، وكل هذه الأفكار منسجمة في سائل واحد من الإستعدادت المتشابهة والإتجاهات الموحدة والأذواق المتناسبة.وفي هذا المركب الاجتماعي للثقافة ينحصر برامجها التربوي، ويرى مالك بن نبي أن الثقافة كنظرية للتغيير وإعادة البناء لابدّ وأن تُصاغ صياغة تربوية تعتمد على العناصر الأربعة والتي يتخذ منها الشعب دستورا لحياته المثقفة: **2**

، **<u>أولاً: التوجيه الأخلاقي:</u>** يرى أن فعالية المجتمعات تزيد أو تنقص بمقدار ما يزيد فيها من تأثير الأخلاق أو نقصانها وما يعنيه هذا من التأكيد على مفاهيم الإخاء والتعاون ومبدأ الجميع للفرد والفرد للجميع وربط العلم بالأخلاق حيث يهتم بالأخلاق من الناحية الاجتماعية.إن هذه الروح الخلقية منحة من السماء إلى الأرض،تأتي مع نزول الأديان عندما تولد الحضارات ومهمتها في المجتمع ربط الأفراد ببعضهم البعض،كما يشير إلى ذلك <u>القرآن الكريم</u> في قوله تعالى : **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ 3** فقوة التماسك التي امتاز بها المجتمع الاسلامي هي التي جعلته يجمع بين عناصر متفرقة كالانصار والمهاجرين وهو ما سمح بظهور أول مجتمع اسلامي .فحتي أصل المجتمعات الغربية مبني على أساس روحي أخلاقي فنجد مثلا مؤسسات الدولة كجمعية حضانة الأطفال في فرنسا

1-جان دارك Jeanne d'Arc : (1412-1431)تعتبر داراك من ابرز وجوه مقاومة الإحتلال الأنجليزي ،وترجع شهرتها الى نجاحها في رفع حصار قوات الاحتلال الانجليزي،غير أنه في 05/30/ 1431 وقعت أسيرة بين القوات المستعمرة وتمت محاكمتها إتهامها بالسحر وكونهت مرتدة مما أستدعي حرقها حية

2- شروط النهضة ص 93/92

3 -سورة الانفال الاية 63.

لو درسنا تاريخها ورجعنا إلى أصول فكرتها الأولى لوجدناها ذات أصول دينية فهي تدين بالفضل إلى **القديس فانسان دي بول Vincent de Paul1** الذي أنشأ مشروع الأطفال المشردين خلال النصف الأول من القرن السابع عشر.

ولهذا فقد راى مالك بن نبي أن أكبر مصادر خطئنا هو حينما ننظر إلى منتجات الحضارة الغربية، وكأنها نتيجة علوم وفنون وصناعات،في حين أننا ننسى أن هذه العلوم ما كان لها أن توجد لولا صلات إجتماعية فهي الاساس الخلقي الذي قام عليه صرح المدنية الغربية في علومه وفنونه بحيث لو ألغينا ذلك الأساس لسرى الإلغاء على جميع ما نشاهده اليوم من علوم وفنون

وهكذا نستنتج أن المبادئ الاخلاقية الاولى هي التي بعثت الحضارة وهذه حقيقة كل عصر وكل حضارة .**2**

ثانياً: التوجيه الجمالي:

لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر

قال الرجل:يجب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة

قال:إن الله جميل يحب الجمال

رواه مسلم /الحديث 147

إذا كان المبدأ الأخلاقي يقرر الإتجاه العام للمجتمع بتحديد الدوافع والغايات،فإن ذوق الجمال هو الذي يصوغ صورته وهو شيئ موجود فوق الضروريات والحاجيات ،وقد ورد في الحديث "إن الله جميل يحب الجمال"وهو ما يترجم حقيقة محتوي الآيات القرآنية .فعندما ذكر الله –سبحانه وتعالى-خلق النجوم وغايتها ذكر منها الزينة(" **وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ3** وكذلك عندما ذكر خلق الحيوانات

1- لقديس فانسان دي بول :Vincent de Paul 1581/04/24-09/27' /1660قديس فرنسي في الكنيسة الكاثوليكية كرس كل حياته في خدمة الفقراء واليتامي والمحتاجين حتي لقب بالأب الحنون

2- نفس المصدر ص 96/95

3- -سورة الملك الاية05 .

(وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ)1

وحينما بُعث الرسول (ص) أكد على هذا الجانب وأولاه اهتماما كبيرا وأصر عليه حيث كان دائما يرتدي اللباس الحسن والنّعل الحسن وأعتبر أن الذوق الرفيع من العناصر الإيجابية في الثقافة،فالتناسب والتناسق في الاشكال والاشياء يعطي للإنسان راحة نفسية كما كان دائما يشجع الناس على النظافة والاهتمام بالمظهر الحسن وخاصة في المساجد وأيام العيد2

فالجمال الذي يتجسد في الألوان والأصوات والروائح والأشكال يوحي للإنسان بالأفكار ويطبعها بطابعه الخاص من الذوق الجميل، فبه (الذوق الجميل) يجد الإنسان في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل لأن المجتمع الذي ينطوي على صور قبيحة،نجد انعكاساتها تظهر في افكاره وأعماله ومساعيه ولنحتكم بأبسط مثال لتحديد معنى الجمال ومدي تأثيره على تكوين شخصية الفرد،ولننضر إلى هيئة الطفل عندنا الذي يرتدي الثياب القذرة التي إن شئنا وصفها لقلنا إنها ثياب حيكت من القاذورات والجراثيم، التي تقتله ماديا ومعنويا لان هذه الاوساخ تعتبرسجنا لنفس الطفل كما أنها تضيف للمجتمع كل صور وأشكال التعاسة والقبح لأن هذا المظهر لا يعبر عن حالة الفقر بقدر ما يعبر عن مظهر من مظاهر التفريط في الحياة،أما في المجتمعات المتقدمة فإننا نرى الجمال نفسه سواء في الشوارع أوفى المحلات أو في طريقة الأكل واللباس.ولعل هذا التنظيم لم يأت عن طريق الوحي أو الصدفة،بل كل شيئ في هذه الدول مدروس بصفة مظبوطة ومحكمة،وخير دليل على ذلك تلك الأوامر والقرارات التي صدرتها بريطانيا تلزم سكانها بضرورة مراعاة نظافة مدنهم وشوارعهم ومن يخالف ذلك فهو مهدد بدفع غرامة مالية وقد طبقت القانون نفسه روسيا حيث فرضت غرامة مالية على كل شخص يبصق في الأرض أو يلقي بأعقاب السجارة على الرصيف أو يعلق ملابسه في الشباك المطل على الشارع أو يلصق الإعلانات على الجدران وأيضا الغرامة تشمل كل من يركب السيارات العامة بملابس العمل المتّسحة .فهي إجراءات تبدوا بسيطة إلاأنها تحمل الكثير من المعاني والعبر لأننا بفضل هذا الفعل نكون قد حققنا في المجتمع نظاما،وصحة،وجمال المدينة لأن الإطار الحضاري بكل محتوياته متصل بذوق الجمال ،بل إن الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أية

1-سورة النحل الاية : 06.
2-مالك بن نبي: شروط النهضة ص 98/94.

حضارة، فينبغي أن نطبقه على نفوسنا وأن نجسده في شوارعنا وبيوتنا ومقاهينا، إن الجمال هو وجه الوطن في العالم، فلنحافظ على وجهنا لكي نحفظ كرامتنا ونفرض إحترامنا على جيراننا الذين ندين لهم بالإحترام **1**

ثالثاً: المنطق العلمي:

لا نقصد في دراستنا هذه المنطق الذي وضعه أرسطو وإنّما نقصد به العقل التطبيقي الذي يجسّد الفعالية في النشاط سواء على صعيد الفكر أو العمل، فالذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة بل منطق العمل والحركة والفكرة ،لأن العقل المجرد متوفر لدينا غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون من الإرادة والإهتمام فهو أمر يكاد يكون منعدما لأن المسلم اليوم ينفق معظم أوقاته في العبث والكسل والثرثرة وهو لا يفكر ليعمل بل ليقول كلاما مجردا بل وأكثر من ذلك فهو يبغض أولئك الذين يفكرون ويقولون كلاما منطقيا من شأنه أن يتحول إلى عمل ونشاط ،بل أكثر من ذلك هناك حالات من البغض والكراهية التي أوصلت أصحابها إلى درجة التصفية الجسدية، وإذا ما أردنا حصرا لهذه القضية فإننا نري أن السبب الرئيسي لجهلنا يكمن في إفتقادنا للمنطق المحكم الذي يربط بين العمل وهدفه،بين السياسة ووسائلها، بين الفكرة وتحقيقها.فسياستنا تجهل وسائلها، وثقافتنا لا تعرف مثلها العليا .

فنحن إذن نعاني من العقم الاجتماعي الناتج من نقص المنطق العملي الذي يتجلي حتى في المعاملات فلننظر إلى الطريقة التي تربي بها الأم أولادها في المجتمعات المتخلفة،فهي إما أن تعامله بقساوة ووحشية ويصاب الولد بحالة الهيستريا كلما يري أمه،وإما أن تطلق له العنان إلى درجة أين تتحول أوامر الأم وقراراتها إلى مجرد تفاهات وكلام عديم الفائدة ، ولعل الشيئ المؤسف في كل هذا هو الدين الإسلامي حذرنا من مثل هذه التصرفات ، ألم يقل الله سبحانه وتعالى **"وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ " 2** وفي قوله **"وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا "3**

وبكل أسف نقولها هذا هو حالنا اليوم إذ أن الوهن واللامبالاة يطبعان منطق أقوالنا تصرفاتنا وأعمالنا

رابعا:التوجيه الصناعي:

1-نفس المصدر السابق ص 100
2-سورة لقمان الاية 19
3- سورة الاسراء الاية 37

تشمل الصناعة في نظر مالك بن نبي كل الفنون والمهن والقدرات ذات القيمة الإجتماعية التي تعود بالنفع على الفرد وعلى المجتمع.حيث تعتبر الصناعة بالنسبة للفرد وسيلة لكسب عيشه أو لبناء مجده، **1** وحتى تحقق الصناعة أهدافها فهي بحاجة إلى العلم والممارسة اليدوية حتي تصبح راسخة مع مرور الزمن، والدليل على ذلك أن هذه الصناعة لا تكون إلا في مجتمع متحضر فوجود الصناعة يدل على درجة التحضر والعلم ولهذا فقد دعا العلامة **"عبد الرحمن إبن خلدون"** المسلمين إلى ضرورة إتقان الصنائع والإبداع فيها مما يتناسب مع الإسلام والحضارة الإسلامية وقد قسم إبن خلدون الصنائع إلى قسمين: منها البسيطة ومنها المركبة فالبسيطة منها تختص بالضروريات ،والمركبة هي التي تكوّن الكماليات ،كما قسم الصنائع كذلك إلى ما يختص بأمر المعاش ضروريا كان أو غير ضروري كالجزارة والنجارة والحدادة، وإلى ما يختص بالأفكار التي هي خاصية الإنسان من العلوم،والصنائع والسياسة، كما أن الصنائع تكتمل بكمال العمران الحضري وكثرته، فعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصانع فيها، حيث تتوفر دواعي الترف والثروة، وفي هذا السياق يقول العلامة ابن خلدون**"واذا زخر العمران وطلبت فيه الكمالات كان من جملتها التانق في الصنائع واستجادتها فكملت بجميع متمماتها وتزايدت صنائع اخري معها.كما بلغنا عن اهل مصر ان فيهم من يعلم الرقص والمشي على الخيوط في الهواء ورفع الاثقال وغير ذلك من الصنائع التي لا توجد عندنا بالمغرب ،لاننا لم نبلغ عمران مصر والقاهرة"** أما العمران البدوي او القليل فهو الذي لا يحتاج من الصنائع إلاّ البسيط منها كالنجارة أو الحدادة أو الخياطة أو الحياكة وبذلك فإن رسوخ الصنائع فيه يتم برسوخ الحضارة وهذا كحال الأندلس قديما حيث كانت تزخر بالصنائع والرسوم واحوالها مستحكمة راسخة سواء في المباني والطبخ وأصناف الغناء واللّهو من الآلات والاوتار والرقص وإقامة الولائم والأعراس وسائر الصنائع التي يدعو إليها الترف وعوائده فبلغت الحضارة فيها مبلغا لم تبلغه في قطر إلاّ ما ينقل عن العراق والشام ومصر كما إستحكمت فيها الصنائع وكتملت فيها جميع اصنافها من جودة وتنميق وبقيت صبغتها ثابتة في ذلك العمران غير انه سرعان ما إنهار عمرانها وصنائعها بسبب ما عانته من رسوخ الحضارة فيها برسوخ الدولة الاموية وما بعدها من دولة الطوائف 2

1-مالك بن نبي :شروط النهضة ،ص 104

2-عبد الرحمان إبن خلدون :مقدمة إبن خلدون،تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية صيدا بيروت ،الطبعة الاولى ،1995 .ص ،372/370/ "(الفصل الثامن عشر)

فالصّنائع تتطور على حساب حاجات الانسان فان كانت الصناعة مطلوبة فان الناس تجتهد في تعلمها. واذ لم يوجد قصد من تعلمها فان تلك الصناعة تكون عرضة للاهمال والترك لأن صاحبها فر إلى غيرها او مات ولا يترك خلفا له فيذهب رسم تلك الصنائع، كما يذهب الكتاب والنساخ وأمثالهم من الصناع لحاجات الترف.ويبقي العرب أبعد الناس عن الصنائع والسبب في ذلك أنهم أبعد عن العمران الحضري وما يدعو إليه من الصنائع وغيرها فحتى الإبل التي أعانت العرب فى التغلب على الفقر فقد أصبحت مفقودة لديهم بالجملة، ولهذا نجد أوطان العرب وما ملكوه في الاسلام قليل الصنائع بالجملة، فالصنائع بالمغرب مثلا قليلة وغير مستحكمة إلا ما كان من صناعة الصوف في نسجه والجلد في خرزه. أما المشرق فقد رسخت الصنائع فيه حضارة الفرس واليونان والروم أحقابا متطاولة فرسخت فيهم أحوال الحضارة وأستحكمت صبغتها وتوفرت الصنائع ورسخت فبقيت مستجدة حتي الان وقد بين لنا العلامة ابن خلدون في رائعة كتابه المقدمة بالشرح والتفصيل إلى أمهات الصنائع كالفلاحة والبناء والخياطة حيث نجده يقول **"وأما الشريفة بالموضوع كالتوليد والكتابة والوراقة والغناء والطب، فإنها ضرورية في العمران إذ بها تحصل حياة المولود،فأما الطب فهو حفظ الصحة للإنسان ودفع المرض عنه ويتفرع عن علم الطبيعة وموضوعه مع ذلك بدن الانسان1**

فبهذه العناصر الأربعة تستكمل الثقافة بناءها في المجتمع وترتقي حينئذ إلى مستوى الحضارة. ويرى مالك بن نبي أنه (**ليس بنافع لنا أن نفكّر في الأسباب التي تدخلنا إلى باب الحضارة من غير أن نواجه أولاً وقبل كل شيء الوسائل التي تجعلنا نخرج من باب التخلّف)2.**

5- المبدأ الاخلاقي والذوق الجمالي في بناء الحضارة:

إن المجتمع حسب مالك بن نبي هو الذي ينتج بذورا أخلاقية وجمالية والتي نجدها في عاداته وتقاليده، حيث وبقدر ما تكون ثقافة المجتمع متطورة فإن البذور الأخلاقية والجمالية تكون أقرب إلى الكمال لأنها تشكل قوانين يخضع لها نشاط المجتمع والدستور الذي تقوم عليه حضارته وثقافته.لأن الثقافة في صورتها الحية عبارة عن وحدة ذات أجزاء متماسكة ومترابطة فيما بينها بروابط داخلية تحددها عبقرية الشعب التي وضعها طبقا لأخلاقه وأذواقه

1-نفس المصدر السابق:ص 374 (الفصل العشرون) و(الفصل الحادي والعشرون و الثالث والعشرون) ص 374-375
2- مالك بن نبي: شروط النهضة ، ص 104

لأن هناك علاقة عضوية تجمع بين المبدأ الأخلاقي وذوق الجمال،وما يدل على هذه العلاقة العضوية بين الجانبين هو أنّ الحياة في مجتمع ما، قبل أن تتأثر بالجانب المادي والإقتصادي من الحضارة فإنها تتخذ أولا إتجاها عاما ولونا شاملا يجعلان جميع تفاصيلها مرتبطة بالمبدأ الأخلاقي ويمكن أن نصوغ هذه العلاقة على الشكل التالي :

مبدأ أخلاقي + ذوق جمالي=إتجاه حضارة

تعد إذن هذه المعادلة مقياسا عاما يدل على إتجاه الحضارة.لأن الحضارة تتغير ميزاتها وتتجه بوجه خاص طبقا لعلاقة المبدأ الأخلاقي وذوق الجمال في المعادلة الحضارية، وعليه يمكننا القول بأن هناك نموذجين من المجتمع،النموذج الأول:مجتمع يقوم فيه النشاط أساسا على الدوافع الجمالية أما النموذج الثاني:مجتمع يقوم فيه النشاط أساسا على الدوافع الأخلاقية . إن هذا الإختلاف في ترتيب هذه العناصر ليس مجرد إختلاف شكلي لأن المجتمعات التي تختلف في كيفية ترتيب عناصر الثقافة لا تتطور في إتجاه واحد بل في بعض الظروف تنشأ بينهما تناقضات ويتخذ كل مجتمع منهما إتجاها يخالف تماما المجتمع الأخر،ولتوضيح ذلك نتخذ من الحضارتين الإسلامية والغربية نموذجا يبين التبيان الموجود بينهما والذي يرجع أساسا إلى الطريق المختلف الذي سلكته كل حضارة على حدى والذي يعود إلى الأصول البعيدة فالثقافة الغربية ورثت ذوق الجمال من التراث اليوناني الروماني والتي حمل لواءها زعماء الفن من فيدياس phidaias إلى مخائيل أنجلو michel angelo اللذين مارسو فن . التصوير حيث يتم تصوير المرأة عندهم في الأماكن العمومية عارية أو شبه عارية. بينما لا نري مثل هذه التحف في الفن الإسلامي لان الوازع الأخلاقي في المجتمع الإسلامي لا يطلق العنان للفنان أن يعبر عن الجمال بالطريقة التي عبر عنها الفنان في الغرب، فالثقافة الاسلامية ورثت الجانب الاخلاقي من عقيدة الدين الاسلامي حيث نجد الفنان في المجتمع الاسلامي يعبر عن جمال المراة بإخفاء جمالها بواسطة (ملاية اللف)1 فمن خلال هذا المثال نلاحظ أسبقية المبدأ الأخلاقي، عن الذوق الجمالي. ولقد كان لهذا الإختلاف في الأصول البعيدة للحضارتين أثّر

1-نوع من اللباس المستور ترتديه المراة المسلمة وكان يغطي لها كل انحاء الجسم ماعدا العينين واليدين.

فيما ينتجه الفكر في كل واحدة منهما، فالعبقرية الاوروبية أنتجت مناهج أدبية كتبت على رايتها خلال قرون اسماء لامعة منذ سشلين **Zschyl** الى راسين **racine** وبالزاك **balzac** .وعلى العكس من ذلك فإن الادب العربي والأدب الاسلامي لم ينتجا التراجيديا ولا القصة بل لم يحاولا أن ينتجهما إلا في القرن العشرين،وعليه فإن كل ثقافة تتضمن علاقة (مبدأ أخلاقي – ذوق جمالي) تكون ذات دلالة أنها نوع عبقرية مجتمع معين. وهكذا يمكننا أن نتبتع هذه الإعتبارات إلى أبعد مدي.فنري كيف أن الثقافة التى تمنح الأولوية لذوق الجمال فأنها تغذي حضارة تنتهي إلى فضيحة يقود جنونها إمرأة مثل مسالين **(mesaline)** ذلك لأنها تسيطر عليها دوافع الأنوثة،كما أننا نلاحظ من ناحية أخري كيف أن الثقافة التي تمنح الاولوية للمبدا الاخلاقي تكون حضارة مألها التحجر والجمود وتنتهي إلى فضيحة صامتة تائهة يقود جنونها مشايخ الطرق كما أننا لو تتبعنا مفعول علاقة (المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالى) في مركب الحضارة يظهر ذلك في الجانب الادبي حيث هناك مجتمعات تمنح الأولوية لذوق الجمال، كما تحدد من ناحية أخري نزعة الأدب الملتزم في المجتمعات التي تقدم الجانب الأخلاقي على الجمال.وعليه فإنه حينما توضع مشكلة توجيه الثقافة يجب أن نراعي هذه الاعتبارات جميعا بحسب ضرورات الحياة علما بأن العناصر الثقافية موجودة في كل حضارة تواجه هذه الضرورات غير أن تاثيرها يختلف في الحياة والتاريخ بحسب ترتيبها في سلم القيم المتفق عليها، وبهذا فإنه يتبين لنا أن أي خلل يحدث في هذه العلاقات فإنه قد ينتهي في أخر المطاف إلى خلل في توازن الحضارة وفي مكوناتها **1**

- **توجيه العمل:** بعدما رأينا دور التوجه الثقافي في حل مشكلة الإنسان، نبدأ الأن في دراسة توجيه العمل بإعتباره الجزء الثاني في حل مشكلة الإنسان،غير أن الحديث عن توجيه العمل في البلاد الإسلامية في العصر الحديث والمعاصر يكاد يكون لا وجود له لأن الجزء الأكبر من أوقاتنا نقضيه في لا قيمة له بما فيها الثرثرة وكثرة الكلام في الفراغ.وقد نضر مالك بن نبي إلى العمل نظرة قداسة وإحترام لانه يتولد من إتحاد العناصر الثلاثة من (الإنسان والتراب والوقت) وليس من الخطب السياسية أو الحملات الإنتخابية.والدليل على ذلك عندما كان المسلمون يعرفون قيمة العمل ، شيدوا المساجد والمباني بأبسط الوسائل وبأقل الإمكانيات

1- مالك بن نبي : شروط النهضة ص 100

وصنعت فيها الحضارة الإسلامية أوج تطورها وقبضوا على عصا التاريخ بيد من حديد1 غير أن عاصفة التقهقر التي ألمت بالامة العربية و التي ارجعتها إلي نقطة البداية جعلتها تتراجع على مستوي كل الاصعدة الثقافية السياسية التربوية وقد تغيرت نظرة المسلمين حتي إلى طبيعة العمل، فبعد أن كان في زمن الرسول ص واجب وشرف على كل مسلم قادر أصبح العمل اليوم ينظر اليه نظرة نبوذ واحتقار.وحلت محله روح الاتكال والكسل بين الافراد ،ولهذا فإن الرحلة الشاقة التي يجب أن تبداها الأمة الإسلامية من أجل إعادة النظر في قيمة العمل وتوجيهه تبدأ أولا من تغيير نظرة المجتمع إلى العمل لأن مجتمعاتنا ما زالت تنظر الى العمل اليدوي المرتبط بالجهد العضلى نظرة احتقار مما دفع بجزء كبير من الطلاب الى الإتجاه نحو التعليم النظري دون فعالية تذكر أو جهد ملموس يبذل.وإلا لماذا نجد رئيس الجامعة في أمريكا يقوم بإصلاح سيارته في ورشته،في حين ينفر موظف في المجتمع العربي من القيام بأبسط من ذلك والسبب دون شك يعود إلى الفروق والفجوات الحضارية بين المجتمع الأمريكي والمجتمع العربي، فيجب على العالم العربي أن يغير من نظرته السلبية الى الحرف والمهن حتي يتيح له إعادة هيكلة القوي العاملة من أبناء الامة 2 **الذي** يتم على أساس توجيه العمل الذي تتحد فيه كل الجهود البشرية من اجل تغير وضع الإنسان وخلق بيئة جديدة ومن هذه البيئة يشتق العمل معناه الاخر وهو عبارة عن مجهود فكري أوعضلي يبذله الانسان وينصب على الطبيعة حيث يحولها من حالتها الخامة الى حالتها النافعة أو هو حسب تعريف "أوغست كونت" فإن العمل هو التغيير النافع للمحيط من طرف الإنسان، وقد راي مالك بن نبي آن العمل هو النشاط الذي يقوم به الإنسان المسلم. ومن ثمة يمكن تصنيف ذلك كما يلي: توفير شروط التحول من "العطالة" أو البطالة إلى " حالة العمل الموجه"، حيث آن الجهود الاجتماعية تصبح تسير في اتجاه واحد:وهو مايسميه بتوجيه العمل ثم يؤكد مالك بن نبي على أنّ المجتمع الناشئ لا بدّ أن يركز على الناحية التربوية في العمل ، ولا يركّز على الناحية الكسبيّة، لأن الخلط بينهما في هذه المرحلة يشكّل خللاً في المجتمع ، إذ يحمّل نفسه فوق ما يطيق، ذلك أنّ المجتمع الذي يريد بناء حضارة انطلاقًا من العدّة الدائمة ، عليه أن يلتحم شعور الآفراد فيه ويتقاسموا بؤسه ونَعمته ويعملوا متكاتفين متعاونين ، لا أن يكون سعيهم على المصلحة الفردية التي شعارها (كل جهد يستحق أجرا)

1- نفس المصدر السابق ص 115.-118

2- نفس المصدر السابق ص 118

وهو شعار مرحلة متطورة من مسيرة حضارة المجتمع. فتوجيه العمل إذن في مرحلة التكوين الإجتماعي الذي يعني سير الجهود الإجتماعية في اتجاه واحد بما في ذلك الراعي،صاحب الحرفة ،التاجر ،الطالب ،العالم،المثقف،الفلاح،المرأة، لكي يصنع كل واحد منهم وفي يوم واحد لبنة جديدة في البناء والتنمية.فإزالة الاذي عن الطريق يعتبر عمل غرس الشجرة عمل،واستغلال اوقات فراغنا في مساعدة الأخرين عمل،والواقع أنه يجب ان يكون .الّتّوجيه المنهجي للعمل شرطا عاما أولآ ثم وسيلة خاصة لكسب العيش لأن هذا التوجيه حين يتحد مع توجيه الثقافة وتوجيه رآس المال فانه يفتح مجالات جديدة للعمل حيث أن توجيه العمل في المجتمع الناشئ يعني تأليف الجهود لتغيير وضع الإنسان وخلق بيئته الجديدة، التي يصبح شعارها (كسب العيش لكل فرد) ، وعلى قدر تكاثر الحِرف، تتحسن أحوال الفرد، ، وكلما تقدم التوجيه الثلاثي (توجيه الثقافة وتوجيه العمل وتوجيه رأس المال) تغيّر وجه الحياة.
ويحتل مستوي ارفع وارقي لان كل عمل يصدر عن يد الانسان يعتبربمثابة الطريق الذي يشقه لفكره في عالم الاشياء التي صنعتها،فلنكرم إذن اليد التي مسكت الفأس والقلم فمنها ستنبثق المعجزات التي ننتظرها يوما **1**

- **توجيه راس المال**

قبل أكثر من مئة عام أطلق الفيلسوف الألماني كارل ماركس karl marx عبارته المشهورة ***"يا عمال العالم إتحدوا"***ولقد كانت هذه الصرخة في وجه الاستغلال المتمثل في الطبقة البرجوازية والتوجّه الامبريالي المنطوي تحت الفكر الرأسمالي كما كانت لنتائج الثورة الصناعية اثاُرسلبية على بعض الطبقات حيث أحدثت تغيرا جذريا في صميم النظام الاجتماعي القديم أّدّت إلى اندثار الطبقة الإقطاعية ونشأت بالمقابل طبقة جديدة هى الطبقة البرجوازية.ولقد كان كارل ماركس من السبّاقين اللذين درسوا هذه الظاهرة وزعم انذاك أن وراء كل تلك التحولات الإجتماعية تحّولات اقتصادية بحتة مدّعيا أنه هناك ثلاث عوامل إقتصادية تحرك المجتمع وتدفعه إلى الأمام ،فالعامل الاول يتمثل في علاقة الإنسان بالطبيعة التي تمثل اشكال التنظيم الإنساني في استغلال الطبيعة كمورد للطاقة الانتاجية.أمّا العامل الثاني

1- د/ محمود محمد سفر:دراسة في البناء الحضاري(محنة المسلم مع حضارة عصره) ص 69

فهو العلاقة بين الطبقات مثلا بين الطبقة الإقطاعية وطبقة الفلاحين وبين الطبقة البرجوازية والطبقة العاملة.والعامل الثالث هو طرق الانتاج بمعني أن العاملين الأولين مترابطين بشكل يمثله العامل الثالث وقد سماه كارل ماركس القاعدة أو الأساس،ومن هذا التحليل الدقيق للعوامل الإقتصادية جعله يقسم المجتمع الى طبقتين:الأولى طبقة مستغلة (بكسر الغين)ومسيطرة والثانية طبقة كادحة، والعلاقة بين الطبقتين تتحددها القاعدة أو الأساس وهو طريق الإنتاج ،وعلى هذا الأساس فآن أيّ اضطراب في العلاقة بين العاملين الأوليين سوف يؤدي إلى الخلل في العامل الثالث وهذا ما يخلق فرص التغيير ودفع المجتمع للأمام، ولقد حدد كارل ماركس طريقة التغيير من خلال الثورة وهي الطريقة المثلى لإعادة الأمور إلى نصابها وهنا ينكشف الدور الإقتصادي في التغيير الاجتماعي بصورة واضحة.وقد عارض كارل ماركس النّظام الرأسمالى بالخصوص نظرية فائض القيمة وهي قيمة الربح التي يسرقها صاحب العمل من العامل مما يحفز الآلاف من الطبقة العاملة للثورة ضد الطبقة البرجوازية التي تمتلك رؤوس الأموال **1**

لقد إنتقد مالك بن نبي فكرة كارل ماركس حيث أنّ ظروف ذلك العصر لم تكن لتدعو كارل ماركس إلى تحديد راس المال الذي هو آلة اجتماعية وإنّما من حيث هو الة سياسية بين أيدي طبقة معينة هي الطبقة البرجوازية لاضطهاد طبقة أخري هي البروليتاريا فهو نظر الى رآس المال من هذه الزاوية لأن أوضاع المجتمع وظروفه قد حتمت عليه النظر بهذه الطريقة 2

وعليه فإنّ القضيّة في البلاد الإسلامية ذات طابع يختلف تمام الاختلاف عن صورتها في أوروبا ومن هنا يجب علينا دراسة هذه المشكلة وتحديد رأس المال ذاته من زاوية أخري، بإعتباره ألة إجتماعية تنهض بالتقدم المادي، وليس ألة سياسية في يد فئة راسمالية (كما عالجها ماركس ومدرسته) وحتي نرفع عن الاذهان الغموض الذي يسود بعض الأفراد بسبب الفهم الخاطئ لمعني رأس المال فإن مالك بن نبي نجده يلح على ضرورة التفرقة بين المصطلحين حيث تمثل الثروة عنده كل ما يستخدمه الفرد في ميدانه الخاص مثل العقار أو قطعة ارض (فكل ماله قيمة يعد ثروة) تلقب بلقب صاحبها. أما راس المال ينفصل عن صاحبه فهو في جوهره يمثل المال المتحرك الذي يتسع مجاله الاجتماعي بمقتضي حركته ونموه وهو في العادة مجرد لا ينسب

1-كارل ماركس االرأسمال: ترجمة وتحقيق،فاتح عبد الجبار،دار الفارابي للنشر،الطبعة الاولى، المجلد الثالث،ص220
2-مالك بن نبي:من أجل التغيير ص 13
.

إلى صاحبه فلا يقال (رأسمال فلان) وانما نكتفي فقط بعبارة (رأسمال) فالثروة مال ساكن أمّا رآس مال فهو مال متحرّك.فالمطلوب من المسلمين اليوم هو توجيه المال في خدمة الاقتصاد الاسلامي لأن القضية ليست في تكديس االثّروة ولكن في تحريك المال وتنشيطه بتوجيه آموال الامّة البسيطة إلى رآس مال متحّرك ينشّط الفكر والعمل ويمكن أن نستفيد من تجربة آوربا والتي خرجت منها إلى توجيه رؤوس الأموال وتخطيط اقتصادها ولكن في الوقت نفسه يجب أن نتخذ الحيطة حتي لا نقع فيما وقعت فيه أوروبا حين تحركت فيها الالة والتي جاءت بالإضطرابات الإجتماعية الناتجة عن إضطهاد طبقة لاخري، فالمشكلة ليست في المال ولكن في تكوين رآس المال وكيفية تعبئة الطاقات الاجتماعية الذي يجب ان يركز أساسا على تشيد الإنسان لأنّه لا يكفي أن يملك مجتمعا فقيرا المليارات من الذهب كي ينهض .وإنّما ينهض بالرصيد الذي لا تستطيع الأيام أن تنقص من قيمته شيئا وهو الرصيد الذي وضعته العناية الإلهية بين يديه. فالإقتصاد إذن في نضر مالك بن نبي ليس قضية انشاء بنك او تشيد مصنع. وآنما قبل كل شيئ هي قضية منهاج يحدد لنا تخطيطا مناسبا نبني عليه حياتنا الاقتصادية حيث لا يكون فيه مكان لتركيز رؤوس الأموال في أيدي فئة قليلة تستغل السّواد الأعظم من الشعب، بل يجب أن يكون هناك إسهاما من كل طبقات الشّعب لكي يتم التعادل بين طبقات المجتمع وتنسجم مصلحة الجماعة مع مصلحة الفرد وبهذا التوجيه الذي يسير متضافرا مع توجيه الثقافة وتوجيه العمل، يكون الفرد قد إستكمل الشروط الضرورية لتشيد حضارة تطابق إطاره الخاص **1** وقد دعا مالك بن نبي إلى ضرورة الأخذ من الحضارة الغربية الأدوات التي تساهم في بناء حضارتنا،خصوصا الألات التي لم نكن نستطيع صنعها . فعلينا أن نستورد ها من الخارج حتى يأتي يوم نستطيع فيه الاستغناء عنها بمنتجاتنا. فنحن في مرحلة البناء ينبغي لنا أن نقتصد في إمكاناتنا حتى نستخلص منها أقصى ما نستطيع من فائدة 1. لأنه من العبث - كما يقول بن نبي - أن أركب الجمل في العصر الذي انتشرت فيه السيارات،غير أن العبث الأكبرهو التبذير الهائل للأموال التي إقتنيت بها أفخر السيارات وأعظمها .لأنه لا حاجة لي إلى مثل هذا النوع من السيارات طالما أستطيع الإكتفاء بأقل منها درجة 3

1-مالك بن نبي :شروط النهضة:139
2-مالك بن نبي :المسلم في عالم الاقتصاد: ص 172/
3-مالك بن نبي:شروط النهضة ص 140

ب- التراب:

إعتبر مالك بن نبي أن عامل الترآب يمثل أحد شروط النهضة وعنصرا هاما أيضا في مشروع حل مشكلات الأمة الإسلامية؛ من عدة زوايا، حيث نجد علاقتة المباشرة بينه وبين الإنسان وفيه يمثل التراب عاملا حيويا بالنسبة للمجتمع حيث يحقق للفرد الضمانات الاجتماعية فهو يمثل في نظر مالك بن نبي ذلك الكل الذي يسبح فيه الإنسان في حياته اليومية؛ سواء في المجال الصناعي أو الزراعي أو التجاري أو العلمي أو الأخلاقي أو الديني، فهو يمثل: العناصر الثلاثة التي تكون الحضارة (إذا ما توفر المركب الديني) وحينما تكلم مالك بن نبي عن أهمية التراب ودوره في تكوين الحضارة فإنه لم يتكلم عن التراب من حيث الخصائص أو الأنواع، ولكنّه تكلم عنه من حيث أهميته وقيمته الاجتماعية وهذه القيمة الاجتماعية مستمدة من قيمة مالكيه، بحيث تكون قيمة الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب غالي القيمة ،وعندما تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدر من الانحطاط ،وبواسطة هذا المقياس نسطيع القول أن التراب في أرض الإسلام بائر منحط بسبب تخلف القوم اللذين يعيشون عليه أو بسبب الكوارث الطبيعية التى تهدده، فعلى طول الخط الذي يمتد من جنوب تونس إلى جنوب مراكش تتقدم الصحراء كل سنة والسبب بلا شك يعود إلى الإقلال من الاشجار والغابات إقلالا بالغا وبالخصوص في السنّوات الاخيرة وهي الحالة نفسها تعيشها الاراضي الزراعية الجزائرية حيث بدأ خط الصحراء يصعد من الجنوب الى الشمال بسبب زحف الرمال مما أدي الى إتلاف وهلاك الأراضي الزراعية ودفنها تحت الرمال ،وقد كان لهذا التحول في الارض من الخصبة إلى صحراء أثرا مأساويا على تكوين الحياة الإقتصادية حيث تحولت حرفة البلاد من الزراعة إلى رعي الأغنام ومن ثمة لا شيئ ولقد كانت بلاد الشمال الإفريقي قبل ألف سنة تحتوي على مساحات من الأشجار تبلغ سبعة ملاين من الهكتارات،غير أننا نجدها اليوم قد نقصت إلى الثلث تقريبا، وهنا يكمن سر المأساة التي نعيشها اليوم .ولعل ما جعل مالك بن نبي يركز على هذه الفكرة أكثر وإظهار مدي خطورتها هي تلك الفترة التي قضاها في أفلو حيث لفتت إنتباهه ظاهرة زحف الرمال على المنطقة ثم أدرك مدي صعوبة الوضع على الانسان و الأمن الغذائي والأمة الإسلامية، ولهذا فقد أصبحت القضية اليوم قضية خطيرة لانها تهدد كيان الفرد والامة معا، ومن المناسب ذكر بعض الأرقام التي توضح خطورة القضية :فعلى سبيل المثال إنخفض عدد السكان في تبسة من مئة وثمانين ألفا إلى أربعين ألفا تقريبا بينما الماشية التي نجدها التي كانت مورد الإقليم الوحيد نجدها اليوم على وشك الإنقراض.وبديهي انه لا حل لهذه الأزمة إلآ

الشجرة فلم يبق لنا إلا أن نلتفت إلى غرس الشجرة ،غير أنه لن يتحقق لنا هذا النصر على الصحراء إلا إذ إنتصرنا على أنفسنا الخاملة الكسولة لأن القضية لا تتطلب شجرة بل مئات الملايين فالقضية لا تهم الجزائر لوحدها بل الكتلة الطبيعية التي تمتد عبر سلسلة جبال الأطلس التلى من قابس شرقا إلى أغادير غربا . وهذا العمل ليس بالمستحيل بل علينا أن نلتزم فقط بالإرادة القوية ونتخذ من الدول الغربية التي تعرضت لمثل هذه المحن أسوة حسنة حيث واجهت مثل هذه المواقف بكل كفاح وعبقرية ففرنسا مثلا قامت سنة 1850 بغرس الأشجار في الناحية الجنوبية الغربية من البلاد، حيث كانت رمال الشاطئ الأطلنطي تهدد مصالح أهلها وصحتهم. فانطلقوا بهمة وصبر يوقفون الرمال عند حدها وقضوا عشرين سنة وهم يسدون الطريق فانتصروا على الرمال وكانت نتيجة إنتصارهم أبعد مما كانوا يتوقعون. فبعدما كانت تلك المنطقة من أفقر المناطق وأخطرها على الصحة في فرنسا أصبحت اليوم –بما تمتعت به من الأشجار الكثيرة-ذات حركة إقتصادية ممتازة، إذ أصبحت أول بلد منتج في العالم لزيت (الترابنتين) المستخرج من تلك الأشجار وأصبحت ملجأ صحيا للمرضي من جميع أنحاء العالم.وكذلك المثال ينطبق على هولندا التي يعد أكثر من ثلث أرضها مصنوعا بأيدي أهلها فليكن لنا إذن يوم للشجرة، يكون عيدا يتمثل فيه كفاحنا ضد الرمل الذي نري خطره اليوم في غالب بلاد العروبة والاسلام لانه لا يمكن إنقاذ الأجيال القادمة أو بناء حياة جديدة إلا بالعمل الشاق الذي يقوم به جيلنا الحاضر والذي يتم بالإنتصار على أنفسنا وعلى عراقيل الطبيعة وبهذا العمل يكون الإنسان قد أعاد للتراب فعاليته ومهد فيه لحضارته، ولم يعد يخاف من نوائب الزمن **1** ويمكن أن نؤكد على واقعية هذه النظرية عند مالك بن نبي - والتي حققت نجاحا باهرا - عندما تكلم عن محور (طنجة جاكرتا) واقتراحه حلولا مناسبة وهامة وهذا بإحداث **"كومنولث إسلامي"** لإيجاد التكامل المفقود بين شعوب العالم الإسلامي، والذي يتمثل في تشكل منظمة المؤتمر الإسلامي (من الناحية السياسية) ، واقتصاديا يتمثل في شكل منظمة الأوبيب، وثقافيا في شكل المنظمة الإسلامية للعلوم والثقافة والتربية، كما تحققت نظريته فلاحيا في شكل "السد الأخضر" عندنا في الجزائر كحاجز ضد هجوم التصحر على الأراضي السهبية (ولهذا فقد كانت فكرة السد الأخضر " في الجزائر تنفيذا وتجسيدا لفكرة "مالك بن نبي2

1-مالك بن نبي :شروط النهضة ص 119 /144/143/122
2-مالك بن نبي مذكرات شاهد القرن الطالب ص 28.

ج- الوقت

<u>ما قيل عن الوقت</u> "ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي:يا بن أدم أنا خلق جديد،وعلى عملك شهيد فإغتنم مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة

استنادا على هذه المقولة يبرز لنا مالك بن نبي أ همية الوقت في حياة الفرد ،فقد إعتبره بمثابة الجوهر الذي لا يقدر بثمن ولا يشتري بالمال، حيث لا تستطيع أي قوة في العالم أن تستعيد دقيقة من الوقت إذا مضت.وحظ الشعب العربي والإسلامي من الساعات كحظ أي شعب متحضر ولكن . شتّان بين الساعتين، فعندما يدق ناقوس الساعات الاولى في البلدان المتحضرة فإن الشعوب تشرع في العمل، أما نحن في العالم الاسلامي فإننا نعرف شيئا يسمي ***"قتل الوقت"***لأننا ببساطة لا ندرك لامعناه ولا قيمته ولسنا ندرك إلى حد الأن فكرة الزمن الذي يتصل إتصالا وثيقا بالتاريخ مع العلم أن أول من أدرك فكرة الزمن هو المسلم العربي (أبو الحسن المراكشي) فالحياة والتاريخ الخاضعان للتوقيت ما يزال يفوتنا قطارهما لأننا نحن بحاجة ماسة إلى توقيت دقيق وخطوات واسعة لكي نعوض تأخرنا.ولا شك أن التربية هي الوسيلة الضرورية التي تعلم الشعب العربي الإسلامي قيمة الوقت وهذا العمل ليس بالشيء السهل لأنه من الصعب جدا أن يستمع شعب ثرثار وكسول للصوت الصامت لأهمية الوقت الهارب، غير أنه بواسطة الإرادة القوية والصبر يمكن أن نعلم للفرد المسلم علم الزمن وهذا يتم عن طريق تخصيص نصف الساعة يوميا للطفل وللرجل وللمرأة أداء واجب معين،حيث اذا خصص كل فرد نصف ساعة من وقته في تنفيذ مهمة منتظمة وفعالة، سوف يكون لديه في نهاية العام حصيلة هائلة ومهمة من ساعات العمل لمصلحة الحياة الإسلامية في جميع أشكالها العقلية والخلقية والفنية والإقتصادية وسترتفع كمية حصادنا العقلي واليدوي والروحي وهذه هي الحضارة ولنا في العالم نماذج عن دول أعطت أهمية للوقت واستطاعت حينئذ أن تشق لنفسها طريق التشيد الحضاري وهذا ما ينطبق تماما على المانيا عقب نهاية الحرب العالمية الثانية حيث تحطمت فيها كل البني التحتية ولم يبق لها من شيئ تقيم على اساسه فكل شيء منهار وفوق ذلك كله فقد كانت خاضعة لاربعة دول من الحلفاء هي التي كانت تدير شؤونها الداخلية والخارجية واليوم(**1**) وبعد مرورعشر سنوات وفي وقت قصير جدا إستطاعت أن تتفوّق

1- اليوم الذي يقصده بن نبي هو شهر مارس اذار 1957

وتدهش العالم في صناعة أضخم الأجهزة وأجودها بالاضافة إلى صناعة السيارات بأنواعها.فلو بحثنا عن اسباب هذه المعجزة لوجدنا فيها عوامل عديدة (الصناعية والطبيعية) والتي لا يمكن إنكارها .لكن العامل المهم في هذه العوامل جميعا هو إنتشار فكرة يجب تدارك الزمن لدي الشعب الألماني حيث فرضت الحكومة الألمانية 1948عام على الشعب الألماني كله– نساءا وأطفالا ورجالا- التّطوع يوميا لمدة ساعتين، يؤديها كل فرد زيادة على عمله اليومي بالمجان وهذا من أجل فائدة الصالح العام ، والمصلحة العامة.ومن هنا يمكننا أن ندرك قيمة الوقت وأهميته في إعادة تنمية المجتمع لشعب لم يبق لديه من مخلفات الحرب العالمية إلا أثار الدمار والخراب ولكن بفضل عزيمته وإخلاصه في العمل عرف كيف يحسن إستثمار العناصر الثلاثة من الإنسان، والتراب،والزمن،والعالم الإسلامى لا ينقصه معرفة شيء إسمه (الوقت)، ولكن ينقصه إدراك معناه، فينتهى عنده الوقت من حيث بدأ "**1**

تعتبر الحضارة أعظم مشكلة في حياة الإنسان حسب "مالك بن نبي" لأنها ظاهرة إنسانية تتشكل من الإنسان والتراب والوقت، بفعل الفكرة الدينية التي تؤلف بين العناصر الثلاثة السابقة، وترتبط هذه العناصر الأولية المكونة للحضارة بالمشاكل التي تحيط بالإنسان والتي تختلف باختلاف بيئته، "لأن الإنسانية لا تعيش ولا تعاني مشكلة واحدة، بل مشاكل متنوعة تبعا لتنوع مراحل التاريخ".حيث شهادة التاريخ تبيّن أن غياب الموقف الحضاري من الواقع في العالم العربي والإسلامي المعاصر عجّل بخلق أزمة الإبداع الفكري والفلسفي وعجّل بالسقوط في أحضان الآخر ولا سبيل للتخلص من هذه الهوة والنهوض والتحّرر من الأزمة إلاّ باتخاذ موقف حضاري في وعي مبدع تجتمع فيه المواقف الحضارية وهذا من خلال إعادة بناء النص الشعبي الموروث الوارد في النصوص القديمة والتراث وتحديد الفاعليات القادرة على التغيير و وقدرتهم على معرفة النص التراثي المؤثر في المجتمع سلبا وإيجابا **2**

1-مالك بن نبي شروط النهضة ص 164/148

2-حسن حنفي: هموم الفكر والوطن، الجزء الثاني، دار قباء للطباعة، القاهرة، مصر، 1998، ط3، ص45. وأنضر الطيب برغوث: موقع المسألة الثقافية من إستراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي، ص8./14.

6-علاقة الحضارة بالفنون الأخري

- التاريخ:

شهد القرن العشرون مناهج متعددة في فلسفة التاريخ والحضارة أرجعت كلّ من الحضارة والبناء التاريخي إلى عوامل لا تنحصر على الإنتاج ووسائله مثلما كان الحال فى النظرية الماركسية. بل إلى عوامل أخري أهمها العامل الديني **1** وقد أخذ عن هذه الفكرة المفكر مالك بن نبي حينما أكد أنّ الحضارة الاسلامية ذات أصل ديني ولم يكن للعامل الجغرافي الدور الاساسي في تكوينها ولا حتى العامل الاقتصادي وهذا بعدما اتخذت ظاهرة الحركة التاريخية مواقف عدة وتفسيرات شتي إطلع عليها مالك بن نبي بعمق ودقة وانتقدها مبرزا مواقفه منها ثم أعطي موقفه المبني على الاطلاع والتحليل والنقد والاستنتاج مستخدما الدقة العلمية والصرامة المنطقية ليقرر ما ذهب إليه علماء الإجتماع من إعتبار أن التاريخ بحوث ودراسات مجالها الفرد نفسه وكل ما يؤثر في حياته ويغير من ظروفه، فالتاريخ إذن يمثل التغيير الذي يتعرض له الفرد والمجال الذي يحويه على السواء وبعبارة اكثر دقة فإن صناعة التاريخ تتم طبقا لتاثير طوائف اجتماعية ثلاثة: تاثير عالم لاشخاص،تأثير عالم الأفكار،وتاثير عالم الاشياء

إنّ الفعل التاريخي من انتاج العوالم الثلاثة ولا يمكن أن يتم عمل تاريخي اذا لم تتوفر علاقات ضرورية داخل هذه العوامل الثلاثة، وتتضح صلة الحضارة بالتاريخ عند "مالك بن نبي باعتباره أن المجتمع ليس مجرد عدد من الافراد،بل هو اجتماع هؤلاء الافراد على موقف واحد واشتتراكهم في اتجاه واحد للقيام بعمل معين ذو غاية معينة، وعمل المجتمع ليس امر تلقائي وإنما تركيب بين هذه العوالم الثلاثة الذي يفضي الى عالم رابع يتمثل في "شبكة العلاقات الاجتماعية"فالحضارة اذن هي عمل تاريخي وتأليف بين العوالم الثلاثة في صورة واحدة وهذه الصورة هي التى تتجسد في صورة الحضارة التي تعتبر في منظور بن نبي مظهرا من مظاهر الحياة والفكر الإجتماعي، بحيث توجد عدة عوامل تتحكم في بناء المجتمع وحركة التاريخ وتكوين الحضارة،وهي العوامل التاريخية والتطورات التي تطرأ على المجتمع بما فيها العوامل

---

1 -**مالك بن نبي :شروط النهضة ص 98/96.**

الداخلية والخارجية 1 وقد استوحي مالك بن نبي حقيقة "دورة الحضارة"من نظرية "ابن خلدون"عن الاجيال الثلاثة لأن النظرية سمحت له بالوقوف على عوامل الانحطاط الى جانب أسباب التقدم والازدهار فلتاريخ دورة فهو يسجل عوامل التقدم وأسباب إنحطاط الأمم وله نقطة للبداية واخري للوصول.وبمقدارما تتعدد الدورات التاريخية تتعدد معها الدورات الحضارية2 لذلك لا ينبغي إغفال مكانة الامة في دورات التاريخ اي الاكتفاء بوضع حلول ومناهج مستوردة وفي معني هذا يقول بن نبي ***"لوعلاج أية مشكلة يرتبط بعوامل نفسية زمنية ،ناتجة عن فكرة معينة تؤرخ منذ ميلادها عمليات التطور الاجتماعي في حدود الدورة التي ندرسها"*** **3** كما نجده يتفق كذلك مع شبنجلر في كون أن ظاهرة التغيير أوالتحول في التاريخ، أوالانتقال من الانحطاط الي الحضارة تعود الى تغيير الانفس ويستشهد '(بن نبي)بالحضارة الاسلامية والحضارة المسيحية فكل واحدة منها قامت على الايمان والشعورالقوي بالحاجة الى التغيير وهي الشروط التي اشار اليها القرأن الكريم الذي جعل من تغيير النفس أساس كل تغيير اجتماعي كما اتفق كذلك مع نضرية كيسرلنج الذي رد تكوين الحضارة في التاريخ الى عوامل دينية التي استمدت روحها من الديانة المسيحية فمجال التاريخ هو الفرد والمجتمع وكل ما يحيط بهما فهو يسجل –التاريخ- ويحدد عوامل الضعف والانحطاط وشروط القوة والازدهار لمجتمع معين في حالة معينة فلتاريخ دورة وللحضارة دورة فلهما نقطة الانطلاق ونقطة الوصول وقد رأي الدكتور حسن حنفي أن حال الأمة العربية الإسلامية لا يستقيم ولا يعرف النهضة في زمانها الحاضر في غياب وعي تاريخي جديد وفي انعدام فلسفة تاريخ جديدة تعتني بالحقبة التاريخية التي تعيشها الأمة اليوم. وبدون الوعي التاريخي الجديد يصبح حاضر الأمة ومستقبلها ووجودها مليئا بالغموض والإبهام وتصبح الأمة عاجزة عن وعي حاضرها والتطلع إلى مستقبلها. والموقف الحضاري من التراث ومن الأنا ومن الآخر ومن الواقع في المشروع يشكل رؤية تحليلية نقدية للتاريخ العربي الإسلامي في إطار التاريخ الإنساني العام، كل هذا يشكل نقطة نوعية في الشعور العربي الإسلامي من منظور حضاري شامل يعطي الأمة مجالا رحبا فسيحا للأمل والعمل. وفلسفة التاريخ وما تتضمنه من وعي تاريخي لا تنفصل عن فلسفة السياسة والوعي السياسي الذي ينطلق من مبدأ الثورة والتثوير، الثورة في وجه الأوضاع

1-مالك بن نبي: ميلاد مجتمع ص 24-29.
2-مالك بن نبي وجهة العالم الاسلامي 21
3-مالك بن نبي شروط لنهضة ص 70

الثقافية والفكرية الفاسدة والتنويرهو تنوير قيّم التراث لتتحول إلى واقع ماثل ومعاش، واقع تحكمه التراثية الواعية والعقلانية المفتوحة والعلمية والحرية، والحكمة العملية التي تجمع بين الأخلاق والسياسة والتربية 1

- **بالثقافة**

إن ثقافة أي مجتمع تعكس نمط عيشه كما تحدد أنماط تفكيره وأساليب عمله ووسائله واتجاهاته الفكرية ، كما تقوم بحفظ ونقل ذلك على انه تراث تقافي من جيل الى اخر ومن حقبة تاريخية إلى أخرى، كما تحافظ على عناصرها وتتكفل بنقلها إلى الاخرين .وثقافة المجتمع المتحضر تعكس حضارة المجتمع وخصوصياته . فهي تشكل إدارة الفرد وإدارة المجتمع باعتبارهما محيط يعكس الحضارة التي يصنعها الافراد داخل المجتمع في مرحلة تاريخية معينة، فالثقافة تنشأ (تنتج) الحضارة وتوجهها وتعكس سماتها وتمثل المحيط الذي يتحرك فيه الانسان المتحضر، أمّا الحضارة فهي منتجات ثقافية ومادية نتجت عن قدرة الإنسان على الإبداع والتجديد،فبين الثقافة والحضارة تداخل وتلازم دائمين 2 لكن تبقي العلاقة بين "الثقافة والحضارة " حسب ابن خلدون علاقة تلازم فهو يقول "ان حضارة اي مجتمع او ثقافته انما تتمثل في القيم والمعاني والتنظيم التي تنطوي عليها حياته ويظهرهذا التلازم في كون حضارة أي أمة عبر التاريخ في التطبيق المادي والاجتماعي للتراث الثقافي ونفس التفسير نجده في اللغة الالمانية حيث لفظ الثقافة تدل على معني الحضارة وذات دلالة واحدة وهي تمثل سائر العادات والظروف الاجتماعية والتراث الفكري والعلمي والفنون والاداب والوان التفكير والقيم الرائعة في مجتمع معين. 3

أما مالك بن نبي فهو لا يقتصر على المعني الفكري النظري بل يتناول المعني في إطار الأوضاع التى مّر بها العالم أجمع والعالم الإسلامي المعاصر من جهة أخري فهو يراعي الجوانب والمعطيات العملية والاجتماعية والتربوية والتاريخية اذ انطلق من تباين الباحثين في

1-نفس المصدر السابق ص 85./96

2-ALEXANDRU TANASE CULTURE CIVLISATION HUMANISME .TRAD DU ROUMAIN .MICAELA SLAVESCU .EDITION MERIDIANE .BUCAREST 1974 P 24-30

3-عبد الرحمان ابن خلدون : المقدمة .ص 124

وجهة نظرهم حيث يوجد من نظر اليها من الناحية النفسية الفردية وهناك من نظر إليها من الجانب الاجتماعي اما هو فوقف على الجوانب الثلاثة:الجانب النفسي والجانب الاجتماعي وجانب الصلة بين الفرد والمجتمع حيث ربط "مالك بن نبي مفهوم الحضارة بالثقافة من حيث مفهومها ووضيفتها الاجتماعية والتاريخية فالثقافة عنده هي العلاقة التي تحدد السلوك الاجتماعي لدي الفرد بأسلوب الحياة في المجتمع،كما تحدد أسلوب الحياة بسلوك الفرد. إن هذه العلاقة المتبادلة تنمو لدي الفرد وتكبر من خلال صلته بالمحيط الحيوي وحياته.النفسية وفاعليته الاجتماعية،هذه الصلة تنبعث في الأساس من رغبة الفرد لاندماجه في المحيط الاجتماعي من أجل تكوين وحدة اجتماعية والتي تتيح له تكوين القبيلة والعشيرة، أمّا المجتمع الذي يجتمع لتكوين حضارة فإنه يستخدم نفس الغريزة ولكنه يهذبها . فالثقافة حسب بن نبي لا تمثل علما من العلوم بقدر ما هي نظام تقتضيه الحياة بشكل عام بكل ما تحتويه من أصناف التفكير والتغيّرات داخل المجتمع وهي وسيلة للتحضر فالثقافة تمثل الجسر الذي يعبره البعض إلى الرقي والتمدّن كما أنها تمثل ذلك الحاجز الذى يحفظ البعض من السّقوط إلى الهاوية ، فلا يمكن الحديث عن الحضارة دون ربطها بالثقافة، إنها الوسط الذّي تتكون فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر ويؤكد مالك بن نبي على الطابع الشمولي للثقافة فرديا واجتماعيا وانسانيا وعلي التكامل بين هذه الجوانب في الحياة حيث يقول: **فالثقافة هي تلك الكتلة التي تتضمن عادات متجانسة وعبقريات متقاربة وتقاليد متكاملة وأذواق وعواطف متشابهة وبعبارة أخري هي: كل ما يعطي الحضارة سمتها الخاصة ويحدد قطبيه:من عقلية إبن خلدون وروحانية الغزالي،وعقلية ديكارت"1**

فأحسن ما يقال في ايضاح الفرق بين الثقافة والحضارة هو أنّ الثقافة هي ما نتكون به والحضارة هي ما نعمل به فالثقافة علوم وفنون وفلسفات وعادات وتقاليد،أما الحضارة فهي ما نعمل به من أدوات سواء أكانت هذه الادوات حسية مثل الالات أو معنوية مثل المؤسسات الإجتماعية المختلفة كالحكومة والمجلس البلدي، فالثقافة تسبق الحضارة وتؤدي اليها لأنها بمثابة الفكرة.، والحضارة بمثابة المادة.وتلك القاعدة السيكولوجية التي نسلم بها جميعا، هي أن التعرف يؤدي إلى التحّرك،وهذه القاعدة تنطبق أيضا على الثقافة والحضارة فنحن نعرف الأشياء ثم نتأثّر بهذا التعرّف فنتحرّك به إلى عمل ما وهذا العمل قد يكون اختراع آلة أوإكتشاف

1- مالك بن نبي :مشكلة الثقافة:ص 111/97/88..

أو إيجاد نظام وهذه هي الحضارة **1** ويمكن أن نقول إنّ الحضارة الصناعية التى تتمثل فى المصانع الكبري للنسيج أو لمركبات النقل أو للبواخر أو الطائرات هذه المصانع إنما هي الثقافة الرياضيّة والفيزيائية.ولا يمكن لأمّة أن تعيش في حضارة صناعية مالم تكن هناك ثقافة علمية.وإن أهملت هذه الثقافة العلمية فانها سرعان ما تعود إلى الحضارة الزراعية التي تنتكس اليها كل أمة حين تتقهقر ثقافتها ومن هنا لا بدّ من ضرورة الانقلاب الثقافي لايجاد انقلاب في الحضارة. وهذا هو ما فعلته الصين واليابان وتركيا وإيران.لأنّ كل حضارة تحتاج إلى ثقافة تنشئها ثم تفسرها 2

بالدين:

إذا كانت الحضارة لدي العديد من المفكرّين مظهرالتقدم الأدبي والفنّي والعلمي ،فإنّها عند مالك بن نبي تعني سائر الشروط والعوامل الاخلاقية والمادية التي تسمح لمجتمع ما بأن يتكفل بجميع أفراده ماديّا ومعنويا في جميع أطوارالحياة، فهي ظاهرة إنسانية مركبة من عدة عوامل مرتبطة بالفرد وبتفكيره وبحياته وسائر ظروفه وما يطرأ عليه من تغيرات، كما تتصل بالمجتمع وبأوضاعه وبمكوناته وبما يجري عليه من تحولات، والدين عبارة عن مجموعة من التعاليم والتوجيهات والمعتقدات يقر بها الإنسان وتنظّم سلوكاته وتحدد نمط حياته. وتظهر أهمية الفكرة الدينية في حياة الأفراد والمجتمعات في علاقته بحركة التاريخ وقيام المجتمعات وبناء الحضارات وهو الامر الذي جعل "بن نبي"لا يسقط الفكرة الدينية من جميع مناقشاته وكتاباته، حيث إعتبرها أساس بناء الحضارة وأساس تحريك عجلة التاريخ وأساس تشييد صرح المجتمع المتحضّر،وإذا كان الدين في نظر البعض عامل التخلف والجهل فعنده عامل تركيب وتأليف بين عوامل وشروط ولوازم البناء الحضاري.وإذا كان التحضر مرهون بالتحدي عند "ارلوند تومبي" و بالجدلية التاريخية عند هيجل فإنه عند مالك بن نبي مرهون بالفكرة الدينية لأنها وراء البناء الإجتماعي سواء عند المجتمع الإسلامي أوالمجتمع المسيحي ولذلك فإننا نستطيع أن نقول أونقرّر أنّ الفكرة التي غرست بذرتها في حقل التاريخ هي الفكرة الدينية 3

.

1-سلامة موسي:ماهي النهضة؟ ،سلسلة موفم للنشر 1990 النشر الثاني ص 131.
2-مالك بن نبي : شروط النهضة : /132/133
3 مالك بن نبي : ميلاد مجتمع:ص 52.

إنّ حركة التطورالإجتماعي مصدرها عوامل دينية واجتماعية تتمثل في العلاقات الاجتماعية، حيث تصبح تلك العلاقات بمثابة عوامل وقوانين تحرك التاريخ وتصنع التقدم والازدهار، فالعلاقة الروحية بين الله والانسان هي التي تلد العلاقة الاجتماعية، وهذه بدورها تربط ما بين الإنسان وأخيه الإنسان.فعلى هذا يمكننا أن ننظر إلى العلاقة الإجتماعية والعلاقة الدينية معا من الوجه التاريخي على أنها حدث،ومن الوجهة الكونية على أنها عنوان لحركة التطور الإجتماعي1

كما تتفق العلاقة الإجتماعية مع العلاقة الدينية،وهما ظاهرتان إنسانيتان إجتماعيتان، ومن الناحية الميتافيزقية يمثل الدين العلاقة الروحيةالتي تربط بين أفراد المجتمع وهو شرط وجود العلاقة الاجتماعية في حركة التطور الاجتماعي،فالعلاقة الاجتماعية التي تربط الفرد بالمجتمع هي في الواقع ظل العلاقة الروحية في المجال الزمني.فعندما تقوي العلاقة الدينية تقوّى شبكة العلاقات الاجتماعية، ويضيق مجال الفراغ الاجتماعي عندما تضعف العلاقة الدينية وتضعف معها العلاقة الإجتماعية وتتفكك شبكة العلاقات الاجتماعية ويتسع مجال الفراغ الاجتماعي فقوة أي مجتمع بقوة علاقاته الاجتماعية وتماسك أفراده فالنبي (ص) يقول : **المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه البعض"**.واذا كانت الفكرة الدينية تبني شبكة العلاقات الاجتماعية وتصنع حركة التطورالتطور داخل المجتمعات فإن الحضارة تمثل هذا التطور الذي هو من فعل الفكرة الدينية لذا حرص مالك بن نبي على توضيح أثر ودور الفكرة الدينية في تركيب الحضارة وكيف تنظم سلوكاته وتهذب غرائزه 2 وكيف يصنع الدّين الانسان لينهض بدوره في بناء الحضارة وكيف تسطيع الفكرة الدينية أن تقدّم التفسير العقلي لدور الديانة في تحريك التاريخ وتوجيهه.حيث لم يكتف مالك بن نبي في إبراز أثر الفكرة الدينية في تكوين الحضارة على معطيات التاريخ، وإنما لجأ الى لغة التحليل النفسي بإعتباره أن الحضارة تمثل الصورة الزمنية للافعال وردود للافعال المتبادلة التي تتولد بين الفرد والفكرة الدينية 3 حيث أن الفرد قبل إنطلاقه في البناء الإجتماعي والحضاري فهو فرد طبيعي فطري غريزي ثم تقوم

1-نفس المصدر السابق ص 53
2-مالك بن نبي : شروط النهضة ص 33
3-نفس المصدر السابق : ص 100.

الفكرة الدينّية بضبط وإخضاع غرائزه -ليس بإزالتها بل بتنظيمها - وفق نظام يضمن إنسجامها مع معطيات الفكرة الدينية فيصبح الإنسان خاضعا لقوانين يفرضها الدين، فتسيطر على فكر الفرد وتأملاته وسلوكه مطالب وحاجات روحية فيحصل الارتقاء من مسوي البهيمة إلى مستوي الروح في سلم التغيير والتطور وكان هذا التحول في حياة الفرد من صنع الدين ويستشهد مالك بن نبي فى إبراز أثر الدين في تكوين الحضارة الإسلامية، معتمدا على معطيات التحليل النفسي الفردي والاجتماعي، فتحرر الفرد من غرائزه بفعل الفكرة الدينية في بداية انطلاق البناء الحضارى حالة يمثلها **"الصحابي الجليل بلال بن رابحٍ"** حينما قال "أحد،أحد"وهو تحت أشد أنواع التعذيب وهي صيحة الروح متحدية قانون الطبيعة وغريزة الإستسلام

إنّ جميع الإعتبارات السابقة حسب "مالك بن نبي"تبين لنا الدور الذي يلعبه الفرد في القيام بوظيفتة وأداء رسالته الحضارية المستوحاة من الفكرة الدينية، كما تحل الفكرة الدينية مشكلة إستمرار الحضارة لأنّ دوام الحضارة وإستمرارها مرهون بوجود الفكرة الدينية،لأنه إذا كان كل ناتج حضاري عند مالك بن نبي يتألف من تركيب بين العناصر الثلاثة وهي الانسان،والتراب والوقت،فإن الفكرة الدينية لها دورها في ظهور نواتج الحضارة وفي تكوين الحضارات والدليل على ذالك فقد ركز في دراسته لتكوين الحضارة في بدايتها الاولى على دورتين هما: الدورة المسيحية والدورة الاسلامية حيث أن السر الذي كان وراء ظهور الحضارة الاسلامية وركب بين عناصرها الثلاثة، هو الدين الاسلامي،فدورة الحضارة الإسلامية بدأت بنزول القرأن وشهدت بعد ذلك أوج تطورها وإزدهارها حيث السيادة فيها للروح وللمثل العليا لا للشهوات والغرائز،،كما شهدت حياة فكرية واسعة ،فكانت روح الانسان المؤمن بالاسلام هي العامل الحاسم في البناء الحضاري إلى غاية أن جاءت واقعة صفين عام 37هجري فتحولت حياة المسلمين الى حياة يسودها الترف والزينة وحب الزعامة وأخذت شمس الحضارة الإسلامية تغيب شيئا فشيئا.انه نفس السر الذي كان وراء ميلاد الحضارة المسيحية التي تختلف في طبيعة ميلادها عن ميلاد الحضارة الاسلامية لان المسيحية وجدت نفسها في وسط فيه تعدد الديانات والثقافات لم يسمح لها بالتوغل في النفوس وتؤثر فيها تأثيرا فعليا إلا بعدما حلت بمحيط الجرمانين في شمال أوروبا فمعهم ظهرت روح خلقية سامية في العالم المسيحي ثم بدأت النهضة وخرجت من مرحلة الرفعة الروحية الى حالة التطور العقلي وأخيرا مرحلة الفناء التي اشار اليها شبنجلر مما يبين أن الأمم المتقدمة هي الاخري مهددة في حضارتها بالفناء

إنّ ما نستخلصه مع المفكر العظيم مالك بن نبي فيما يخص الدين والحضارة هو أن الدين يمثل العامل الاساسي القادر على تشكيل الظواهر والعلاقات الاجتماعية والقيم الاجتماعية، والفكرة الدينية هي مركب القيم الاجتماعية، وهذا التشكيل يجعل من الإنسان العضوي وحدة اجتماعية،ويجعل من الوقت وقتا إجتماعيا مقدرا بساعات عمل"ومن التراب مجالا لسد حاجيات الحياة الاجتماعية المتنوعة تبعا لظروف عملية الانتاج فالسبيل الى الحضارة موجود والأداة متوفرة ما دامت الفكرة الدينية موجودة تتالف من الانسان، التراب، والوقت 1

7- غاية ورسالة الحضارة عند مالك بن نبي: ا

ترتبط رسالة الحضارة بالإنسان وبحياته ، كما تتصل بتاريخه وبثقافته، لأنّ الحضارة تمثل دورة تاريخية يصنعها الفرد ويعيشها داخل المجتمع، ولعلّ. ما يدفع بني البشر على التعاون والاجتماع فيما بينهم هو عجز الفرد الواحد عن أداء جميع الوظائف والحصول على كافة الحاجات، فحاجة الناس إلى بعضهم البعض ضرورة تفرضها طبيعتهم ورغبتهم التي فطروا عليها في العيش معا، وبالاجتماع يتم التفاهم والتعاون وفق قيّم وعلاقات اجتماعية وفردية تشكل المجتمع وتبني الحضارة، هذه الحضارة ترتبط بالمجتمع وتعكس تطوره وإنسانيته، وأي إجتماع بشري خالي من الحضارة حتى ولو شهد شيئا من التطور في حياته فهو اجتماع ذو طابع بدائي، يسوده قانون الغاب، وهو أمر لا يتناسب مع ضمان إنسانية الإنسان، فالحضارة تلازم المجتمع وتضمن تلك الإنسانية في أبعد صورها وأشكالها، فالحد الفاصل عند "مالك بن نبي" بين الإنسان المتحضّر والإنسان اللاّمتحضّر، أي البدائي الهمجي هو هذه الحضارة، حيث أنها تفصل بين الحياة البدائية الهمجية المتوحشة الخالية من الأمن والاستقرار، والحياة الإنسانية المدنية التي يسودها الأمن والتطور والإزدهار في مختلف المجالات.فالمجتمع المتحضر يضمن لأفراده بقائهم ويوفر لهم جوّ الحرية ويحميهم من مخلّفات الانحدار في مختلف ميادين الحياة الفكرية والاقتصادية2 فمن دون الحضارة لا يصير الإنسان محصنا في حياته ومصيره، ، ويصبح مهدد في شخصيته الفردية والوطنية والدينية، فالإنسان الذي لا يكون مجتمعه مجتمع حضارة فهو معرّض للحرمان من الضمان الاجتماعي،وفي هذا المعني يقول :

1-نفس المصدر السابق ص 107/74.
2-مالك بن نبي:تأملات ص 16

فأنا حينما أحاول تحديد مجتمع أفضل فكأنني أحاول تحديد أسلوب حضارة، إذ أنني حينما أحقق الحضارة، أحقق جميع شروط الحياة، والأسباب التي تأتي بمتوسط الدخل المرتفع، بمعنى أنني أحقق الخريطة الاقتصادية ونتائجها الاجتماعية والثقافية أيضا". فالحضارة الإسلامية مثلا فقد أقامت بدخول الروح القرآنية فألّفت بين عناصر التحضر، وانتقل على إثرها الإنسان العربي من حياة البادية القائمة على الترحال والبساطة إلى دولة إسلامية قوية جدا بعدتها وعددها عسكريا واقتصاديا وفكريا، قائدها سيد الخلق "محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وبهذا المثال تتجلّى الرسالة الروحية للحضارة، فالحضارة تقوم حينما يدخل الإنسان التاريخ بفكرة دينية تحدد المبدأ والمسار والمصير، وهي رسالة أرادها "مالك بن نبي" أن تكون لدى الإنسان المسلم كما يلي: "إذا أراد المسلم أن يسد هذا الفراغ في النفوس المتعطشة، النفوس المنتظرة لمبررات جديدة فيجب أولا أن يرفع مستواه إلى مستوى الحضارة أو أعلى منها كي يرفع الحضارة بذلك إلى قداسة الوجود، ولا قداسة لهذا الوجود إلا بوجود الله، والمسلم إذا أتى بهذا لا بلسانه ولا بشطحاته الصوفية وإنّما كإنسان معاصر

تتضح مما سبق رسالة الحضارة في أبعادها المختلفة، فهي بالنسبة للإنسان ترفعه فوق المخلوقات الأخرى وتضمن له إنسانيته وتميزه عن التوحش والهمجية، وهي بالنسبة للفرد توفر له كل ما يحتاج إليه في كل طور من أطوار حياته، أما بالنسبة للمجتمع فهي تخرجه من دائرة التجمعات الإنسانية وتدخله في التاريخ لتبنيه وتصنع تطوره بما يحقق التوازن بين الجانب المادي والجانب الروحي في حياة الإنسان، ويحصل التوازن والانسجام بين الجانب الدنيوي والجانب الأخروي في إطار مسار يربط بين المبدأ والوسيلة والغاية في تكامل تام.2

1-مالك بن نبي :تأملات ص -162

2- مالك بن نبي: دور المسلم في الثلث الأخير من القرن 20، ص39-40

الفصل الثاني:

التجديد الحضاري عند مالك بن نبي

مقدمة

يمثل التجديد في الفكر الإسلامي سمة بارزة لرسالة الإسلام لأنّه لكي يتحقق له الخلود لا بد له أن يتجدد عطاؤه الحضاري في كل عصر ونعني بالتجديد عند مفكري الاسلام انه إعادة الأفكارإلى جذورها وذلك بإزالة الشوائب التي عكرت صفوها وهو ما ينطبق على أهم تيارات التجديد في الفكر الاسلامي التي عملت على تطهير الإسلام مما لحق به من شوائب. وقد بدأت بوادر هذا الاتجاه مع بداية القرن التاسع عشر، الذي يعد عصر التقدم العلمي والتقني في الغرب،وعصر التخلف والانحطاط والفساد والاستعمار في الشرق.وأمام هذا الوضع المتأزم برز سؤال في غاية الأهمية وهو **:ما هو سر تقدم الغرب بالرغم من كفرهم، وبالمقابل تأخر العرب والمسلمين؟ وهل من وسيلة ناجعة يمكن للمسلمين عن طريقها أن يصبحوا جزء من العالم المتحضّر مع الحفاظ على تراثهم ومبادئهم؟.**

وقد إنتهي علماء هذا التيار إلى الإتفاق على أن تقهقر العرب والمسلمين يعود إلى أنهم هجرو تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة فأندهشوا بالحضارة الغربية فأرتمو في أحضانها.وهكذا أصبحت مشكلة العرب والمسلمين في القرن التاسع عشر والتي شكلت قضية التجديد الأساسية هي رد الإعتبار للدين وللتراث،حتي تعود للمسلمين حريتهم و إسترجاع مجدهم الضائع**1**

وقد إتسم الفكر الاسلامي المعاصر بشكل عام بسمة العداء الشديد للإستعمار والدعوة إلى محاربته بكل السبل المتاحة فالخطاب السياسي المعادي للإستعمار له حضور بارز ضمن نسيج هذا الفكر حيث برزت نخبة من العلماء والمفكرين المسلمين المعاصرين الذين شعروا منذ البداية جدية التحديات الآتية من الغرب ونموذجه الحضاري الخطير، وانكبّوا على معايشتها وإدراكها من أجل إستيعابها لبلورة موقف واع وبناء،ويأتي في طليعة هؤلاء محمد إقبال ومالك بن نبي وروجي غارودي وعبد الوهاب الميسري

1- منير شفيق،الفكر الاسلامي المعاصر والتحديات،دار القلم،الكويت، ط2،1993،ص 36/35

بوادر التجديد الحضاري في الفكر الاسلامي

لقد ظهر في الفكر الإسلامي المعاصر خطاب جديد وتيار شامل سجل حضوره المميز على الساحة الفكرية المعاصرة، لانه لم يقتصرعلى معالجة قضايا فقهية أو دعوة سياسية لمقاومة الاستعمار والتبعية، بل هو خطاب تجديد ينطلق من إعتبار الاسلام مشروعا حضاريا متكاملا لا يخص بيئة مكانية ولا ظرفا زمانيا ولا جنسا معيننا، وإنما تميز هذا الخطاب في تبنيه لأدبيات الدين الأساسية وهذا ما يجعلنا نصطلح على تسميته ب: تيار التجديد الحضاري وقد ظهر هذا اللّون من التجديد إبان تردّي الحضارة الإسلامية والتي عاصرت ظهور ابن خلدون الذي أرجع سقوط الحضارة الإسلامية إلى انتشار البدع في الدين وما صاحبه من جمود في الفقه وشلل عقلي وتمزق سياسى مما مهد للاستعمار.ولذلك فإن دعوة ابن خلدون التجديدية قدمت علاجا مناسبا لازمة أمته حيث بين أن الدولة العظيمة أصلها الدين لأن الدعوة الدينية تزيد للدولة أصالة وقوة على قوة والدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم **1**

وقد أدرج أغلب الباحثين على اعتبار مالك بن نبي بمثابة إبن خلدون العصر الحديث،وأعظم وأبرز مفكر أولى عناية فائقة للفكر الحضاري الإسلامي منذ ابن خلدون، فهو من أرسى قواعد مدرسة التجديد الحضاري في الفكر الإسلامي المعاصر حيث إنفرد عن أقرانه من المصلحين بأنه درس مشكلات الأمة الإسلامية إنطلاقا من رؤية حضارية شاملة ومتكاملة وقد أظهر تيار التجديد الحضاري عند مالك بن نبي مهارة فائقة في تشخيص النفسية الأوروبية وإكتشاف عيوبها حيث رأى أن هناك نزعة عدوانية تجري في عروق الحضارة الغربية تجاه الآخرين وأن كتابه (شاهد القرن) خير شاهد على هذه الحضارة بكل إيجابيتها وسلبياتها وهنا يدق بن نبي ناقوس خطر الحضارة الغربية على العالم ،لأن المادة في قبضتها تتصرف فيها كما تشاء**2** لكن في الوقت نفسه لا يمكن أن نغض النظر عما تمتاز به الحضارة الغربية من نزعة علمية حيث دعا مالك بن نبي شعوب المجتمعات الإسلامية إلى الاستفادة من التقنية الغربية والأخذ بالجانب الجمالي الذي تمتاز به هذه الحضارة لأنّ العالم الإسلامي لا يمكنه أن يعيش في عزلة وانطواء، فليس الهدف أن يقطع علاقته بحضارة تمثل وتشكل إحدى التجارب الإنسانية الكبرى

1-عبد الرحمن ابن خلدون المقدمة : ص 143/145/146/147./148 .
2-د سعيد جودت:مذهب إبن أدم الأول:دار الفكر المعاصر بيروت لبنان،ط 5 سنة 1993.ص 15.

بل المهم أن ينظم هذه العلاقات معها. **1** وهي نفس الفكرة التي أشار إليها من قبل المفكّر محمد إقبال حيث كشف عن المدي الذي تستطيع به النتائج التي وصلت إليها أوروبا أن تساعدنا في إعادة النظر في التفكير الديني في الاسلام،لذلك ينطلق أقطاب هذا الإتجاه من نقد الحضارة الغربية ليفتحوا المجال لإرساء فكر إسلامي خالص.فمع هيمنة المفاهيم الغربية لا يمكن اكتشاف أصالة الفكرالإسلامي، لذا نجد مشروع الفيلسوف إقبال يتمثل في فهم الحضارة الغربية باعتبارها المهيمنة ثم إزاحتها لفسح المجال أمام انبعاث الفكر الإسلامي الأصيل،حيث استشهد محمد إقبال **2** بموقف علماء المسلمين الذّين تصدوا للفلسفة الإغريقية، فمن أمثال هؤلاء نجد ابن تيمية والغزالي حيث رفضوا منطق أرسطو **aristot** لأنهم كانواعلى دراية بالفلسفة المهيمنة في ذلك العصر ومن خلال تقييمها خلفوا بديلا إسلاميا .وفي هذا المعني نجد محمد اقبال يقول**"إن الفلسفة اليونانية كانت قوة عظيمة في تاريخ الاسلام،ولكن التمحيص في مقالات المتكلمين على إختلاف مدارسهم التي نشأت ملهمة بالفكر اليوناني،يكشفان عن حقيقة بارزة هي أن الفلسفة اليونانية غشت على أبصارهم فهم القرأن الكريم"**

وفي هذا الإتجاه يلوح في الأفق مشروع ضخم يتجسّد في بروز مدرسة التجديد الحضاري المعاصر منذ محمد إقبال التي عملت على تكوين وتشكيل رؤية شاملة في عرضها لأزمة المسلم بإعتبارها أزمة إنسانية عامة في جوهرها،وممّا يثير العجب- كما يذكر إقبال-أن وحدة الشعور الإنساني التي هي مركز الشخصية الإنسانية الإسلامية لم تكن أبدا موضع إهتمام جدي في تاريخ الفكر الإسلامي،بل أن فلاسفة الإسلام إستلهموا أراءهم فيها من الفكر اليوناني**3**

1-مالك بن نبي: مشكلة الافكار في العالم الاسلامي :ص 102.

2- محمد إقبال، فيلسوف وشاعر صوفي، هنديّ مسلم ولد بالبنجاب شمال الهند سنة .1873درس بلاهور ثمّ سافر إلى أوروبا سنة 1905 فدرس الفلسفة والحقوق بجامعة كامبردج بأنقلترا، تحصل على دكتوراه في الفلسفة من مونيخ بألمانيا .عاد إلى لاهور سنة 1908 حيث درّس الفلسفة واشتغل بالمحاماة وشارك في النشاط السياسي إلى أن توفي سنة 1938.

3 -محمد اقبال :تجديد التفكير الديني في الاسلام: تعريب عباس محمود . سلسلة معالم الحداثة، دار الجنوب للنشر بيروت 1996 ص 147 و109.

وقد اتخذ محمد إقبال من القرأن الكريم مرجعا أساسيا ليؤكد أن للإنسان مكانة مرموقة تميزه عن باقي المخلوقات، حيث أنّ الإنسان بالرغم من أخطائه إلا أنه أريد أن يكون خليفة الله في أرضه والدليل على ذلك قوله تعالى**" وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ "1**.لذلك نجده ينتقد حركة الإصلاح الديني بالخصوص جمال الدين الأفغاني بقوله أن نشاطه المكثف لو إقتصرعمله كله على الإسلام بوصفه نظاما لعقيدة الإنسان وخلقه ومسلكه في الحياة لكان العالم الإسلامي أقوي مما هو عليه اليوم **2** وتبعا لما أولاه الإسلام من تكريم للإنسان وحديث القرآن عن سجود الملائكة لأدم، وإستنادا إلى ذلك دعا فيما بعد المفكر مالك بن نبي إلى بناء ثقافة إنسانية مستلهمة ذلك من مبادئ الإسلام السمحة وقد نلمس جانب التجديد لدي مالك بن نبي في كيفية تحليله لأزمة المجتمع الإسلامي الحضارية حيث أرسي دعائم علم جديد فى فلسفة التاريخ وعلم النفس المجتمعات يتحدث فيها عن ظاهرة تخلف الضمير وعدم مواكبته لتقدم العلم ،وقد قال عنه الدكتور جودت سعيد **"وكان بذلك أول باحث حاول أن يحدد أبعاد المشكلة على أساس علم النفس وعلم الاجتماع وسنة التاريخ"**

وقد اعتبر مالك بن نبي أنّ الخروج من الأزمة ليس بالأمر الصعب ولا هي حالة مستعصية الحل، فقط فإننا في أمس الحاجة إلى مفكرين أصحاب النظرات الثاقبة والعميقة الذين يستطيعون أن ينضروا الى المشكلة في إطارها العام والشامل ويحددوا بدقة منبعها الاصلى.وان يكشفوا أصل الداء ويشخصوا أغراضه ويحذروا من مخاطره على المدى القريب والبعيد، وقد نفهم من هنا أن البديل الإسلامي الذي تتطلع إليه مدرسة التجديد الحضاري لدى مالك بن نبي و مفكري الاسلام المعاصرين ليس مجرد شعارات خالية من أيّ مضمون وإنما عبارة عن دراسات عميقة ودقيقة. وينبغي التأكيد إذن على أن التجديد الحضاري في الفكر الإسلامي المعاصر يتولى مسؤولية في غاية الاهمية يتمثل في انتشال الامة من وضعها المتأزم الى الشهود الحضاري .غير أن هذا التجديد الحضاري في الفكر الإسلامي المعاصر ليس من شأنه أن يلغي جهود حركات النهضة في العالم الإسلامي وتبقي عملية التجديد الحضاري إنتصارا لقضية الإسلام مصداقا لما ورد فيه حيث من إجتهد وأصاب فله أجران، ومن إجتهد واخطأ فله أجر واحد **3**

1-سورة البقرة الآية 30
2-نفس المرجع السابق ص 112
3-مالك بن نبي:شروط النهضة 69/68.

إن الشيء الذي نلاحظه لدى هؤلاء المجددين –بالّرغم من إختلاف الفترة الزمنية التي عاشوا فيها- هو إرتباطهم الوثيق بالتراث الإسلامي ودعوتهم إلى إحيائه وتجديده حيث نجد هذه الفكرة كذلك لدي المفكر المعاصر "حسن حنفي" الذي تميز مشروعه الحضاري التجديدي بمجموعة من الخصائص، وقد إرتبطت هذه الخصائص بالظروف الفكرية والثقافية التي تبلورت فيها ملامح مشروعه ومعالم فلسفته. وهي ظروف ارتبطت بماضي الأمة فهي أمة تراثية تاريخية، كما إرتبطت بثقافة غربية أوربية اطّلع عليها المفكر واستفاد منها في دراساته وأبحاثه كما إرتبطت بواقع أمته المعاصر وتحدياته ومشكلاته ومتطلباته، فجاءت فلسفته وجاء مشروعه يحمل خصائص أملتها ظروف المرحلة التاريخية المعاصرة الفكرية والثقافية والإجتماعية والسياسية، وأفرزتها ثقافة المفكر الواسعة والمتنوعة حول التراث ومن بين هذه الخصائص التي يمتاز بها مشروع التجديد الحضاري عنده نجد:

-التراثية : إعتمد صاحب مشروع 'التراث والتجديد" على إحياء التراث، وكانت رسالته الأولى تحمل بوادر ومحاولة قراءة أصول الفقه وإعادة بنائه وفق ما يقتضيه العصر ، بأدوات ومنهجية معاصرة فلا سبيل في نضره إلى التخلص من الأزمة التي يعيشها العالم العربي والإسلامي في غياب قراءة التراث وإعادة بنائه ، لأن شعوب العالم العربي المعاصر تعيش على التراث وهو مخزون نفسي يؤثر فيهم شعوريا ولا شعوريا، وأيّة محاولة لتجاوز الأزمة خارج التراث ومن دونه هي ضرب من الوهم ونهايتها الفشل، والأمر يختلف عما حدث في الغرب الأوربي، حيث قامت النهضة الأوربية الحديثة بعدما تعرضت كل جوانب التراث للنقد والهدم، لأن الموروث التاريخي الغربي آنذاك ارتبط بجوانب مظلمة فكرياً وسياسياً واجتماعياً و دينياً.أما التراث عندنا فيمثل جوانب مشرقة في الثقافة العربية الإسلامية وهو صورة ومادة الحضارة الإسلامية الزاهية التي بلغت قوة أوجها وعزّتها

- التجديدية: ' يمثل التجديد الأداة التي بدونها لا تحصل عملية التغييرسواء من الناحية الفكرية أو الإجتماعية أو الحضارية وحتي التاريخية.لأن الأزمة أزمة تغيير الأوضاع الإجتماعية وقبلها فكرية وثقافية، وأزمة بحث علمي ومشكلة التغييرتبدأ من تغيير الذهنيات وتغيير العادات والتقاليد وتغيير مناهج البحث والدراسة فالمشكلة هي مشكلة تجديد لأنه لا سبيل لحل أزمة التغيير الاجتماعي وأزمة المناهج في الدراسات الإسلامية إلا بواسطة التجديد، تجديد اللغة ومنطقها، وتجديد مستويات التحليل وتجديد البيئة الثقافية، ويعود سبب فشل

المحاولات المتكررة لحل مشكلة التراث والتجديد إلى إرتباط تلك المحاولات بحلول مستوردة لأزمة خاصة لها ظروفها وأوضاعها تختلف عن الأوضاع والظروف التي وجدت فيها تلك الحلول، أو الاكتفاء بحلول ذاتية موروثة من القديم حيث لم تعد تلك الحلول تناسب مشكلات العصر الذي تختلف ظروفه عن الظروف التي نشأ فيها التراث. فالحاجة ملحّة إلى التجديد وهو مشروع "التراث والتجديد لانه هو القادر على إفادة الواقع بنظريته في التفسير ، فالتراث هو نظرية الواقع، والتجديد هو إعادة فهم التراث حتى يمكن رؤية الواقع ومكوناته والتراث والتجديد عند "حسن حنفي' "يؤسسان معاً علماً جديداً وهو وصف للحاضر وكأنه ماض يتحرك، ووصف للماضي على أنه حاضر

1- حسن حنفي: التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2002، ط5، ، ص181.

1- التجديد الحضاري عند مالك بن نبي:

تمهيد:

نتناول في هذا المحور صلة التجديد بالحضارة بشكل عام ثم ننتقل إلى تحديد معنى التجديد الحضاري عند "مالك بن نبي" فهل هو البناء الحضاري أم تغيرات تجري داخل الحضارة ذاتها ؟ فإن كان التجديد الحضاري يعني البناء الحضاري، فما هي عناصر ومواد هذا البناء ؟، وإذا كان التجديد الحضاري تغيرات تطرأ على الحضارة فما هي عوامل ومظاهر هذه التغيرات وما هي نتائجها؟، أهي الاستمرار والدوام والقوة أم هي الإنهيار والأفول؟. لكن قبل الاجابة عن هذه الأسئلة علينا أن نضبط بعض المفاهيم الأساسية والتى بواستطها نصل إلى إيجاد حل لمختلف إشكاليتنا

ضبط المصطلحات:

التجديد في أصله اللُّغوي: مأخوذ من جدَّد الشيءَ، وتجدَّد الشيءُ، إذا صيَّره جديداً أو صار جديداً. ومن معاني التجديد في أصل اللُّغة: التعظيم والإجلال، ومنه قوله تعالى: **وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا** (1)، أي عظمته وجلاله وغناه

التجديد بمعنى الإصطلاحي يظهر أكثر بتعريف أبي الأعلى المودودي ـ رحمه الله **إذ يرى أنَّ** المجدِّد هو: "كل من أحيا معالم الدِّين بعد طمسها، وجدَّد حبله بعد انتقاضه..(2).أما التجديد عند "أندريه لالاند" هو إنتاج شيء جديد، "nouveau" de chose quelque production : Innovation3

فالتجديد يكون حيث يكون الجديد، وعكسه الجمود والخمول والثبات فهو يمثل فاعلية إنسانية مصدرها الفرد والمجتمع يرتبط بالإنسان وبما يملكه من قدرات وطاقات لأنه متصل بالجانب النّفسي والذّهني عنده (الإنسان) كما يتصل بحياته الاجتماعية وسائر مكوناتها، فالتجديد يتصل بالحضارة ،لأنه إذا كانت الحضارة هي نتاج تفاعل النشاط الإنساني مع سائر القوانين أو السنن الكونية في الفرد والمجتمع والطبيعة لأجل تطوير حياة الإنسان المعرفية والروحية والمادية في حياته الواقعية، فالتجديد الحضاري شرط ضروري لعملية البناء الحضاري وسابق عليها.

1-سورة الجن، الآية (3)

2-أبو الأعلى المودودي: موجز تاريخ تجديد الدِّين، ترجمه إلى العربية محمد كاظم سباق، دار الفكر، ط/3، 1387هـ - 1968م.ص 361

3/أندريه لالند:موسوعة لالاند الفلسفية:المجلد الثاني،تعريب أحمد خليل أحمد،منشورات عويدات،بيروت باريس، ص 710

فالحضارة هي كذلك تجديد ولا حضارة في غياب التجديد فالتجديد الحضاري، يمثل كما رأينا شرطا ضروريا لوجود الحضارة فالتجديد هو عملية تغيير يجريها الإنسان على الأشياء فينشئ بها الجديد وينتجه، أو يبدّل شيئا ما من حالة إلى أخرى، فيصبح التغيير ضروري للتجديد، يحدثه ويشرف عليه ويظهر من خلاله **1** كما يرتبط مفهوم التجديد بمفهوم التطورلأن معني التطور لدى الفلاسفة تعني النمو أو التبدل وبهذا فإن التطور يتضمن التجديد والتجديد يتضمن التطور ولا سبيل للفصل بينهما .كما يعتبرالابداع شرطا لعملية التجديد لأنه يمثل إنشاء شيء لم يكن موجودا2

.إنّ التجديد الحضاري يمثل فعالية بشرية وهو قدرة الإنسان على الإبداع بشقيه : الإختراع والإكتشاف، لأن إستقراء التاريخ يبين لنا أنّه لا يوجد تاريخ لحضارة ما بدون اختراع أو مخترعين وأي مجتمع يخلو من المبدعين في الجانب الفكري والجانب الإجتماعي والمادي فهو مجتمع يخلو من الحضارة وليس فيه تجديد حضاري، وأيّ مجتمع فيه إبداع وتحضّر فيه التغيّر والتطوّر والتقدّم والتحوّل وهي مفاهيم ترادف مفهوم التجديد الحضاري وتعبر عنه وتدل عليه. إذا كان التجديد الحضاري مفهوما مركبا من أمرين هما التجديد والحضارة فالتجديد كما سبق وأن عرفناه هو إنتاج الأشياء الجديدة المعنوية والمادية، وبهذا فهو تطوير للأفكار وللعمل ولوسائل العمل، ويدخل هذا التجديد في إطار إستراتيجية البناء الحضاري الذي تمثله الحضارة كظاهرة بشرية تاريخية اجتماعية للفرد ، وإذا كانت الحضارة هي انتقال الإنسان من حياة بسيطة بدائية إلى حياة مدنية مزدهرة تتوفر فيها شروط الحياة الإنسانية الراقية بما يكفل لكل فرد مطالبه وحاجاته في كل مرحلة من مراحل حياته، فإن التجديد الحضاري هو شرط ضروري سابق على كل حضارة، ومن جهة أخرى فإن التجديد في الحضارة بعد قيامها أمر واجب لضمان قوة الحضارة واستمرارها، فالعلاقة بين التجديد والحضارة هي علاقة العلة بالمعلول والشرط بالمشروط والنتيجة بالسبب، إذ أنه لا حضارة في غياب التجديد .والتجديد الحضاري عند مالك بن نبي يشكل جوهر البناء الحضاري ولبه لأنه عملية تنفيذ الخطة المحددة في استراتيجية البناء الحضاري3

لا شك أن تكوين الحضارة ونموها وقيامها لدى مجتمع ما وفي مرحلة تاريخية من مراحله يتطلب تغييرا في الأنفس والأفكار والأشياء وهذا لايأتي إلا بمجهودات تصدر عن إنسان يعيش التغير في

1-بسطاوي محمد السعيد:مفهوم تجديد الدين،دار الدعوة الكويت،ط1.سنة 1984 ص
2- إبن منظور الإفريقي: لسان العرب، الطبعة ،1 دار صادر للنشر بيروت 2005 ص 98/94.
3-عبد الله الزبير عبد الرحمان:مفهوم التجديد وتجديد الدين،مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية 2004.ص 108/94

نفسيته وذهنيته ويغير من أخلاقه وسلوكه كما يغير محيطه الاجتماعي والطبيعي، هذا التغيير في إستراتيجية البناء الحضاري والنهضة الحضارية هو ما يعرف بالتجديد الحضاري فتجديد المسلم لإيمانه باستمراره فى العبادة ومراجعة العقيدة والتمسك بتعاليم الكتاب والسنة والاقتداء بالصحابة والامتثال لأوامر ونواهي الشرع وحركة الإصلاح التي بادر بها عدد من المفكرين في العالم الإسلامي أمثال "جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده "و"عبد الحميد بن باديس" وغيره هي من التجديد الحضاري، والثورة الجزائرية هي من التجديد الحضاري، وكل فعل فيه جديد يستهدف الوصول إلى التحضر هو تجديد حضاري ضروري ومطلوب في كل عصر حيث أنّ كل نهضة وكل حضارة وكل صحوة حضارية تشترط التجديد الحضاري باعتباره تغييرا في الإنسان والمجتمع، هذا يحدث الحضارة ويصنعها كما يعمل على تنميتها وتطويرها، فهو شرط البناء الحضاري وشرط تطور الحضارة، فالحضارة الإسلامية قامت بعدما غيّر المسلم نفسه وعقليته ومحيط المجتمع الجاهلي، وزوده بالطاقة الروحية والرغبة في البناء فدفعته تلك الطاقة الروحية إلى الجهاد والإعمار وإلى العمل والبحث فتكونت العلوم والفنون والصنائع، وتطور الحضارة الإسلامية أساسه التغييرات والتجديدات التي أدخلها المسلمون على حياتهم بصورة تدريجية في المجالات الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية نتيجة لاحتكاكهم بثقافات وديانات الشعوب والأمم الأخرى. فالتجديد الحضاري لا يكون وراء تكوين حضارة فحسب بل يكون كذلك شرط تطورها، وما دام التجديد هو إنشاء شيء جديد في الجانب المادي أو المعنوي فإن تطور الحضارة يعني تجديد جانبها المادي والمعنوي باستمرار، فمن العين المجردة إلى المجهر الضوئي "الميكروسكوب" إلى المجهر الإلكتروني وهكذا مع تطور وسائل النقل والاتصال. ومن طريقة الإلقاء والحفظ في التعليم إلى طريقة التعليم بالحوار وبالأهداف إلى طريقة التعليم بالكفاءات. كل هذا يؤكد الدور الذي تلعبه ظاهرة التجديد الحضاري ليس في تكوين الحضارة فحسب بل في تنمية مجالاتها وتطوير منتجاتها ومنجزاتها. وتطور العلوم بفضل تطور مناهج ووسائل ونتائج البحوث العلمية في الحضارة المعاصرة يدل على عدم استغناء أي مجتمع يريد الحضارة عن عوامل ومبررات التجديد الحضاري [1]

1- موسي الاحرش،مالك بن نبي :حياته وإنتاجه الفكري،(مجلة مالك بن نبي،جامعة الأمير عبد القادر) قسنطينة الجزائر، جويلية 2006.ص 46

وقد شكلت أفكار مالك بن نبي و منهجه و خطته في الإصلاح و التجديد نظرية فلسفية جديدة، قائمة بذاتها، تحدد بدقة وبموضوعية أسباب التخلف و سبل القضاء عليه، و شروط الحضارة و أسباب انهيارها، و في نظره كل الحضارات و المدنيات التي شهدها تاريخ الإنسانية لا تخرج عن خط نظريته القائمة على اساس الفكرة الدينية **1**

و لقد ذكر فيلسوف الحضارة مالك بن نبي الفيلسوف الشاعر و المفكر المصلح محمد إقبال في كتابه "شروط النهضة "، وأشاد بمحاولته الفكرية الإصلاحية الفذة، التي خرجت عن المألوف، لما لها من دقة و عمق قي النظر و قوة في التشخيص.**2** مما يجعلنا نكتشف الارتباط القوي و الصلة المتينة بين نظرية الإصلاح عند محمد إقبال و بين نظرية الإصلاح عند مالك بن نبي ، تجعلنا نعتبر أن فلسفة إقبال تمثل المرجعية الفكرية، و الأرضية الفلسفية الميتافيزيقية، والإطار النظري لفكرة الإصلاح و التجديد عند مالك بن نبي،و التي بدورها تعتبر المحاولة الفكرية لفكرة و فلسفة إقبال في الإصلاح و التجديد لأن ما لاحضناه لدي فلسفة محمد إقبال ومالك بن نبي أنهما من أصول واحدة، وانتماء ديني و تاريخي واحد، و من طبيعة واحدة، وجدت من أجل تحقيق أهداف وغايات واحدة. فهما يمثلان معا فكرا فلسفيا، كانت الساحة الفكرية و الثقافية والاجتماعية في أمس الحاجة إليه، و كل من الفلسفتين تمثل نظرية ذات أصول وأبعاد فلسفية، علمية، فكرية، و دينية، و هي محاولة لم يعتبرها أصحابها خاصة بالعالم الإسلامي أو بالعالم المتخلف، لأنها لا تقتصر على زمن معين أو وطن بعينه أو شعب بمفرده بل هي نظرية عامة موجهة للإنسانية جمعاء ،مما جعل النظرتين ذات طابع عام وشامل ، لا تقتصران على فرد ما أو جماعة ما أو زمن ما.

1-جيلالي بوبكر:الاصلاح والتجديد الحضاري لدي محمد إقبال ومالك بن نبي (بين النظرة الصوفية والتفسير العلمي) دار الامل،تيزي وزو الجزائر،ط1. سنة 2011.ص 97/88.
. 2 مالك بن نبي:شروط النهضة ص 32

2-شروط التجديد الحضاري عند مالك بن نبي:

إن المشكلة الأساسية عند فكر مالك بن نبي -كما رأيناه- هي مشكلة الحضارة، وشروط حل هذه المشكلة والإلمام بشروط النهضة والتحضر هو الارتقاء بالفكر إلى درجة الوقائع الإنسانية ذات الطابع العالمي، ،ولا يمكن لشعب ما أن يفهم أو يحل مشكلته مالم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارة أو تهدمها **1** وأن حضارة **أي** شعب تمثل حلقة في سلسلة الحضارات تجسد جهود وأعمال الشعوب بإعتبارها أجيالا متعاقبة متصلة فيما بينها في سبيل الرقي والتقدم **فما هي شروط هذا الرقي وهذا التقدم؟** .

إن هذا السؤال يرتبط في أصله بالتجديد الحضاري،لأن أي تقدم أو رقي لأي شعب لا يقع خارج التجديد الحضاري حيث تتجاوز مهمتة (التجديد الحضاري) من إصلاح الأوضاع إلى تشخص الفساد وأسبابه وتحديد المبادئ والغايات والسبل والوسائل المناسبة والمتاحة لإزالة الفساد وتجاوزه ، ومن مهامه أيضا نجده يسعي الى إحياء القديم وبعثه وتكييفه مع المستجدات، فالتجديد الحضاري يمثل جوهر الحضارة ومحركها وجوهر التاريخ ومحركه لأنه ضروري لميلاد الحضارة وضروري لتطويرها عبر التاريخ ،وأن شروط هذه العملية (عملية التجديد) مرتبطة بشروط البناء الحضاري والتي حددها مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة وهي.

ـ **الشروط النفسية:** نسطتيع أن نتعرف على شروط التجديد الحضاري عند مالك بن نبي ،إنطلاقا من قول الله سبحانه وتعالى **: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا "1**

يتضح من الآية الكريمة أنّ الله خلق الإنسان وخصه وحده بالتكريم والتفضيل، فوهبه العقل والقدرة على الإبداع والتجديد، أي القدرة على بناء الحضارة والتحضر، حيث أن النهضة تحتاج في حياة أي أمة ، إلى شروط نفسية تكون في البداية ذات طابع ذاتي خاص ثم تتبلور وتشق طريقها داخل المجتمع فتصبح ذات طابع اجتماعي. وبعض الشروط التاريخية يفرضها الاجتماع البشري وشبه العلاقات الاجتماعية والحياة داخل المجتمع،فمثلا دعوة "الرسول ص" إلى الإسلام بدأت من بيته ثم انتشرت في جميع بقاع الكرة الأرضية، ودعوة "كارل ماركس" إلى الاشتراكية بدأت كفكرة نادى بها صاحبها ثم صارت عقيدة يؤمن بها أصحابها ويدعون إليها

1-سورة الاسراء الاية 70

ومن جهة أخرى نجد الحياة في المجتمع تقتضي النظام وأشكال أخرى من العلاقات والأنشطة مثل المعاهدات والاتفاقيات وتقسيم العمل والتعاون وغيره، وهذا يعني أن التجديد الحضاري في أي نهضة تاريخية يشترط جملة من العوامل الاجتماعية بعضها نابع من أفراد المجتمع وبعضها صادر عن المجتمع ذاته، وفي الحالتين معا الحضارة مشروطة بعوامل اجتماعية وتحقق غايات اجتماعية كما تلازم المجتمع بكافة معطياته. إنّ الشروط النفسية تكون وراء أي حضارة كما تلازمها وهي تنجز وتصنع منتجاتها، وتمثل هذه الشروط كذلك غايات وأهداف الحركة التاريخية لأن إستراتيجية التجديد والبناء الحضاريين تقوم على التخطيط وربط المبادئ والأفكار بالأهداف والغايات. هذه المبادئ والغايات نابعة من الفرد الطموح إلى الحضارة، كما يتمتع بالشروط الأولية التي تضعه في أعلى درجة وفي أعلى هرم مقارنة ببقية المخلوقات الأخرى من خلال امتلاكه لكافة عوامل وعناصر التحضر، فهو ينشئ الحضارة بالعقل والقدرة على الابداع وله القدرة في أن يتأثر ويؤثر في غيره من خلال استعماله لفكره ولغته التي هي وسيلة التواصل.ومن هنا يتجلى البعد الإنساني في الحضارة والتجديد الحضاري ، فالطبيعة البشرية وما تتوفر عليه من دوافع فيزيائية ونفسية وعقلية وأخلاقية واجتماعية هذه الدوافع تتحول إلى فاعليات قوية تخط طريقها نحو التجديد الحضاري، فتصبح الحضارة ظاهرة إنسانية تكرس رسالة الإنسان في هذا الوجود كما تميزه عن غيره من المخلوقات التي لم تشهد الحضارة إطلاقا، وهي من خلال عناصرها وشروطها ومنتجاتها تجسد القيّم الإنسانية حيث أن للفرد ذات زاخرة بالميول والرغبات والأهواء والعواطف،التي تبدأ بالطابع الفردي الخاص ثم تشق طريقها داخل المجتمع، وما رغبة الإنسان في تغيير حياته ونمط عيشه نحو الأحسن إلا ضرب من الرغبة التي تحرك الإرادة فتتحرك سائر القوى الذهنية والنفسية ومعها القوى العضوية فيحصل التجديد، حتى أن البعض يرى بأن العنصر الانفعالي هو المحرك الأساسى لعملية الابداع فالانسان في نظره يرغب في شق طريقه نحو النهضة والحضارة وهو ما يعرف عند مالك بن نبي (**بالعدة الدائمة) 1** حيث تتكون هذه الثروة الإنسانية من الإنسان والتراب والوقت لأن الحضارة تتجسد في ذلك الرجل الذي تحرك في التراب الذي يمده بقوته مستغلا الوقت اللازم للوصول إلى أهدافه.والعدة الدائمة تمثل ميراث الإنسان والتاريخ والمجتمعات وهي ليست حكرا على احد ولا هي من منجزات أو منتجات الحضارة، بل تتكون وتتركب منها ولهذا نجد الانسان لا يمكن

1-مالك بن نبي:شروط النهضة،ص 23.

له أن يفرط في العناصر الثلاثة التي تمثل رأسماله الأول لتحقيق وجوده الاجتماعي والمدني، وإن كان قادرا على الاستغناء عن منتجات الحضارة ومنجزاتها مؤقتا، فالشعوب التي شاركت وانهزمت في الحرب العالمية الثانية لم تقدرخسارتها بالذهب،بل بساعات العمل،أي بمقدار من الوقت و بمنتوجات التراب، تلك القيم الخالدة التي نجدها كلما وجب علينا العودة الى بساطة الاشياء،أي كلما تحرك رجل الفطرة وتحركت معه حضارة في التاريخ1 لأن الحضارة بسائر منجزاتها ومنتجاتها الفكرية والمادية ترجع في أصلها إلى**(العدة الدائمة)** وأي منتوج حضاري هو حصيلة تأ ليف بين العناصر الثلاثة ، فالمصباح الذي نستعمله في الإنارة هو منتوج حضاري أنجزته جملة من الافكار تطورت مع الزمن عند الإنسان الذي يمثل العنصر الأول الذي يدخل في إطار التدخل البشري الفكري واليدوي، إبتداء من أول إنسان فكر في المصباح وصنعه وصولا إلى **"توماس إديسون"** مخترع المصباح الكهربائي والتراب فهو العنصر الثاني، فيمثل المادة الأولية التي تقوم بمهمتي الوصل أو العزل أما الوقت فهو الذي تجري فيه عملية الانجاز و بناء الناتج الحضاري لأنه يمثل الزمن الذي تجري فيه الأحداث الإنسانية ويتحرك فيه المجتمع داخل التاريخ .وتتكون في مجاله الحضارة.2

-الفكرة الدينية: إنّ الفرد في حاجة إلى الجماعة، فهو في أمس الحاجة إلى النظام ليحقق وجوده وإستمراره،وهذا الاجتماع يظهر في صورة مجتمع يبقي في حاجة كبيرة إلى عقيدة موحدة لكي تنشئ العلاقات والقيم الأخلاقية، وتزرع في أفراد المجتمع الشعور المشترك بحاجة الأفراد إلى بعضهم البعض ،حيث تعتبر العقيدة الموحدة هي الدافع إلى النهوض بالمجتمع ، فيبدأ التاريخ وتنطلق الحضارة فالتاريخ يصنعه الإنسان والحضارة إنتاج إنساني في التاريخ وهذا الصنع وهذا الانتاج من فعل الانسان بدافع من الفكرة الدينية، فالعقيدة تغذي الروح،لأنّ الحضارة في طورها الأول تشترط عوامل روحية دينية تكون وراء كل تجديد حضاري،وهو ما نجده في الحضارة الإسلامية حيث بواسطة تعاليم القرآن وسنة الرسول(ص) بزغت شمس الحضارة وسطع نور النهضة في صحراء العرب بعدما تحكمت فيهم تقاليد وأحكام وأفعال

---

1 نفس المصدر السابق ص 90
2-مالك بن نبي:تاملات،ص 199/198

الجاهلية مثل وأد البنات،والزّنا، والعصبية.وبناء على هذا فإن الحضارة عند مالك بن نبي تصنعها الفكرة الدينية والمبدأ الأخلاقي من خلال التأليف والتوحيد بين عناصرها الثلاثة: الإنسان التراب والوقت،حيث تمثل الفكرة الدينية المركّب في كل تجديد حضاري أو نهضة حضارية، 1 .

- التغيير: يعتبر التغيير عند مالك بن نبي جوهر ولب عملية التجديد الحضاري وهو شرط لازم لكل تطور أو بناء أو إصلاح أو بعث حضاري ، فكما يكون التغيير شرط البناء الحضاري فقد يشرف على هدم هذا البناء وإزالته، ومالك بن نبي يضع التغيير كفاعلية إنسانية فردية واجتماعية وأممية وراء كل نهضة ، ومبدأ التغيير عنده يمثل قاعدة أساسية أكد عليها القران الكريم في قوله تعالى:" **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** **2** وقد تناول مالك بن نبي مبدأ التغيير كقاعدة عامة في كل حركة تاريخية حضارية فهو يلازم كل عملية من شأنها أن تجدد أو تطور أو تصنع التقدم والإبداع في مختلف مجالات حياة الإنسان الفكرية والاجتماعية والمادية، كما تناوله كمشكلة مطروحة أمام العالم الإسلامي الذي يعاني الجمود والركود والتخلف. وحل هذه المشكلة مرهون بتمسك المسلم بالقاعدة المقررة في الآية السابقة، كما أن عملية إنتاج الأفكار والقيم والأشياء بفعل التجديد الحضاري تكون بدافع الفكرة الدينية هذه العملية تتضمن تغييرا يحدث في روح الفرد وروح المجتمع وروح الأمة ولا يحصل التغيير في محيط الفرد ما لم يحصل في نفسه أولا، وتغيير النفس هو الأساس لكل تغيير هادف رشيد فالاستعمار لم يستطيع فعل شيئ مادام الفرد يملك نفسا تحررت من المذلة بفعل تغيير نفسي مكنها من القيام بوظيفتها الاجتماعية ولا يتغير شيئ في الخارج إن لم يغير الفرد نفسه **3** فالتغيير ضرورة لا بد منها لكي يحقق الإنسان وجوده في التاريخ ويقوم بوظيفته الاجتماعية التاريخية،والتغيير يبدأ من داخل نفس الفرد ثم يشق طريقه نحو الخارج فالفرد لا يمكنه أن يغير شيئا في الخارج ف إن لم يغير شيئا في نفسه و يظل التغيير فاعلية إنسانية ضرورية للتجديد الحضاري عند الإنسان الذي يتحرك في التاريخ ليحقق وجوده،هذا الانسان الذي صارت إرادته

1- مالك بن نبي:شروط النهضة: 103.
2-الرعد الأية 11
3-مالك بن نبي: دور المسلم في الثلث الاخير من القرن العشرين :ص 58

قوية ورغبته كبيرة في الارتقاء الحضاري بعدما هجر الجمود والتخلف والانحطاط وبذلك يكون قد شق طريقه نحو البعث والإحياء وإعادة البناء

- **البناء لا التكديس:**

اعتمد مالك بن نبي في تحديد شروط النهضة والتجديد على شواهد تاريخية حيث أرجع كل مشكلات الإنسان جميعا إلى مشكلة الحضارة لأن القضية ليست قضية فقر،وانما هو أمر يتعلق بأساس مشكلاتنا، فعلينا أن نفكر في جذور المشكلات وندرك أن القضية قضية حضارة،وما الفقر والغنى والجهل والمرض إلا أعراض لتلك المشكلات الأساسية **1** فالحضارة عند مالك بن نبي تقتضي تجنب الاتكال على الغير وتحاشي أسلوب الإستيراد والتكديس فلا يتحضر شعب إلا اذا امتلك وعيا حضاريا يميز بين البناء والتكديس وبين الإنتاج والاستراد ، فالبناء وحده هو الذي يأتي بالحضارة لا التكديس لأن عملية إنشاء الحضارة لا تتم بشراء كل منتجاتها وتكديسها فذلك مستحيل من حيث الكم والكيف معا،لأن لحضارة لا تبيع كل منتجاتها مرة واحدة، فلها روح وأفكار وأذواق خاصة بها تبقي لها ،لأننا عندما نشتري منتجاتها –الحضارة- فإنها تمنحنا هيكلها وجسدها لا روحها وتعجز الأمة المستوردة عن شراء كل منتوجات الحضارة ودفع ثمنها لأنها لا تملك رأسمال ذلك فالاستحالة هنا تاريخية واجتماعية واقتصادية والتسليم بالإمكان يؤدي إلى حضارة الشيئية **2** فى حين أن الحضارة الحقة هي عملية بناء ، تتطلب أسسا فكرية ومادية في عالم الأشخاص والأشياء وفي إطار منهج يحدد المبادئ والغايات، فلكي نقيم بناء حضاريا لا يكون ذلك بأن نكدس المنتجات وإنما أن نستغل شروط البناء استغلالا رشيدا يسمح بإنشاء حضارة فذلك يتطلب توجيها رشيدا لعناصر وشروط وإمكانات وطاقات الفرد والمجتمع **3**

- **التوجيه:**يعتبر التوجيه شرطا ضروريا للنهضة والتجديد الحضاري انطلاقا من أن النهضة مشروطة بالتغييرالذي يقع على مستوي الفرد والمجتمع،هذا التغييرالذي يضمن تحرك التاريخ بفعل دوافع نفسية واجتماعية، ولا يؤدي المجتمع رسالته إلا بوجود ترابط عضوي بين مكونات شبكة العلاقات الاجتماعية طبقا لتأثير طوائف اجتماعية ثلاثة:

1-مالك بن نبي:تأملات ص 166
2-مالك بن نبي شروط النهضة: ص106
3-مالك بن نبي ميلاد مجتمع:ص 10

أ/تأثير عالم الأشخاص.

ب/تأثير عالم الأفكار.

ج/تأثير عالم الأشياء

حيث أن هذه العوالم لا تعمل متفرقة،بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته من "عالم الأفكار" يتم تنفيذها بوسائل من "عالم الأشياء"،من ّأجل غاية يحددها "عالم الأشخاص"**1** فالتغيير التاريخي من إنتاج العوالم الثلاثة ووحدة التغييرالتاريخي ضرورية لأن ذلك في نظر مالك بن نبي يجسد الحضارة في الواقع وهذا الشرط يستلزم كنتيجة منطقية وجود "عالم رابع" وهو مجموع العلاقات الاجتماعية الضرورية،أو ما يطلق عليه "بشبكة العلاقات الأجتماعية" فالمشكلة بأكملها مشكلة فرد يصنع التاريخ من خلال تأثيره في المجتمع بفكره وعمله وماله والتوجيه في هذه النواحي الثلاث الفكروالثقافة ،العمل ورأس المال**.2**

إن توجيه الإنسان في النواحي الثلاث لغرض التجديد الحضاري يرتبط بتوجيه التراب والوقت،بل يشترط ذلك ليكون الفعل الحضاري متكاملا،فالتراب عنصر من عناصر تكوين الحضارة وقيمته الاجتماعية تكون على قدر مالكيه من التقدم أو التخلف والإنحطاط أما الزمن فهو العامل الثالث من عوامل الحضارة الذي يمثل ثروة في مجالات الحياة وهو جوهر لا يقدر بثمن،ولا يتحدد معنى الوجود الإنساني إلا بتحديد فكرة الوقت ووعي قيمته،والتربية هي الأداة الوحيدة التي تغرس في أفراد المجتمع قيمة الوقت وتثبتها فيهم،فإذا إستغلينا الوقت هكذا فسترتفع كمية حصادنا العقلي واليدوي والروحي وهذه هي الحضارة.**3**

إن التجديد الذي دعا إليه مالك بن نبي له طابعه الخاص لأنه حتى وإن كان يلتقي مع المحاولة الإصلاحية عند مفكري الإسلام كمحمد إقبال غير أن فكره انطلق من واقع العالم الإسلامي ومن تخلفه ومشاكله اليومية، في الدين و الاجتماع و الثقافة و السياسة والأخلاق و غيرها، وهي مشكلات حضارة في الأصل و الجوهر.وقد قام بتحليل واقعه و تحليل واقع الأمم المتحضرة في عصره، وانتقدهما بطريقة علمية، كما حلل وانتقد الحياة الفكرية في العالم الإسلامي المتخلف، وحتي أوربا المتحضرة. وركز على إستيعاب و نقد الفكر الإصلاحي الحديث

1-نفس المصدر السابق 24

2-مالك بن نبي :شروط النهضة:ص 148،

3-نفس المصدر السابق: ص 214

والمعاصر في العالم الإسلامي، و فلسفة التاريخ في أوربا من خلال رؤية "شبنجلر" ، ومنظور "كيسرلنج"، و نظرية "توينبي" و "فيكو" وغيرهم. وقد انبثقت عن هذه الدراسة النقدية التي قام بها مالك بن نبي سواء في الحضارة، أوفي التجديد الحضاري، التأكيد على البعد الروحي والديني للحضارة، لكون الفكرة الدينية تؤلف بين عناصرها، و توحد الانسجام بين شروطها و لوازمها، كما تضمن لها البقاء والاستمرار و الازدهاربالإضافة إلى فعل التغيير الذي يحققه هذا البعد (الروحي) في داخل نفس الإنسان، وفي أعماق ذاته، ثم يجرى في المحيط الذي يعيش فيه، وهي سنة سنّها الله لتسير عليها الحياة، و يقررها القرآن في قولـه تعـالي: **"(** **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)1**والتغيير يسمح للإنسان بأن ينتج حضارته بنفسه، بعيدا عن الاستيراد والتبعية والمديونية الحضارية، فالحضارة الحقّة هي التي تلد منتجاتها، وليس العكس. لذا يجب التمييز بين البناء و التكديس، و الأخذ بالبناء لا التكديس، ويبقى التوجيه شرطا ضروريا لكل صحوة أو نهضة حضارية، توجيه الإنسان، وتوجيه الأفكار وتوجيه الأشياء.لأن فعل التجديد الحضاري عبارة عن تغير يجرى على الإنسان في عالمه النفسي الداخلي، ثم عالمه الخارجي، أساسه روحي، يظهر في الحياة بجميع مجالاتها. و يتجلى في النهاية في صورة تقدم وازدهار روحي، وتقدم و ازدهار مادي، و متى حصل التوازن والانسجام والتكامل بين الجانب الروحي و الجانب المادي بلغ الإنسان قمة التحضر التي هي غاية التاريخ و المجتمع و مبتغى الإنسان فالتجديد في الحضارة من حيث تكوينها أو تطورها أو إستمرارها،أ و إصلاح أوضاعها يقتضي عدة دائمة وتغييرا يبدأ من داخل الفرد ثم يتجه إلى الخارج،فيحصل البناء من خلال توجيه وتخطيط يربط المبدأ بالغاية،ويستغل جميع الوسائل والمناهج ويستغل جميع الوسائل والمناهج لخدمة الإنسان ولتحقيق أغراضه القريبة والبعيدة. **2**

3- أبعاد التجديد الحضاري عند مالك بن نبي:

شهدت الإنسانية عبر تاريخها الطويل عدة حضارات .واستقراء هذه الحضارات يثبت أن قوة الحضارة مشروط بالانسجام بين جهد الإنسان وغاياته العليا أما ضعف الحضارة وانحلالها سببه تحلل الإنسان في فكره وسلوكه، فمن خلال التاريخ يمكن للإنسان أن يحدد مكانته في الدورة

1-الرعد الاية 11

2-وجيه الكوثراني:لماذا العودة إلى بن نبي عندما يطرح منهج التغيير،ندوة الكويت ،ط1،1995. ص 68

التاريخية بل في الحياة ككل ويدرك أسباب التخلف والانحطاط وعوامل النمو والنهضة، فيصبح التاريخ بهذه الأهمية أداة تقويم للذات ، فهو يمد الإنسان بالمعايير اللازمة للوصول إلى الحقيقة وبذلك فإن عملية التجديد الحضاري تبدأ عندما يتحرك الإنسان ليدخل إلى التاريخ ويؤثر عليه مما يثبت لنا أن للتجديد الحضاري أبعادا تاريخية واجتماعية قد حققها

-البعد التاريخي و الاجتماعي

يمثل التجديد الحضاري حركة إنسانية تنطلق من نقطة ما لتصل إلى أخرى داخل مجال التاريخ ، لأنه هو الذي يسجل هذه الحركة منذ انطلاقها ويسجل مراحلها وكل ما يصيبها وما يطرأ عليها من تغيرات، وأن أية حضارة من الحضارات سواء ماضية أو حاضرة أو تكون في المستقبل تتكون بفعل التجديد الحضاري .والتاريخ هو الذي يسجل هذه المرحلة من النهضة الحضارية من البداية إلى النهاية، لأن ميلاد الحضارة لا يكون بالصدفة أومن العدم بل من معطيات تاريخية سابقة ، فالتاريخ يمثل الإنسان والحضارة والتجديد الحضاري، وتمثل المعطيات التاريخية لأية نهضة حضارية شروطا وأسبابا تنتج النهضة والتجديد والحضارة، هذه الحضارة يلعب في بنائها الفرد في صلته بمجتمعه وفي علاقته بالتاريخ دورا رئيسيا.لأن أي تجديد في الحضارة هو من صنع أسباب نفسية وعوامل زمنية تاريخية وكذلك إجتماعية **1** كما أن عملية التجديد تحددها حاجة الفرد إلى الاجتماع الإنساني، فهو لا يستطيع أن يوفر لنفسه كل ما يحتاج إليه من ضروريات وكماليات ولا يقدر على بناء الحضارة بمفرده، وبالمقابل فالاجتماع البشري في حاجة إلى الفرد لأن الاجتماع ذاته هو اجتماع أفراد يجمعهم حاضر واحد ومصير واحد، فتتوحد الجهود وتتحدد الغايات والسبل والوسائل وتتحد لضمان حياة اجتماعية، هذه الحياة الاجتماعية في حاجة إلى علاقات تنظم حياة الأفراد داخل الاجتماع، فيصبح الاجتماع في حاجة إلى النظام فيتشكل المجتمع، والواقع أنّ حركة المجتمع التي تحدث التغير والتطور تمثل حركة التجديد الحضاري في التاريخ، هذه الحركة هي التي تبني المجتمع وتصنع الحضارة وتحدث التطور التاريخي2.

1- د /عائشة المناعي : مضاهر التجديد في فكر مالك بن نبي ص 38 وأنضر أيضا أسعد الحمرانى- مالك بن بنى مفكرا إصلاحيا- دار النفائس- بيروت- ط 1- 1984.ص 120
2-مالك بن نبي :ميلاد مجتمع ، ص 72/42

ومن هنا نستنتج أنّ التجديد الحضاري يشترط المجتمع والمجتمع يشترطها، وإنهيار حضارة أي مجتمع هو انهيار للخصوصيات التي يتميز بها هذا المجتمع، وأي إجتماع بشري بدون حضارة يغلب عليه الطابع البدائي ويسوده قانون الغاب وتحكمه الهمجية، فالحضارة هي التي تحمي المجتمع من الهمجية، ويؤيد تاريخ الحضارات ما يذهب إليه "مالك بن نبي"، فالعرب في الجاهلية كانوا بدوا رحلا تسيطر عليهم الوثنية والنعرة القبلية وغيرها من العادات الفاسدة، فإذا بالإسلام يبعث فيهم روح التآلف ويدفعهم إلى التحضر، فكان لهم ما هو معروف من حضارة،**1** ففي مجتمع الحضارة يتوفر مناخ الحرية والحماية للفرد، فالتجديد الحضاري مرهون بوجود المجتمع لينطلق من داخله فيغيره والمجتمع لا يتطور ولا يحافظ على حياته ولا يشهد الحضارة ولا يعرف التجديد الحضاري إلا بفعل هذه الحركة . وقد أكدت معظم الدراسات في تاريخ الحضارات أنّ كل حركة تجديد حضاري تنطلق من داخل المجتمع بتوجيه أخلاقي وضوابط أخلاقية، فالمجتمع في حاجة إلى قوة تماسك لأفراده لممارسة التجديد الحضاري وبناء الحضارة، ويحصل التماسك لدى الفرد بفعل الغريزة أما المجتمع التواق إلى الحضارة وإلى الرقي والسمو فإنه يستعمل الغريزة نفسها، "ولكنه يهذبها ويوظفها بروح خلقي سامي

-**البعد الأخلاقي للتجديد الحضاري**: انطلق مالك بن نبي من مسلمة مفادها أنه لا يمكن لأي مجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك دون وجود شبكة العلاقات التي تؤلف بين عناصره المختلفة بما فيها النفسية والزمنية. وأنّ كل علاقة هي في جوهرها قيمة ثقافية يمثلها القانون الخلقي والدستور الجمالي الخاص بالمجتمع فالقانون الخلقي تتضمنه العلاقة الاجتماعية التي هي في جوهرها قيمة ثقافية، بحيث أن الغاية من وجود القانون الخلقي هو بناء المجتمع والمحافظة على تماسكه وإدخاله في التاريخ من خلال تمكينه من التجديد الحضاري وتكوين الحضارة وتحريك التاريخ، وكلما حدث إخلال بالقانون الخلقي في مجتمع معين حدث تمزق في شبكة العلاقات التي تتيح له أن يصنع تاريخه "فقوة التماسك التي أوجدتها العلاقة الاجتماعية المتضمنة للقيم والقوانين الأخلاقية الإسلامية هي التي جعلت المهاجرين والأنصار يصلون إلى درجة التآخي والإيثار كما أنّ قوة التماسك بين أفراد المجتمع الواحد الناشئة عما تفعله القوانين الأخلاقية داخل المجتمعات يقدم صورة جمالية تختلف عن تلك الصورة التي يظهر عليها مجتمعا ممزقا في طريقه الى الأفول حيث أن الجمال يمثل أحد مكونات المنظومة الثقافية، والثقافة تمثل المحيط

1-مالك بن نبي :شروط النهضة ص 104/102

الذي يعكس حضارة المجتمع، "والإطار الحضاري بكل محتوياته متصل بذوق الجمال بل إنّ الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أيّة حضارة."**1** بحيث أن الجمال ينبغي أن يشاهد في المجتمع المتحضر في جميع الأماكن والمجالات، في الشارع والبيت والسينما والمسرح، وقيمة الجمال تكبر في عين "مالك بن نبي" فهو عنده وجه الوطن في العالم، فلنحفظ وجهنا، لكي نحفظ كرامتنا ونفرض احترامنا على جيراننا الذين ندين لهم بنفس الاحترام فالتجديد الحضاري مشروط بجملة من القيّم الأخلاقية والجمالية تشكل عوامل تحرُّك التاريخ وتبني الحضارة، وهذا يتطابق مع ما يدعوا إليه الإسلام فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بُعث لإتمام مكارم الأخلاق، والله يقول : **(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) 2** كما اعتنى الإسلام بالبعد الجمالي في حياة الفرد والمجتمع والأمة، ويظهر ذلك بوضوح من خلال التأكيد على طهارة النفس والبدن والمحيط . **3**

إنّ النتيجة التي انتهينا إليها بعد تحديد البعد الأخلاقي والبعد الجمالي للتجديد الحضاري والحضارة تؤكد أن وراء البعدين بعد آخر يمثل الأرضية والمرجعية لجميع الأبعاد المختلفة حسب "مالك بن نبي" وهو البعد الروحي الديني، فالعلاقات الاجتماعية المتضمنة للقيم والقوانين الأخلاقية وحتى الجمالية هي من صنع علاقة روحية بين الله و الإنسان، وهي التي تكون وراء ميلاد أي مجتمع يدخل التاريخ ويصنع التجديد الحضاري ويبني الحضارة. لأن الفكرة الدينية تشترط سلوكا لدى الإنسان به يكون قادرا على أداء الرسالة، ودوره لا يقف عند بعث التجديد الحضاري ودفع معتنقيها إلى الحركة في التاريخ وتشكيل الحضارة بل تعمل على ضمان استمرار هذه الحضارة وحمايتها من عوامل وأسباب الإنهيار والأفول. فهي تحل لنا مشكلة نفسية اجتماعية أخرى ذات أهمية أساسية تتعلق باستمرارالحضارة. فالتجديد الحضاري "عند مالك بن نبي" امتداد لأبعاد كثيرة ومختلفة وهي إنسانية ونفسية وإجتماعية وأخلاقية وجمالية وهذه الأبعاد كلها ذات طابع روحي ديني تعود إلى بعد روحي، يكون وراءها يصنعها جميعا ويحرك التجديد الحضاري ويضع الإنسان في التاريخ ويمكنه من بناء الحضارة ويحافظ على استمرارها ويحقق الوجود الإنساني بتحقيق غاياته القريبة والبعيدة وهي غايات الإسلام ومبتغاه ومقصده **4** .

1-مالك بن نبي ميلاد مجتمع:96
2سورة القلم الاية 4
3-مالك بن نبي: شروط النهضة ص :98
4-نفس المصدر السابق ص 87

4- مضاهر التجديد عند مالك بن نبي:

-التمازج بين النظرية والتطبيق

لعل أهم شيئ أساسي جعل مالك بن نبي من بين مجددي العصر الحديث في العالم الإسلامي ، هو أنه لم يكن فقط مجرد مفكر قام بسرد سلسلة من الحلول اللازمة للنهوض الحضاري ،بل إنه قد جمع بين طرفي المعادلة اللازمة لأي نهوض أو تجديد، ونعني بها التمازج بين "النظرية والتطبيق". وفي هذا السياق التجديدي نجده يستعين بالتجربة اليابانية ، فمن عام **1868**م إلى **1905**م قفزت اليابان من مرحلة العصور الوسطى إلى مرحلة الإنجازات والتطورات. فالعالم الإسلامي إذا أراد أن يجتاز المرحلة نفسها، فما عليه إلا أن يقتبس من الكيميائي طريقته، فهو يحلل أولا المنتجات التي يريد أن يجري عليها عملية التركيب الحضاري فإذا سلكنا هنا هذا المسلك قررنا أن كل ناتج حضاري تنطبق عليه الصيغة التحليلية الآتية: ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت، ففي المصباح مثلا يوجد الانسان خلف العملية العلمية والصناعية التي يعد المصباح ثمرتها، والتراب في عناصره من موصل وعازل، أما الوقت يبرز في جميع العمليات البيولوجية والتكنولوجية، وهو ينتج المصباح بمساعدة العنصرين الأولين: الإنسان والتراب" ولم يكتف مالك بن نبي بما ذكر، وهو بصدد رسم معالم الطريق لمسلم اليوم، لتحقيق انطلاقة حضارية راشدة تساعده على انجاز البناء الحضاري المعاصر، فيواصل تحليله لهذه الصيغة الرياضية، فيقول: " فالصيغة صادقة بالنسبة لأي ناتج حضاري، وإذا ما درسنا هذه المنتجات حسب طريقة الجمع المستخدمة، فسننتهي حتما إلى ثلاثة أعمدة ذات علاقة وظيفية: حضارة = إنسان +تراب + وقت. وتحت هذا الشكل تشير الصيغة إلى أن مشكلة الحضارة تتحلل إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت. فلكي نقيم بناء حضارة لا يكون ذلك بأن نكدس المنتجات، وإنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاث من أساسها"1

بين الفكرة والواقع

من أهم المظاهر الأساسية التي يمكن إستخلاصها من خلال تحليلنا لمنهج البحث في فلسفة عند مالك بن نبي هو صياغته للعلاقة بين الفكر والواقع وهذا حينما حاول إيجاد العلاقة بين الوسائل التي يملكها المجتمع بالغايات التي حددها هدفا له، وهذا من خلال طرحه لمشكلة الفعالية

-.نفس المصدر السابق ص 94/05.

الحضارية (أو التجديد الحضاري) وهو بحث في العلاقة المتبادلة بين العناصر الثقافية التي تؤثر في البنية الحضارية، وفي مدى ملاءمة هذه القيم والأفكار للغايات التي تسعى الحضارة لتأصيلها في محيط الإنسان الاجتماعي **1** وفي هذا السياق يمكن القول بأن التجديد عند مالك بن نبي إنما هو عملية بنائية تستهدف إقامة حضارة بواسطة نظام من العلاقات الاجتماعية، أو هو تحويل الواقع الاجتماعي المتخلف إلى تركيب حضاري، عن طريق شبكة العلاقات الاجتماعية فالتغيير الاجتماعي بالضرورة هو من صنع الأشخاص والأفكار والأشياء جميعا، ولابد من توفر صلات ضرورية بين هذه العناصر كي يؤدي التغيير الاجتماعي وظيفته ويتحقق الوصول بالمجتمع إلى الحضارة، والأشياء التي تنشأ نتيجة التفاعل بين العناصر الثلاثة الأولى الأشخاص والأشياء والأفكار، وترابطها في كيان عام من أجل عمل مشترك هو تحقيق الحضارة **2.** وفي ضوء هذا المنظور النسقي للتجديد الحضاري المنبثق عن فلسفة حضارية واعية، يبدو مالك بن نبي - كمفكر اجتماعي ومجدد إسلامي أصيل- يقترب في كثير من موضوعاته إلى دراسة الواقع الاجتماعي حيث تشغل نظريته في هذا الصدد جانبا هاما من أعماله، بما ينبثق منها من أفكار ومعالجته لقضايا الثقافة والبناء الاجتماعي، وقد امتاز في كل ذلك برؤية سوسيولوجية خاصة، وخصوصية في المنهج فرضها وعيه المتميز والمبكر، بضرورة أن يكون هناك علم اجتماع خاص بالعالم الإسلامي 3 وللخروج من الأزمة يري مالك بن نبي من الضروري أن نعود إلى الدين والعقيدة والتي يفرضها الفهم الصحيح للإسلام لأنه إلى جانب كونه عقيدة خالدة، فهو أيضا شريعة قادرة على احتواء الأزمة الحضارية للمسلم المعاصر، والعودة بمنحنيات الانكسار في الحضارة الإسلامية إلى مسارها الذي أراده لها الحق تبارك وتعالى كخير حضارة تفطر عنها قلب التاريخ، لأن أمتنا هي خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتهدي البشرية الحائر ة إلى استقامة المنهج وصدق الرسالة، وفق قيم الجمال والحق والخير والعدل 4

الإنسان محور التغيير الحضاري:

دعا مالك بن نبي المسلم اليوم إذا كان فعلا جادا في تبني خيار التجديد الحضاري فعليه

1- د./ سلميان الخطيب: ، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي: دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ، ط1، 1993 ، ص 151.

2- د./ نورة خالد السعد: المرجع السابق، ص601.

3- د. علي القريشي: التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي منظور تربوي لقضايا التغيير في المجتمع المسلم المعاصر، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة 1409 هـ - 1989م، ص 692.

4-د/. سليمان الخطيب: المرجع السابق، ص 186-781.

أن يتلمس العودة لإيقاظ روح الإيمان الموجودة فيه، وتقوية تكوينه العقائدي والأخلاقي، وذلك بنفس معيار الطاقة والفعالية التي أتسم بها المجتمع الإسلامي في عهد الرسول (ص) حيث أن التاريخ الحضاري للبشرية يؤكد لنا بأن كل عملية تقدم وتطور لا يمكن أن تتحقق إلا إذا ارتبطت بوجود قوى داخلية تصنع هذا التقدم- أو التجديد الذي يكمن في بناء المسلم المعاصر على أسس روحية مستمدة من مفاهيم الفكر الإسلامي الصحيح، كما يؤكد أيضا على ضرورة الإبداع الذاتي في عالم الفكر وعدم الاعتماد على الفكر الغربي كلية، وذلك لأن هذا الفكر وليد بيئته الخاصة، ووليد روح إنسانية لها سمتها الخاصة به **1**

من هنا يمكن القول بأن التجديد الحضاري، كما يراه مالك بن نبي، لن يتحقق في أرض الواقع إلا بفعل ديناميكي يحركه، لأننا نجد في بداية كل حضارة ثمة فكرة فاعلة قادرة على تغيير ما بالنفس، ومن ثم تغيير ما بالعقل، وذلك من أجل الإقلاع الحضاري نحو التجديد، إنها الفكرة المشحونة بالرؤية الكونية وبالمسؤولية الإنسانية الشاملة، إنها الطريق الشرعي والفطري لصناعة الحضارة الإنسانية والتقدم **2**

5-أهمية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي:

- **البناء الحضاري وتحقيق التقدم:**

الحضارة -عند مالك بن بني- هي مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه 3 فالحضارة إذن تمثل حصانة لحياة الإنسان، وفيها تأمين على مصيره، وتوفير لاحتياجاته، وحفاظا على شخصيته الوطنية والدينية. فالحضارة يصنعها تاريخ الإنسان بعد أن تمده الطبيعة بالطاقات، ولكن إذا أحسن تكييف هذه الطاقات، وتوجيهها نحو أهداف محددة واضحة، وهذا الأمر مرهون بمدى الانسجام بين النمط الفكري الذي يحكم هذه الحضارة عبر التاريخ، وبين الطاقات المتوفرة أو التي يمكن توفيرها لتنفيذ الجانب العملي. وصناعة التاريخ عند مالك بن نبي تتم تبعا لتأثير طوائف

1- نفس المرجع السابق ص432.
2- د/. عبدالحليم عويس: الوظيفة الحضارية لأفكار مالك بن نبي، مجلة الفيصل، العدد 96، دار الفيصل الثقافية، الرياض شوال 1413هـ - ابريل (نيسان) 1993م، ص 24
3- مالك بن نبي: آفاق جزائرية .ت :الطيب شريف، مكتبة النهضة الجزائرية بدون تاريخ 46،47

إجتماعية ثلاث: أ /تأثير عالم الأشخاص. ب/ تأثير عالم الأشياء .ج/ تأثير عالم الأفكار .

لكن هذه العوالم الثلاثة لا تعمل متفرقة، بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقا لنماذج إيديولوجية من عالم الأفكار، يتم تنفيذها بوسائل من عالم الأشياء، من أجل غاية يحددها عالم الأشخاص. وكما أن وحدة هذا العمل التاريخي ضرورة فإن توافق هذه الوحدة مع الغاية منها، وهي التي تنسجم في صورة حضارة**1** يعطي هذا النسيج المطلوب لصنع الحضارة مفهوما يقيم التوازن بين وجهي الحياة المادية والمعنوية، وبهذا التوازن يتم الالتزام بالإسلام من أجل التحضر، حيث ترفض أحكامه ، السقوط بالإنسان ليصبح عبدا للأشياء. فأي توجه حضاري جديد يتطلب إعادة قضية التوازن الروحي- المادي، وإذا ما توحدت ذات الفرد يكون ذلك خطوة على طريق توحد المجتمع، أي بناء شبكة علاقات اجتماعية وبقدر ما تنجح هذه العلاقات التي تسير بتوازن يمكن أن تعجل في بزوغ فجر حضارة جديدة تعيد الدور للعالم الإسلامي وللعرب على المستوى العالمي. وقد رأى مالك بن نبي أن الحضارة إذا كانت هي استيراد أشياء الأمم الأخرى، أو استعارة فكرها ومنتجاتها، فإن في هذا الفهم بذرة موت الطموح الحضاري للشعوب، ولذلك يلاحظ أن الاستعمار يحاول دوما تنمية هذا الفهم العقيم للتحضر**2**

ولا ينسى مالك بن نبي أهمية الروح، فالروح إذا ما إندفعت بالإنسان فإنما تندفع به لتوظف طاقاته وفكره و لابد من التأكيد على أن السمة العامة لهذه الحضارة تنبع من قواعد الأخلاق التي تضع في الأولوية كرامة الإنسان وحقه في العيش الكريم 3 فعناصر الحضارة من إنسان وتراب ووقت لن تجدي نفعا إن لم يكن الجامع المشترك لها الأخلاق بمعناها الواسع، وهذا مبدأ عام وأساس وبفقدانه تفقد العناصر الثلاثة فعاليتها التحضيرية. وحتى العلوم بالرغم من اختلاف وتنوع مجالاتها من علوم إنسانية، إلى طبيعية إلا أن تلازمها مع الأخلاق هو الذي يجعل منها رسالة حضارية لها صفة العالمية**4** فلتحقيق البناء الحضاري علينا إذن أن ننتقل من تكديس الأشياء إلى بنائها وفق إطار من النموذج المستلهم لروح الثقافة. وهو العنصر الأساسي الذي يفتقد إليه العالم الإسلامي فعملية البناء الحضاري تقوم على أساس حركة شعب

1- نفس المصدر السابق ص24،23.

2- مالك بن نبي: شروط النهضة ص45.

3-مالك بن نبي: فكرة الأفريقية الآسيوية ص134.

4- د. أسعد السحمراني: مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا، ص149،148 دار النفائس، بيروت عام 1984م.ص 23

أيقظته ثورة على الواقع المتخلّف، وتهيأت له أفكار نابعة من تراثه وطبيعة تركيبته الثقافية والاجتماعية من أجل تحقيق رؤيته الفلسفية وقيمه العقائدية. ومن هنا نستنتج أن الحضارة لا تنبعث -في نظره- إلا بالعقيدة الدينية الصحيحة، كما هي واضحة في الإسلام، ولا يقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من أشياء، بل بمقدار ما فيه من أفكار، ولقد يحدث أن تلم بالمجتمع ظروف أليمة كأن تحدث كوارث طبيعية أو تقع حروب، فتمحو منه عالم الأشياء محوا كاملا، ، إلا أنه إذا استطاع أن ينقذ أفكاره فإنه يكون قد أنقذ كل شيء، إذ أنه يستطيع أن يعيد بناء عالم الأشياء مثلما وقع لالمانيا عقب نهاية الحرب العالمية الثانية.

بناء الانسان

إن بناء الفرد يستلزم عامل الزمن، وأسلوب التدرج، وعامل التوعية، والتأصيل. ويؤكد مالك بن نبي على أن بناء الإنسان منذ فجر التاريخ هو من مهمة الرجال، لأن الطبيعة لا تهب لنا كائنا جاهزا، كما أن الله لا يصنع إنسانا كاملا؛ ولقد كانت صيحة «بن نبي» كمثقف دوما يجب أن نصنع رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت في بناء أهدافهم. فالقضية الحضارية ليست قضية آلة يمكن توفير المال بشتى الوسائل لإحضارها، بل قضية إنسان مهيأ لتوجيهها واستخدامها، وبالتالي فإن «**مشكلة التجهيز مرتبطة بقضية الإنسان والأفكار وأن المحصول الاجتماعي للآلات مرتبط بفعالية وسلوك الفرد الذي يستخدمها**»**1**. كما أن حل مشكلة الإنسان غير متوفرة في الفكر السياسي الذي يوجه حضارة الدول الكبرى، لأنه فكر مادي بفرعيه: الرأسمالي والماركسي. ففي هذا الفكر تسود حلول أحادية الجانب أساسها المادة؛ لأن هذه الفلسفات لا ترى في الإنسان إلا عالم أعداد وأرقام، بينما المسألة تختلف جذريا في الإسلام الذي ينظر للإنسان من زاوية الاستخلاف في الأرض وأن كل ما في الكون من موجودات ومخلوقات مسخرة له حيث نجد بن نبي يقول: (**إن الإنسان ليس في نظر المسلم الكم الذي تجري عليه الإحصائية والوزن، أي الشيء الذي تجري عليه تجارب المختبر وعمليات المصنع، وحاجات الجيش. بل الصفة التي قرنها الله بالتكريم في سلالة آدم، فالمسلم يكرم هذه الصفة بصورة مطلقة. كما هو منتظر فإن هذا التكريم له آثاره المحسوسة في الحياة، في التشريع وفي الآداب وفي العادات.**) 2

1-مالك بن نبي: شروط النهضة، ص104 وأنضر أيضا كتاب مالك بن نبي ، أفاق جزائرية ص 68
2-مالك بن نبي: في مهب المعركة . ، ص164-143.

- **تحرير الإنسان:**

من هنا بات من الواجب أن نبدأ في تحرير ذات الإنسان من الاستسلام أمام الغزو والاستعمار وذلك بأن تتدرب هذه الذات على استخدام الوسائل والقدرات المتوفرة لها، حتى تحصن وجودها من إستهداف المستعمر-بكسر الميم- لها، والذي ينوي إفقادها الفاعلية، وروح التقدم والطموح، تمهيدا لتحويلها إلى (كم) مهمل يتصرف فيه كيف يشاء، وبذلك تبدأ ثورة التغيير عندما ينجح الإنسان في تحرير نفسه من عقد النقص والانبهار بمظاهر الغرب وهذا يتم عن طريق تحريره من الترسبات الوراثية في مجال التواكل والخرافة، وبإعادة الثقة بينه وبين قناعاته وعقيدته وسلوكه وعمله. فليس المهم في بناء الإنسان الجديد أن نبدل له نمط عيشه أو زي لباسه ونوعية أثاث منزلة ومكتبه، ونوع سيارته وكمالياته، ، ولكن المهم أن نحدد له إطاره الحضاري في مجال الثقافة والأخلاق والاقتصاد وكافة المجالات، وبشكل آخر أن نقتلع ونصفي القابلية للاستعمار من عالمه الداخلي، حتى تنطلق طاقاته، ولتصفيته من عالمه الخارجي.فكل تغيير يطرأ على أمة معينة يجب أن يكون مرهونا بتحرير الإنسان، فحتي تحرير التراب والأرض يجب أن يسبقه تحرير الإنسان، لأن ذلك هو النهج الموصل للتخلص من الاستعمار، لأنه قد تتغير خريطة توزيع الملكية في الوطن، وقد تسند إلى أبناء الوطن وظائف كان المستعمرون يشغلونها، وقد تبدل الحروف اللاتينية بحروف عربية على واجهات ولافتات الحوانيت، إلا أن التغييرات هذه جميعها تصبح مجرد سحر للأبصار ولا يستقر أمرها إذا لم يتغير الإنسان نفسه 1 من هنا فالبدء من الذات هو أساس الإصلاح والتغيير، وتجاهل دور الإنسان هو قصور في وعي خطورة هذا الموقف، وهو ما يترجمه خطأ السياسات التي اتبعها العالم الإسلامي في الصميم، فقد اتجهت في كفاحها إلى المستعمر، دون أن تلتفت إلى الفرد الذي تسخره للقضاء على الاستعمار2

فتتحقق ثورة الحرية والتقدم يبدأ من النفس، وبهذا تتعدل شخصية الإنسان، ويتم توازنها، وتتعانق جوانب الروح والمادة فيها، وبهذا النوع من الأفراد تعود الروح القرآنية إلى توجيه السلوك في المجتمع، فتكون الثمرة نهضة شاملة في العالم الإسلامي والعربي.لأن الذي يستطيع أن يجعل من العالم جديدا هو الذي يستطيع أن يبني إنسانا جديدا قادرا على تحمل

1-مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه دار الوعي للنشر والتوزيع ط 1 .2013 .رويبة الجزائر (منشوو ـأصلا من قبل دار الفكر المعاصر بيروت . 44.-49

2- مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ص 106

مسؤولية وجوده ماديا وروحيا **1**

فالطريق إلى المشاركة في مصير الإنسانية مرهون إذن بقدرتنا على بناء ثقافتنا وفق النموذج المستمد من قيمنا الحضارية التي احتوت الإنسانية جميعها. فالإسلام ليس ديننا فحسب، بل إنه حضارة زودت عالمنا الإسلامي بالعقائد المختلفة بالنمط والأسلوب والنظرة إلى الإنسان نظرة تتفق والحقيقة العلوية المطلقة، ومن هنا تأتي أهمية ودور المثقف ووظيفته. لأن الوعي الاجتماعي مرتبط بمدى نشاط المثقف الحيوي، فهو عقل الأمة، والمرآة العاكسة لأمراضها والذاكرة المحركة والمشكلة لهويتها. وإذا كان "ديكارت" قد وضّح أن المعيار المميز للشعب الهمجي، هو مدى شيوع التفلسف الصحيح، فإن "مالك بن نبي" يعتبر أن ما يميز المجتمع المتحفز للتحضر عن غيره، هو مدى فاعلية المثقف. إن بناء الإنسان مرتبط ارتباطا وثيقا بمدى ما يقدمه المثقف في العالم الإسلامي من خدمات خاصة في مجال التوعية والتعليم . لأنه –في نظر بن نبي - قبل أن نبني الإنسان الجديد، يجب أولا أن نبني المثقف. ويرى "عبد القادر بوعرفه" أن الشعب الجرماني تفطن إلى هذه النقطة الجوهرية، مما جعل "بسمارك" يعتبر أن إصلاح الفرد أمر مستحيل فاتجه أولا إلى إصلاح من يصلح الفرد، أي إيجاد المثقف. لأنه (المثقف) يمثل دورين أساسيين في كل عمل حضاري، دور المرآة التي تعكس الواقع الحقيقي دون زيف ولا خداع، ودور المصباح الذي ينير الطريق أمام الجيل المتعطش للتحضر. ويبين بن نبي أن المجتمع الإسلامي بحاجة إلى مثقفين من حجم "محمد إقبال" الذي يعتبر في رأيه المثقف الحيوي والنموذجي في نفس الوقت، لأنه استطاع تصفية الأفكار الميتة المشحونة في نفسه عن طريق الوراثة الاجتماعية والثقافية الاستهلاكية، وبالتالي إكتسب قابلية للتحضر. لأن دور المثقف في نظر مالك بن نبي: هو توعية المجتمع بالصعوبات التي يعيشها ومحاولة انتشاله من الضياع، وتوجيهه نحو الطريق الأسلم للبحث عن الهوية. كما أن عليه ترميم شبكة العلاقات الاجتماعية التي أصابها الانحلال التي أصبحت تشبه -من حيث العلاقة- بيت العنكبوت، والمجتمع بالصفات السالفة لا يمكنه الشروع في التحضر إلا إذا إكتسب شروط موضوعية وأخرى ذاتية تدفعه نحو الحضارة، يقول بن نبي: **(ومن هنا ينبغي على المجتمع، عندما يشرع في النهوض أن يرمم ويصلح شبكة علاقاته الاجتماعية، ليتغلب على الصعوبات الناشئة في نطاق علاقاته السلطوية) 2**

. 1- مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ص192.

2-مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه، ص 48.-50

وهكذا يتضح لنا أن الوعي التاريخي، عند «بن نبي» كان واضحا في مواقفه النقدية إزاء الحضارة الغربية وفي تأكيده على الأسس الروحية والأخلاقية للبنيان الاجتماعي، وقوله بضرورة مراعاة البعد الإنساني في الجوانب التنموية. وكان في معظم كتاباته وتحليلاته السلوكية والاجتماعية والتاريخية، وما صاغ من مفاهيم وموجهات فلسفية وتربوية قد قدم فكرا مميزا حيا، وعرض معالجات دقيقة وملاحظات نقدية يقظة يمكنها أن تشكل منبعا خصبا لتغذية وتنشيط التفكير الإسلامي المعاصر وإضاءة واعية ومستقبلية لما يحدث في قرننا الواحد والعشرين، الذي يعاني نفس المشكلات التي عاشها مالك بن نبي في منتصف القرن العشرين، وهي نفس مشكلات عالم العولمة الذي يدفع بالعالم إلى مزيد من الشقاء والمعاناة في ظل تدهور بيئي وكوني شامل ومريع، والاستغلال الرأسمالي، الذي تمارسه الدول العظمى والشركات العملاقة للهيمنة ليس على مقدرات وثروات العالم العربي والإسلامي بل مقدرات العالم أجمع.

إن العالم العربي والإسلامي -في نظر مالك بن نبي- يملك القدرات التي تؤهله لإنقاذ البشرية ولكن ذلك يحتاج إلى الإرادة المستقلة المتطلعة إلى التقدم، والتخلص من الواقع المتخلف الذي يفرضه الارتباط بالغرب، والإطار الشامل لأي تحول ثقافي ببعد إنساني وطابع تقدمي، هو الإسلام، ومهما كان الأمر، فإن للإسلام في هذا التوقع العالمي لتحديد ثقافة شاملة دورا كبيرا، إذ هو يأتي بعناصر ثقافية جوهرية، كما يأتي بعناصر جغرافية وسياسية ذات أهمية خاصة.. ولكنا ندرك أيضا أنه لكي يؤدي الإسلام بصورة فعالة هذا الدور المزدوج، فإن عليه أن يترجم قيمه الروحية إلى نظام اجتماعي، كما يترجم إليه جميع إمكانياته الطبيعية، يجب أن يحول هذه وتلك إلى حلول مادية للمشاكل التي تواجهه في الإطار الإنساني **1**

1-مالك بن نبي: فكرة الأفريقية الآسيوية، ص231.

الإستنتاج

من الواضح أن التجديد الحضاري تصنعه جملة من الشروط ويتجلى في جملة من الميادين التي تمثل مظاهر الحضارة ومعالمها، ويمثل هو ذاته عامل البناء الحضاري لكل مجتمع فهو يمثل الديناميكا الحضارية لكونه إستراتيجية شعب يريد التحضر وينفر من التخلف ويرغب في التطور الروحي والمادي، ولكونه أخيرا نظاما يُنتهج وخطة تُتبع لتطوير منتجات الحضارة الفكرية والمادية، للمحافظة على منتجات الحضارة القائمة واستمرارها من خلال الإبداع في مختلف المجالات ليتحقق التقدم والازدهار،

وقد يحتاج أيّ مجتمع إلى التجديد الحضاري حينما يحرص على بعث وإحياء قيّم وأعمال وعادات طيبة نافعة يكون قد تخلّي عنها في وقت سابق، لكن في هذه الحالات التي يكون فيها التجديد الحضاري جوهر كل العمليات الحضارية وأساس "الديناميكا الحضارية" عند ميلاد الحضارة أو عند تطورها أو عند إصلاح ما تمّ إفساده، وحتى في عملية البعث والإحياء وإعادة البناء، تقف أمامه جملة من الأسباب تمنع حركته وتقضي على بوادره وعلى الشروط التي تصنعه فيشتد التخلف وتتثبت أسباب الجمود والتحجر، هذه الأسباب المانعة لقيام الحضارة ولقيام التطور الحضاري وإبعاد أي فعل لأجل البعث وإعادة البناء و هي التي تمثل عند مالك بن نبي موانع التجديد الحضاري وعوائق استثمار واستغلال الرأسمال الحضاري

لقد حدد "مالك بن نبي" في أكثر من بحث وفي أكثر من كتاب و محاضرة شروط نهضة أي شعب وهي شروط الحضارة معتبرا إياها المشكلة الأم في حياة الإنسان ، فالحضارة مرتبطة بعوامل بناء كما ترتبط بعوامل هدم للبناء، وأسباب تقتضي البناء في مرحلة ما قبل الحضارة هذه الأسباب التي تتطلب شروط البناء أو هدمه ترتبط بحياة الفرد والمجتمع في جميع مجالاتها الروحية والفكرية والاجتماعية .

تعكس فلسفة "مالك بن نبي" في تعاطيها مع الدين والثقافة والعلم والسياسة والتاريخ والحضارة عامة فتح عقل الإنسان العربي الإسلامي المعاصر على هموم ومشكلات عصره، وعلى قضايا الثقافة والحضارة والأصالة والمعاصرة والثبات والتغير، وهي مشكلات الأمة وقضايا الإنسانية جمعاء، إنه عقل همّه الأكبر ومشكلته العويصة محاربة التخلف والانحطاط، والأخذ بأسباب التحضر والتقدم والبناء الحضاري، وعقل مبدع صاحب دين وفكرة دينية، وصاحب علم ونظرية علمية، وصاحب تقنية وصاحب فكر وفلسفة، يعتبره بعض المفكرين

المعاصرين همزة وصل بين النهضة والصحوة في سياق تاريخي جمع بين الماضي والحاضر والمستقبل و صاحب نسق فكري متكامل في التعاطي مع مشكلات الحضارة دينيا وفكريا وثقافيا وعلميا واجتماعيا وماديا وإقتصاديا.

ولقد تبيّن لي وبوضوح من قراءتي لبعض الجوانب الهامة في فلسفة الحضارة عند "مالك بن نبي"، أن ما يجمع بين محاولته ومحاولات غيره من مفكري الإسلام في العصر الحديث والمعاصرهي الظروف التاريخية الزمنية والمكانية المتشابهة، والتي فيها نبتت فكرة الإصلاح عندهم، فهي متسابهة تماما، حيث الإسلام والاستعمار والتخلف في العالم الإسلامي من جهة والحضارة والعلم والتكنولوجيا في أوربا الحديثة والمعاصرة من جهة أخرى، شكلت روافد و مصادر الفكر الإصلاحي في عصرنا، وأوجد وحدة في المبادئ والأهداف والتطلعات

فالبحث عند "مالك بن نبي" جاء ذا طابع علمي واقعي، وجاء الإصلاح بطابع اجتماعي علمي واقعي تاريخي، وجاء منهج البحث قائما على التغيير في الفرد والمجتمع، وعلى القضاء على أسباب التخلف والأخذ بأسباب الحضارة كما هي في نظرية الحضارة، مصدرها التوجيه الديني والأخلاقي والعملي مع الاستفادة من خبرات وتجارب الآخرين العلمية والحضارية، ولم تكن المحاولة خاصة أو موجهة لفئة بعينها بل جاءت عامة تشمل العالم المتخلف والعالم العربي والإسلامي جزء منه لكونها مشروع تحرر واستقلال وإصلاح ونهضة وتحضر، وهو مشروع يخص أي عالم متخلف يحتاج إلى الخروج من التخلف وأية أمة تسعى نحو الريادة.

وقد جاءت فكرة التجديد والإصلاح في المشروع نتيجة واقع المسلمين المتردي، وهي محاولة فكرية لتغيير النفس والفكر والواقع في العالم الإسلامي، وقد شكلت محاولته رؤية فلسفية إلى الإنسان والحياة والتاريخ والحضارة، وتمثل مشروع خطة ذات طابع فكري نظري، للنهضة وللتجديد ولبناء الحضارة، من أجل الدخول إلى المعترك الحضاري، واحتلال أمة الإسلام لمكانتها اللائقة بها

كما نستخلص أيضا أن التجديد الحضاري له عوامل وشروط تطوره كما له موانع تقف في وجهه، وهذه الموانع ترتبط بالفرد وبمحيطه، إنها ترتبط بالفرد ككائن طبيعي ونفساني وعاقل واجتماعي ذات طابع حيوي ونفساني واجتماعي وهي كذلك ذات طابع فكري ومنهجي، بعضها ذاتي في الفرد وبعضها موضوعي، بعضها داخلي في المجتمع وبعضها خارجي، وسبيل الفرد والمجتمع إلى الحضارة هو تجاوز موانع النهضة والتجديد للوصول إلى نقطة منها تنطلق وتقلع عملية البناء التاريخي بعدما تتوافر كافة شروط هذا الإقلاع. من بداية التحليل إلى نهايته ويمكن

تفسير مدى اهتمام مالك بن نبي بفلسفة الحضارة من خلال ذلك العنوان الدال الذي حملته جميع مؤلفاته ونعني به "مشكلات الحضارة"، وتشير القراءة العلمية الدقيقة لهذه المؤلفات جميعا بأن مالك بن نبي قد توصل إلى أن الهدف من فلسفة الحضارة هو زرع بذور التقدم في التربة الإسلامية الخصبة، وهو ما يعني أن مجددنا علامة مميزة ليس فقط في الفضاء الثقافي الإسلامي فحسب، بل في الفضاء الثقافي الكوني قاطبة

تلك هي أهم ملامح رؤية مالك بن نبي لفلسفة الحضارة ودورها البارز في تحقيق التجديد عبر رسم معالم المشروع الحضاري البديل، الذي يعتبر مالك بن نبي أحد أبرز منظريه في عالم الإسلام

الخاتمة

خاتمة البحث

إنّ الجوهر الحقيقي في مشكلات الحضارة هو مشكلة الإنسان، وأن حل هذه الأخيرة يكون في عناصر ثلاثة أساسية هي: توجيه الثقافة وتوجيه العمل وتوجيه رأس المال.وحل مشكلة الأرض يكون بغرس قيم العمل والعمل الإستراتيجي للإصلاح الزراعي واستخدام الموارد المتاحة وحسن استغلالها، وحل مشكل الوقت يكون باستبدال زمنية العدم والتحلي بزمنية الفعل والنشاط والتوجيه المستقبلي. وعن الرؤية الحضارية يقول "مالك بن نبي" إن الحضارة عبارة عن مسار إنساني موضوعي مفتوح على مختلف الأمم من منطلق خصوصياتها لأنه من الواجب ألا توقفنا أخطاؤنا عن السير حثيثا نحو الحضارة الأصلية لأن الحياة تدعوننا أن نسير دائما إلى الأمام،ولا يجوز لنا أن يظل سيرنا نحو الحضارة بطريقة فوضوية، بل ليكن سيرنا عمليا عقليا لأن الحضارة ليست أجزاء مبعثرة ملقفة ولا مظاهر خلابة بل هي جوهر ينتظم جميع أشيائها وأفكارها وروحها ومظاهرها، وقطب يتجه نحوه تاريخ الإنسانية

من هذا المنظور إعتبر "مالك بن نبي" أن التعليل في التخلف والانحطاط بالمسؤولية الاستعمارية مجرد حيلة زائفة لتبرير الوضع المختل الذي أدى إلى الاستعمار، ومن هنا نتحدث عن إبداعه لمفهوم "القابلية للاستعمار" فالشعوب المستعمرة (بفتح الميم) هي التي وصلت أوضاعها الاجتماعية والثقافية إلى مرحلة أصبحت فيها جاهزة للإختراق والاحتلال وتكبيل الإرادة: فالاستعمار على حد تعبير مالك بن نبي لا يتصرف في طاقتنا الاجتماعية إلا أنه درس أوضاعنا النفسية العميقة، وأدرك منها موطن الضعف، فسخرنا لما يريد، كصواريخ موجهة يصيب بها من يشاء، فنحن لا نتصور إلى أي حد يحتال لكي يجعل منا أبواقا يتحدث فيها وأقلاما يكتب بها، أنه يسخرنا له بعلمه وجهلنا وقد تكلم مالك بن نبي كثير عن الإنسان إذن هو الذى يوجه الأشياء، والأفكار، والوقت، والتراب، ويصنع الحضارة. فهو الذى يحدد القيمة الاجتماعية للمعادلة التى صاغها لانه كان يتحدث عن إنسان الحضارة بصفة عامة إلا أنه يعنيه فى هذا المقام الإنسان المسلم، ولكى يكون هذا الإنسان قادرا على تحقيق النهضة لابد له من شروط أهمها : أن يعرف نفسه، ويعمل على تنقيتها من كل أنواع التخلف.كما يجب أن يعرف الآخرين وألا يتعالى عليهم وألا يتجاهلهم. وأن يُعَرِّف الآخرين بنفسه، ولكن بالصورة المحببة، بالصورة التى أجريت عليها كل عمليات التغيير بعد التنقية والتصفية من كل رواسب القابلية للاستعمار والتخلف وأصناف التقهقر. و هنا فعلى المسلم أن يحاول تصفية وتنقية مفاهيمه

فيتخلص من الأفكار الميتة والأفكار القاتلة، ويقصد بن نبى بالأولى: الأفكار التى يصنعها المجتمع بنفسه، ثم تبقى فى تراثه الاجتماعى " أفكارا ميتة" كتلك التى ورثها المجتمع الإسلامى من عصر ما بعد الموحدين.فهي افكار لم تولد بباريس أو لندن، بل ولدت بفاس والجزائر وتونس والقاهرة". أما الثانية فهى التى نستعيرها من الغرب، وقد مثل لهما ابن نبى "بالجانب الذى نسميه الاستعمار، والجانب الذى نطلق عليه القابلية للاستعمار" ولذلك فإذا أراد المسلم التحّرر من الاستعمار، فعليه أولا أن يتخلص من فكرة القابلية للاستعمار" التى يعدها ابن نبى عائقا لحركة النهضة. هذه القابلية أخطر من الاستعمار، وتتعدى خطره من حيث أنها تصبح هى الجالبة له ولكى يتحرر هذا الفكر وتكون للمسلم فعالية لابد له من تحقق "الثقافة"، فهى تلازم الإنسان المتحضر وترتبط بالحضارة ارتباطا عضويا فى جانبها التربوي. والثقافة- كما يجدها ابن نبى- تتكون من عناصر جوهرية أربعة تلزمها ولا تنفك عنها وهى: الدستور الخلقى، والذوق الجمالى، والمنطق العملى، والصناعة بتعبير ابن خلدون أو(التقنية). غير أن الثقافة وحدها لا تستطيع أن تكون أسلوب حياة لمجتمع ما، إلا إذا اشتملت على مبدأ أخلاقى، هذا المبدأ هو الذى "يجعل كل فرد مرتبطا بهذا الأسلوب. فى إطار الثقافة، ظهرت فكرة المنطق العملى. وهذا النوع من الفكر هو الذى ينقص المسلمين بصفة عامة، وهو السبب الأساسى فى تخلفهم ويرى بن نبى "أن المنطق العملى الذي ينقص البلاد الإسلامية فهو أمر متوقع، لأن العجز فى الأفكار يخلق في المجال النفسى عجزا فى المراقبة الذاتية وفى مراجعة النتائج ". ويعجب ابن نبى من أمر المسلمين حيث إن دينهم الذى يدينون به ليل نهار، يتمثل فيه المنطق العملى بكل أبعاده، فيدعوهم إليه كتابه وتدعوهم إليه سنة قدوتهم ومثالهم الأعلى- قولا وعملا- ويستشهد بالأية القرانية: **(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)** **1** وفى الآية الكريمة معان كاملة لفعالية كاملة بين مجتمع وأفراده، وهذا هو عين التحضر الذى يأخذ فى اعتباره ثنائية النقد والنصح والتوجيه إلا أن هذه المبادلة لا يمكن أن تمارس إلا إذا تم ربط الفرد بالجسم الاجتماعى فالمجتمع الإنساني لا يمكنه ن يتنازل عن العناصر الثلاثة التي تمثل ثروته الأولية،حيث الدول المتقدمة اليوم لا تقدر خسارتها في الحروب بالذهب أو الفضة.بل تقدرها بساعات العمل

1- سورة ال عمران: الأية 110.

أي بقيم الوقت وكذا من الجهود البشرية ومن منتجات التراب هذه هي القيم الخالدة التي نحتاج اليها كلما وجب علينا العودة إلى ماهية الأشياء لأن هذه القيم هي التي تحرك التاريخ والحضارة

وقد ينتهى الباحث من دراسته لأفكار مالك بن نبي حول الحضارة والتخلف والثقافة والإصلاح والتجديد، إلى أنّه المفكر والفيلسوف، والناقد والمصلح. يحتل فكره مكانة بارزة في الحركة الإصلاحية الإسلامية المعاصرة، وتمثل نظريته في الحضارة والتاريخ إجتهادا في الفكر والفلسفة لم يسبق إليه أحد فيما نعلم فقد إنبثق هذا الاجتهاد الفلسفي من الإسلام والفكر الإسلامي وواقع العالم الإسلامي والشعوب المتخلفة عامة من جهة، ومن الحضارة الغربية والفكر الغربي من جهة ثانية، إن مالك بن نبي يمثل بحق رائد فكر وصاحب تجديد وواحدا من كبار دعاة الإصلاح والتجديد والحضارة

وقد تميز الفكر الإصلاحي "عند مالك بن نبي" بالقوة والمتانة نظرا لصلته المباشرة بواقع وحياة المسلمين في العالم الإسلامي المعاصر، ولتعبيره عن مشاكلهم وهمومهم، وعن آمالهم وتطلعاتهم، وبلوغه مستوى رفيع من الحقيقة في مناهجه وأساليبه لأنه أخذ بالدين والعلم وبالتاريخ، واستطاع أن يكفل التوازن بين طرفي الكمال، الروح والمادة، الدين والدولة، الدنيا والآخرة وقد تألّق نجم "مالك بن نبي" في فضاء فلسفة الحضارة في عصرنا الحاضر، لأن المتصفح لفلسفتة في الإصلاح ونظريته في الحضارة والتجديد، يكتشف عالما فكرياً فلسفياً مليئاً بالمفاهيم وغنياً بالتصورات وفريداً في نوعه وجديداً في العديد من جوانبه، خاصة فيما يتعلق بالحضارة وعناصرها وشروطها وأطوارها، فهو يري أن ظاهرة التخلف ليست طبيعية في البشر، بل تعود إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية ، وتستفحل عندما تغيب الشروط والأدوات اللاّزمة للنّمو الفكري والأخلاقي والاجتماعي، هذا النَّمو هو السبيل إلى التحضر، تقابله مجموعة من المشاكل والوضعيات والظروف الفاسدة المنهارة في حياة الفرد والجماعة في جميع جوانبها الفكرية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها. وتقوم الحضارة باعتبارها إطاراً يضمن لكل فرد داخل المجتمع مطالبه وحاجاته في كل طور من أطوار وجوده، بإعطاء الأدوات واللوازم الضرورية للمجتمع النامي المالك لقدرات فكرية واجتماعية واقتصادية إرادة استعمال سائر القدرات في حل المشاكل التي تواجه المجتمع المتخلف، والحضارة هي التي تكوّن هذه القدرة وهذه الإرادة معًا، وهما لا تقبلان الانفصال عن دور المجتمع النامي، فالحضارة هي شرط إيجاد القدرة والإرادة لتجاوز التخلف والتدهور في ذات الفرد وفي مجتمعه، وهي ترتبط

بالإنسان والتراب والزمن والفكرة الدينية التي تجمع بين العناصر الثلاثة في مركب واحد هو الحضارة. التي لها عمر وأطوار هي: طور الروح، طور الأوج، و طور الأفول، تسبقها مرحلة ما قبل الحضارة وتليها مرحلة ما بعد الحضارة، لكل واحدة من المرحلتين خصائص ومميزات

و قد تمثلت نظرية "مالك بن نبي" في الحضارة، إستراتيجية إصلاحية تجديدية تستهدف تغيير الواقع الإنساني عامة وواقع العالم المتخلف ـ العالم الإسلامي جزء منه ـ بصفة خاصة. كما تمثل مشروع منهج وضعه صاحبه للقضاء على ظاهرة التخلف بعدما درسها وكشف عن عوامل وأسباب وجودها بالخصوص في العالم الإسلامي الذي لا ينقصه سوى تطبيق المناهج الكفيلة بإخراجه من عالم الانحطاط وتمكينه من الحضارة، وهو أمر ليس بعسير على إنسان يملك بين يديه كافة شروط التحضر. فهي نظرية إصلاحية تستند إلى رؤية فلسفية بما فيها الإنسان والحضارة والتاريخ، وإلى فكر إجتمعت فيه الأصالة مع التجديد، فكان مشروع خطة للنهضة والصحوة والحضارة نموذجا من نماذج الفكر الإصلاحي لا يستهان به، بل يقدر حق قدره لِمَا لصاحبه من نظرة ثاقبة وقدرة على الطرح والتحليل والنقد والاستنتاج، ولما لهذه النظرة من تكامل بين عناصرها من انسجام مع ما تقتضيه مستلزمات البناء التاريخي والنهضة الحضارية.

كما تميزت نظرية الحضارة عنده بجملة من المميزات التي لم يشهدها مصلح آخر لأنها نظرية انبثقت من تحليل تميّز إلى حدّ بعيد بطابعه العلمي، وبالدقة والعمق والموضوعية، والواقعية في طرحه ومعالجته للمشكلات والظواهر في حياة الفرد والمجتمع، وبالحلول التي جاء بها لتلك المشكلات والتصورات التي خرج بها من دراساته وبحوثه المعمقة نظرا لإرتباطها بالعلم والواقع والتاريخ والدين، وجاء الإصلاح بطابع إجتماعي علمي واقعي تاريخي،لان الهدف منه هو القضاء على أسباب التخلف والأخذ بأسباب الحضارة كما أن نظريته في الحضارة، قائمة على التوجيه الديني والأخلاقي مع الاستفادة من خبرات وتجارب الآخرين العلمية والحضارية. وتشترط الحضارة في مرحلة تطورها التغيير الذي يتم على أسس القاعدة الإلهية وفقا لما تعبر عنه الآية القرآنية :**(إنّ الله لا يغيرّ ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم)** .فظاهرة التغيير مجالها النفس أولا ثم المحيط الخارجي ثانيا، وتشترط القدرة على الإبداع

1-سورة الرعد الاية 11

والقدرة على الإنتاج، ولا تقوم على التكديس والاستيراد ، لان الحضارة التي تقوم على البناء لا التكديس أوالاستيراد تمثل فاعلية إنسانية تهدف إلى تغيير الإنسان في عالمه النفسي أولا ثم تغيير محيطه ثانيا، وتحصل هذه الفاعلية بتوفر جملة من الشروط والعوامل النفسية والاجتماعية والروحية والمادية، وكذا توفير الإرادة والقدرة على إبداع المعرفة وإنتاج الأشياء،.ولضمان راحته يشترط التوجيه الأخلاقي والعملي والفني الجمالي، وهي شروط تضمن الانسجام والتكامل بين المجهود الإنساني المبذول في مستوى الفرد وفي مستوى المجتمع هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تضمن تلك الشروط التكامل والانسجام بين المجهود الإنساني والسنن الكونية مع جملة الشروط النفسية والاجتماعية والروحية والمادية من أجل النمو والازدهار في جميع مجالات الحياة الإنسانية.

فالحضارة إذن وبهذا المعنى المذكور هي فعل بنائي تقتضي أُسُساً فكرية وروحية وجهوداً كبيرة في عالمي الأشخاص والأشياء، مما يشترط مخطط تربية يهدف إلى تغيير الإنسان في الداخل وفق شروط معينة ليتمكن من أداء دوره في المجتمع ويحقق البناء الحضاري. كما يمثل التجديد الحضاري ظاهرة إنسانية ترتبط بالحضارة وبشروطها وعناصرها وأطوارها وازدهارها وتكون سابقة على الحضارة فتصنع النمو والتحضر والازدهار، كما تكون ملازمة لها فتستمر في تنميتها وتطويرها، وقد تكون سببا في انهيارها وأفولها،

وقد تميزت فكرة التجديد عند مالك بن نبي بالقوة لارتباطه بالإسلام وبالعلوم وبالفكر ، حيث تُشكل رؤية فلسفية إلى الإنسان والحياة والتاريخ والحضارة، التي تمتاز بالطابع الفكري النظري، والتي كان الهدف منها الدخول إلى التاريخ، وإلى حلبة المعترك الحضاري من بابه الواسع ، واحتلال أمة الإسلام مكانتها اللائقة بها في إطار الحوار والتواصل الحضاري فهو إذن مشروع منهج (التجديد) وضعه صاحبه للقضاء على ظاهرة التخلف بعدما درسها وكشف عن عوامل وأسباب وجودها

إستند مالك بن نبي إذن إلى رؤية فلسفية من خلال تحليله للإنسان والحضارة والتاريخ، وإلى فكر اجتمعت فيه الأصالة مع التجديد، فكان مشروعه الحضاري نموذجا من نماذج الفكر الإصلاحي لا يستهان به، بل يقدر حق قدره لِمَا لصاحبه من نظرة ثاقبة وقدرة على الطرح والتحليل والنقد والاستنتاج، ولما لهذا المنهج من تكامل بين عناصره، ومن إنسجام مع ما تقتضيه مستلزمات البناء التاريخي والنهضة الحضارية

وعن علاقة التجديد الحضاري بالحضارة ففى نظرمالك بن نبي،فإن التجديد الحضاري يكون ملازما لها ولا يتساوي مع التكديس.لأن التجديد الحضاري عنده هو مبادرة تُغيّرالإنسان والأفكار والأشياء بما ينسجم مع القوانين،أما تكديس المنتجات من خلال استيرادها من حضارات أخرى فهو يتنافى مع التجديد والتحضّر.

وبكل أسف فقد همشّت هذه الأفكار ا الهامة وحرمته من النمو الطبيعي، واستكمال نضجها، وإفادة الأمة بها، في وقت هي أشد ما تكون احتياجا إليها .وقد وقع لمالك بن نبي مثلما وقع لابن خلدون قبله ، عندما لفّه ليل الانحطاط الحضاري،. وللعلماء الاجتماعيين المسلمين مسؤولية كبيرة في ربط حلقات هذه المدرسة الحضارية ببعضها البعض ، ومواصلة تأكيد حضورها، وتحويلها إلى محور ارتكاز أساسي في المنظومة الثقافية للحركة الإسلامية والأمة عامة، باعتبارها المصب الحتمي لبقية الروافد الفكرية الأخرى في عملية البناء الحضاري".

لذا يحق لنا أن نقول اليوم ما أحوج العالم الإسلامي المعاصر إلى مشروع للتجديد ولبلوغ السمو الروحي والأخلاقي، ولبناء حضارة تلد منتجاتها الفكرية والمادية، ولضمان التوازن بين المثال والواقع،أى بين الروح والمادة، وبين الدين والدولة، ذلك هو عين التحضر وقمّته، وهو مبتغي الإسلام ومقصده، فالحضارة هي التمكين لقيّم ومبـادئ الإسلام على أرض الله

ملحق البحث

١

مؤلفاته :

تحلَّى مالك ابن نبيّ بثقافة منهجيَّة، استطاع بواسطتها أن يضع يده على أهم قضايا العالم المتخلِّف، فألف سلسلة كتب تحت عنوان " مشكلات الحضارة "بدأها بباريس ثم تتابعت حلقاتها في مصر فالجزائر، وهي (مرتبة ترتيبا هجائيا:

-بين الرشاد والتيه 1972 دار الفكر دمشق 1978

-تأملات 1961دار الفكر دمشق 1981.

-دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين 1972 دار الفكر دمشق 1978.

-شروط النهضة 1948. د.ار الفكر دمشق 1979

-الصراع الفكري في البلاد المستعمَرة 1959 دار الفكر دمشق .2009

-الظاهرة القرآنية 1946 دار الفكر دمشق 2009.

-الفكرة الإفريقية الآسيوية 1956 دار الفكر 1979.

-في مهبِّ المعركة 1962 دار الفكردمشق 1981

-مذكرات شاهد للقرن - الطفل 1965 دار الفكر الجزائر 1964.

-مذكرات شاهد للقرن- الطالب 1970.دار الفكر بيروت 1970

-المسلم في عالم الاقتصاد - 1972.دار الفكر دمشق 1979

-مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي - 1970.دار الفكر دمشق 2009

-مشكلة الثقافة - 1958.دار الفكر دمشق 2009

-من أجل التغيير – دار الوعي للنشر والتوزيع الجزائر 2013 .

-ميلاد مجتمع. دار الفكر دمشق 1979

-وجهة العالم الإسلامي – 1954 دار الفكر دمشق 2009.

آفاق جزائرية – 1964 مكتبة النهضة الجزائرية بدون تاريخ .

-النجدة...الشعب الجزائري يباد – 1957 المطبعة العالمية القاهرة سنة 1975..

-إنتاج المستشرقين- 1968مكتبة عمار للطباعة والنشر القاهرة 1970 .

من أقوال مالك بن نبي

إنه من الصعب أن يسمع شعب ترثار

لخطى الصوت الصامت

الجهل في حقيقته وثنية

لأنه لا يفرس أفكاراً

بل يُنصّب أصناماً

وما كان لحضارة أن تقوم إلاّ على اساس من التعادل بين الكم والكيف ،بين الروح والمادة،بين الغاية والسبب.فأينما اختل هذا التعادل في جانب او في اخر كانت السقطة

وقد يحدث أن تلم بالمجتمع ظروف أليمة كأن يحدث فيضان او تقع حرب،فتمحو منه

محوا كاملا،فإذا ما حدث في الوقت ذاته أن فقد المجتمع السيطرة على

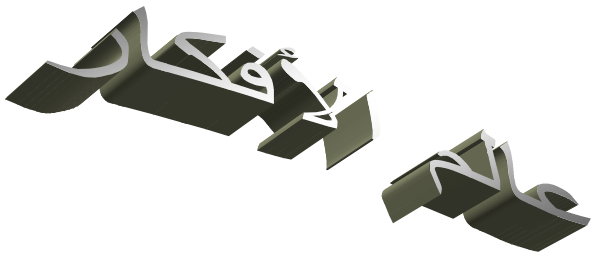

كان الخراب ملحقا .

أما إذا استطاع أن ينقذ أفكاره فإنه يكون قد انقذ

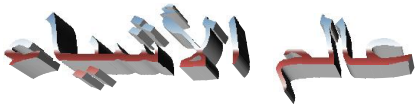

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر باللغة العربية:

1-افاق جزائرية (مشكلات الحضارة) بإشراف ندوة مالك بن نبي .ت عبد الصبور شاهين دار الفكر دمشق سوريا ط9.سنة 2009

-الصراع الفكري في البلاد المستعمرة. بإشراف ندوة مالك بن نبي .ت عمر مسقاوي دار. الفكر دمشق سوريا ط9. .سنة 2009

2- القضايا الكبرى(إشراف ندوة مالك بن نبي) ط1 دار الفكر -دمشق سوريا - ط1. سنة 1991

3 - بين الرشاد و التيه (مشكلات الحضارة) ت : عبد الصبور شاهين ط 1. .دار الفكر دمشق سوريا سنة .1978

4- تأملات بإشراف ندوة مالك بن نبي ت:عمر مسقاوي : دار الفكر دمشق سوريا ط.9.سنة 2009:

5 - شروط النهضة: بإشراف ندوة مالك بن نبي .ت عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي دار. الفكر دمشق سوريا ط9.سنة 2009

6- الظاهرة القرآنية: بإشراف ندوة مالك بن نبي .ت عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي دار. الفكر دمشق سوريا ط9.سنة 2009

7- فكرة الافرو أسيوية: : بإشراف ندوة مالك بن نبي. ت عبد الصابور شاهين.دار الفكر الجزائر ..ط3. سنة 1992 الموافق ل 1413 هج

.8- في مهب المعركة (ارهاصات الثورة) ت عمر مسقاوي . دار الفكر –دمشق-الطبعة 3.سنة 1981.

9- مذكرات شاهد القرن(الطفل) ترجمة بقلم الؤلف دار الفكر الجزائر ط 2 سنة 1964

.10- مذكرات شاهد القرن(الطالب) ترجمة بقلم الؤلف دار الفكر بيروت ط1 سنة 1970

11- المسلم في عالم الاقتصاد (مشكلات الحضارة) : (بإشراف ندوة مالك بن نبي) ترجمة عبد الصبور شاهين دار الفكر سوريا ط:9.سنة 2009 .

12- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي. (مشكلات الحضارة) : (بإشراف ندوة مالك بن نبي) ترجمة عبد الصبور شاهين دار الفكر سوريا ط:9.سنة 2009 .

13- مشكلة الثقافة -(مشكلات الحضارة) : (بإشراف ندوة مالك بن نبي) ترجمة عبد الصبور شاهين دار الفكر سوريا ط:9.سنة 2009 .

14- من أجل التغيير دار الوعي للنشر والتوزيع رويبة الجزائر.(منشورة اصلا من قبل دار الفكر المعاصر بيروت و دار الفكر سوريا .ط1 سنة 2013 الموافق ل 1434هج .

15- ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الإجتماعية ج1 (مشكلات الحضارة) ت عبد الصابور شاهين دار الفكر دمشق ط9: سنة 2009 .

15- وجهة العالم الإسلامي (مشكلات الحضارة) : (بإشراف ندوة مالك بن نبي) ترجمة عبد الصبور شاهين دارالفكر سورياط:9. سنة2009 .

ب -المصادر باللغة الفرنسية:

Malek BEN NABI:LAFRO-ASIATISME .3eme trimestre 1992 (sec)edition

ج- المراجع باللغة العربية:

1-إبراهيم العاصي :(جلسة مفتوحة مع مالك بن نبي:) ط 1 دار القلم دمشق
2-ابراهيم العبادي:جدليات الفكر الاسلامي المعاصر ط1 ،دار الهادي بيروت ،2001.ص 89.
3- جمال الدين ابن منظور:معجم لسان العرب فى اللغة ، الطبعة ،1 دار صادر للنشر بيروت 2005
4–أبو الأعلى المودودي: موجز تاريخ تجديد الدِّين، ترجمه إلى العربية محمد كاظم سباق، دار الفكر، 1387هـ . 1968م
5-ابو القاسم سعد الله .الحركة الوطنية الجزائرية . دار البصائر . الجزء الاول ط 8
6-أبو القاسم سعد الله ابحاث اراء في تاريخ الجزائر دار البصائر الجزائر ط8
7-ابو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي,ج 10. دار البصائر الجزائراحمد توفيق المدني .كتاب الجزائر ط2 الجزائر سنة 1963
8-أحمد سعيد مولاي ، إشكالية الحضارة عند مالك بن نبي، مجلة الموافقات، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، العدد الثالث، جوان 1994،
9-أحمد قائد: التخلف لماذا؟ والتقدم لماذا؟ ط 1 دمشق دار الفكر 1986
10-أحمد محمد سالم البربري: نحو مفهوم جديد للحضارة عند مالك بن نبي، مجلة الفكر العربي، العدد السادس والسبعون، معهد الإنماء العربي، بيروت، السنة الخامسة عشرة (2)، ربيع 1994م
11-أحمد محمود صبحي،في فلسفة التاريخ،مؤسسة الثقافة الجامعة،الاسكندرية،ط3. 1990.
12-ارلوند تومبي: مختصر دراسة للتاريخ. (الجزء الأول) ت :فؤاد محمد شبل،مراجعة:محمد شفيق غربال،تقديم الطبعة: عبادة كحيلة، من إعداد المركز القومي للترجمة: القاهرة 2011.
13-ارلوند تومبي:منهج التاريخ وفلسفة التاريخ:ت محي الدين أسماعيل،بغداد .دار الشوون الثقافية
14-أسعد السحمراني: مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا، ص148،149 دار النفائس، بيروت عام 1984م.
16–أندريه لالند:موسوعة لالاند الفلسفية:المجلد الثاني،تعريب أحمد خليل أحمد،منشورات
17-اوزولد شبنجلر :تدهور الغرب الجزء الاول،ترجمة احمد الشيباني ،دار مكتبة الحياة بيروت 1964م.
18-برهان غليون :إغتيال (العقل محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية) الجزائر سلسلة موفم / 1990
19-برهان غليون سمير أمين:ثقافة العولمة و عولمة الثقافة: سلسلة حوارات القرن الجديد. ط2 . دار الفكر دمشق2002 .
20-بسام العسيلي:ابن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية .دار النفائس
21-بسطاوي محمد السعيد:مفهوم تجديد الدين،دار الدعوة الكويت،ط1.سنة 1984
22-البشير قلاتي.هكذا تكلم مالك بن نبي.منشورات دار إقرأ قسنطينة الجزائر2005
23-بهي الدين سالم :إبن باديس فارس الاصلاح والتنوير.دار الشروق.
24-تركي رابح. التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931/1956/.دراسة تربوية للشخصية الجزائرية .ط 2
25-جلال مظهر: مأثر العرب على الحضارة الاوروبية : تقديم كمال الدين رفعت و سعد عفره : مكتبة الانجلو المصرية :ط1 .1960 .

26-جمال الدين بوقلي حسن:اشكاليات فلسفية،السنة الثانية ثانوي،شعبة اداب وفلسفة، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية 2006.
27-جورج سارتون : تاريخ العلم تقديم إبراهيم مذكور،ترجمة :مجموعة من المترجمين، الجزء الثانى ، ط 1 دار المعارف، تاريخ النشر 1991.
28-جوستاف لوبون gustave le bon : حضارة الغرب ، la civilisation des Arabes
:ترجمة وتحقيق:عادل زعيتر،الناشر،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط1/مجلد1.
29-جيلالي بوبكر:الاصلاح والتجديد الحضاري لدي محمد إقبال ومالك بن نبي (بين النظرة الصوفية والتفسير العلمي) دار الامل،تيزي وزو الجزائر،ط1. سنة 2011.
30-الجيلالي صاري الجزائر في التاريخ (ا لمقاومة والسياسة) الجزء الاول
31-حسن حنفي: التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2002، ط5،.
32-حسن حنفي: هموم الفكر والوطن، الجزء الثاني، دار قباء للطباعة، القاهرة، مصر، 1998، ط3
33-رالف لينتون: شجرة الحضارة، الجزء الأول الفصل الخامس التطور الحضاري ،تقديم محمد سويدي .موفم للنشر 1990
34-زكي نجيب محمود : هذا العصر وثقافته ط2.دار الشروق القاهرة 1972
35-سعيد جودت:مذهب إبن أدم الأول:دار الفكر المعاصر بيروت لبنان،ط 5 سنة 1993
36-سلامة موسي:ماهي النهضة؟ تقديم الاستاذ مصطفى ماضى ،سلسلة موفم للنشر 1990
37-سليمان الخطيب ، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي: دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ، ط1، 1993)،
38-سيديو:تاريخ العرب العام (امبراطورية العرب :حضارتهم مدارسهم العلمية والفلسفية) تحقيق :عادل زعيتر، الناشر:دار العالم العربي ط 1 المجلد الاول .الجزء الثاني
39-عائشة المناعي مضاهر التجديد في فكر مالك بن نبي:مجلة المسلم المعاصر بقلم عبد الحميد الادريسي العدد 101 سبتمبر 2001
40-عبد الحميد زوزو.نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر(1900/1830) دار النشر.المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1984
41-عبد الرحمان ابن خلدون. مقدمة: تحقيق الاستاذ درويش الجويدي : المكتبة العصرية صيدا بيروت ط الاولى 1995 ج 15
42-عبد الرحمن بدوي،اشبنجلر،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة،1941.
43-عبد السلام الهراس.ذكرياتي مع بن نبي. حاوره الدكتور محمد البنعيادي :مجلة الفيصل السعودية.العدد146 .
44-عبد اللطيف عبادة .صفحات مشرقة من فكر بن نبي .دار الشهاب باتنة .سنة 1984 ط 1
45-عبد اللطيف عبادة.فقه التغير في فكر بن نبي(عالم الأفكار) ط2 .2007
46-عبد الله الزبير عبد الرحمان:مفهوم التجديد وتجديد الدين،مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية 2004.ص 108/94
47عبد المجيد النجار:الشهود الحضاري للأمة الإسلامية ,من سلسلة التحضر الإسلامي ط بيروت دار الغرب ج1.ص64/63.
48عبدالحليم عويس: الوظيفة الحضارية لأفكار مالك بن نبي، مجلة الفيصل، العدد 96، دار الفيصل الثقافية ، الرياض شوال 1413هـ - ابريل (نيسان) 1993م،
49-علي القريشي: التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي منظور تربوي لقضايا التغيير في المجتمع المسلم المعاصر، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة 1409 هـ - 1989م

50-عمار بوحوش .مجلة الثقافة الجزائرية عدد 14 /افريل سنة 1973
51-فرانس فانون لاجل الثورة الإفريقة Pour la revolution africaine ترجمة ماريا وديالا طوق دار الفارابي بيروت الجزائر،منشورات anep .2007
52-كارل ماركس الرأسمال: ترجمة وتحقيق،فاتح عبد الجبار،دار الفارابي للنشر،الطبعة الاولى، المجلد الثالث
53-محسن عبد الحميد:المذهبية الأسلامية والتغيير الحضاري: دار الفكر العراق ط 4 1423هجري
54-محمد اقبال :تجديد التفكير الديني في الاسلام: تعريب عباس محمود . سلسلة معالم الحداثة، دار الجنوب للنشر بيروت 1996.
55-محمد العربي زبيري.الثورة الجزائرية في عامها الاول .المؤسسة الوطنية للكتاب
56-محمد عبد السلام الحفائري. مشكلة الحضارة عند مالك بن نبي .الدار العربية للكتاب. ليبيا 1984.
57-محمد فتحي عثمان .بن باديس رائد الحركة الإسلامية في الجزائر دار القلم الكويت
58-محمد لبيب النجيحي:دور التربية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية للدول النامية ط2 دار النهضة العربية بيروت 1981.-محمد محمود سفر:دراسة في البناء الحضاري(محنة المسلم مع حضارة عصره)الطبعة الاولى 1409هجري.
59-محي الدين صابر:قضايا التنمية في المجتمع العربي, المكتبة العصرية للطباعة والنشر بتونس.الطبعة 2 .1987
60-منير شفيق:الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر. دار النشر بيروت .1987. الطبعة 2
61-منير شفيق،الفكر الاسلامي المعاصر والتحديات،دار القلم،الكويت، ط2،1993
62-موسي لحرش:مالك بن نبي:حياته وانتاجه الفكري (مجلة مالك بن نبي)جامعة الامير عبد القادر ،قسنطينة،الجزائر جويلية 2006.
63-نعمان عبد الرزاق السامرائي: نحن والحضارة والشهود،الجزء الاول ،العدد 80.الطبعة الاولى، فبراير 2001
64-نورة خالد السعد: التغير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي:دراسة في بناءالنظرية الاجتماعية ,ط1: الدار السعودية للنشر والتوزيع. ص 284
65 -نيفين جمعة:فلسفة التاريخ عند أرلوند تومبي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1991
66-وجيه الكوثرانى:لماذا العودة إلى مالك بن نبي عندما نطرح منهج التغيير،ندوة الكويت،ط 1.سنة 1995
67-ويل ديورانت:قصة الحضارة: الجزء الرابع،ت زكي نجيب محمود ومحمد بدران،المجلد الأول،الجزء الرابع،الهيئة المصرية العامة للكتاب (سلسلة مكتبة الأسرة –القاهرة –مصر

د- المراجع باللغة الفرنسية

1- Alexis De Tocqueville: *De La Démocratie En Amérique* , Première Partie Paris, coll. *Bouquins*, Éditions Robert Laffont, 1986.

2--Alexandru Tanase Culture Civlisation Humanisme .Trad Du Roumain .Micaela Slavescu .Edition Meridiane .Bucarest 1974

3-Ferhat Abbas. Guerre Et Révolution D'alger. T1(La Nuit Coloniale- Paris Julliard (1962

4-Friedrich Nietzsche. Ainsi Parlait Zarathoustra: T.Henri Albert.Edition Numerique

فهرس الآيات القرآنية

رقم السورة حسب المصحف / رقم الاية / الصفحة

1)	سورة الجن	72 الاية 3	ص 219
2)	سورة أل عمران 3	الاية 104 ص 37 والاية 140 ص165- والاية 110 ص 246	
3)	سورة الاسراء	17 الاية 70 ص 119 والاية 37 ص 190 والاية 70ص 223	
4)	سورة الانفال 8	الاية 63	ص 187
5)	سورة البقرة-2-	الاية 30	ص 216
6)	سورة التوبة 09	الاية 105	ص 104
7)	سورة الذريات	الاية : 56	ص176
8)	سورة الرعد 13:	الأية 11	ص 47-55-88-90- 172-226-229-248.
9)	سورة الشمس -91- :	الايات 07-08-09 -10	ص 185
10)	سورة الصف -61- :	الاية 04	ص 167
11)	سورة العنكبوت-29	الأية 45	ص 76
12)	سورة النحل-16 -:	الاية 33	ص 95 – الاية 06 ص 189
13)	سورة النور-24-	الاية 55	ص 184
14)	سورة لقمان -31-	الاية 19	ص 190
15)	سورة العلق -96-	الاية 02	ص 172
16)	سورة الملك -67-	الاية 05 ص 188	
17)	سورة القلم -68-	الاية 04 ص232.	

فهرس المصطلحات الأساسية

Le Colonialisme **:** الاستعمار

القابلية للاستعمار:
الأفكار الميتة : **Idees De La Morte**

الافكار المميتة –القاتلة **Idees Murtrieres**

الأفكار المخذولة **Idees De Vengence (Almakhdhlah)**

مشكلة الافكار: **Le Probleme Des Idees**

عالم الافكار: **Le Monde Des Idées**

عالم الأشخاص : **Le Monde Des Personnes**
عالم الأشياء : **Le Monde Des Choses**
الحضارة: **Civilisation**

مجتمع ما قبل التحضر: **société prés-civilisee**
rمجتمع التحضر **société civilisee**
rمجتمع ما بعد التحضر **société âpres civilisere**

مرحلة الغريزة **La Phase (Le Cycle) De Linstint (De La Chute**
مرحلة الروح **La Phase (Le Cycle) De Lame**
مرحلة العقل **La Phase (Le Cycle) D Esprit**

Le Produit d une civilisation : المنتوج الحضاري

التراب : **La poussiere**
الإنسان: **Lhomme**
الوقت : **le temp**

الفكرة الدينية: **L Idee De Religieux**

شبكة العلاقات الاجتماعية: Reseau Derelations Sociales

الكومنويلث الإسلامي **Comnwealth Islamique**

الأفرو-أسيوية: **Afro-Asiatique**

أسماء الإعلام الواردة

1) ابراهيم (ابو اليقضان) ص.31
2) ابقراط ص 133
3) ابن البيطار ص135
4) ابن العوام(الاشبيلى) ص 141
5) ابن النفيس ص135
6) ابن الهيثم ص 52-134-141
7) ابن رشد ص 68-73- 136-137
8) ابن سينا ص 52-68- 136-138-169
9) ابو الحسن (المراكشى) ص 201
10) ابو القاسم القرطبي ص 139
11) ابو حامد (الغزالى) ص 18-48-73-134-206
12) ابو نصر (الفارابي):ص169
13) أبو نواس ص 12
14) ابو يعلى الزواوي) ص 37
15) أبي بكر محمد (الرازي) ص68-134-138-169
16) أحمد (بن بلة) ص 34
17) أحمد (حماني) 37
18) أحمد (خان) ص 53-
19) أحمد توفيق (المدني)ً ص 36
20) ادام (سميث) ص 114
21) الادريسى ص 140
22) ادموند (هوسرل) ص176
23) إدوارد (تايلور) ص.
24) ارخميدس ص 133
25) ارسطو ص133-137.-215
26) ارلوند (تويمبي) ص 09-44-52-67-111-146-152-153-154-162-171-207
27) ارنست رينان ص
28) أزولد (شبنجلر) ص154-155-156-162.
29) امبارك (الميلي): ص 36-37
30) أندري (لالند) ص
31) انس (بن مالك) ص 91
32) انطوان (لا فوازيه) ص 137
33) انور (السادات) ص.20-25-

34) بالزاك ص 194

35) البرت الاكبر ص 136
36) برنال ص 177

37) برهان (غليون) ص.98-143

38) بسمارك ص 239

39) البشير (الإبراهيمي): ص 36

40) بطلموس ص.133-136
41) بلال (بن رابح) ص 176-209
42) بو جعفر احمد (ابن الجزار) ص 139

43) البيروني ص.140
44) توما (الاكويني) ص.136-137
45) توماس (اديسون) ص 225
46) ثابت (بن قرة) ص 140
47) جابر(بن حيان) ص134-137-169
48) جالينيوس ص 139
49) جالينيوس ص 139
50) جان (دراك) ص.187
51) جمال (عبد الناصر) ص 127
52) جمال الدين (الافغاني) ص 24-35-44-220
53) جواهر لال (نهرو) ص 125
54) جورج (باستيد) ص 143
55) جوزيف (بريستلى) ص 137
56) جون جاك (روسو) 107
57) جون ديوي ص16.
58) جياب ص.27
59) حسن (حنفي) ص.204-218
60) حسن البنا ص 63-64-
61) حسين (أيت أحمد) ص 24
62) حمدان عبد الوهاب ص 38
63) حمودة (بن الساعي) ص 18-19

64) حنين (ابن اسحاق) ص 134
65) حيدر (الكزبري) ص 73
66) دي بول (فانسان) ص 188
67) رابح (بيطاط) ص.34
68) راسين ص 194
69) رالف (لينتون) ص149

70) روجي (غارودي) ص 213
71) روني(ديكارت) ص 25-206-239
72) سعيد (جودت) ص 216
73) سعيد (جودت) ص 216
74) سورين (كيركجارد) ص 176
75) سيد قطب ص 61
76) سيقموند (فرويد) ص 178
77) شاتو بريان ص16.
78) الشاذلى المكى ص 37
79) شكيب ارسلان ص.19
80) صادق شريف صابر ص 37.
81) صالح (بن مهلة)ص 25

82) الطبري ص 68
83) الطيب (العقبى) ص 36
84) عبد الحميد (ابن باديس) ص 16/-25/-31/-33/-35/-36/-38/-63-122-220
85) عبد الرحمان (ابن خلدون) ص 110-150-152-167-192-204-215
86) عبد الرحمان الاول ص 135
87) عبد الرحمان (الكواكبي) ص 24
88) عبد الرحمان (شيبان) ص 36-37
89) عبد الكريم (الخطابى) ص 25
90) عبد الرزاق (قسوم) ص 11-35
91) عبد السلام (الهراس) ص 20
92) عبد السلام بلعيد ص 37
93) عبد الصابور(شاهين)ص20
94) عبد العزيز الخالدي ص 21.
95) عبد القادر(المجاوي) ص 25
96) عبد الكريم (الخطابي) ص
97) عبد الوهاب (الميسرى) ص 213

98) العربي (التبسي) ص 36
99) العربي (بن مهيدي) ص 79
100) علي (الطنطاوي) ص 54
101) عمار(نارون) ص 18
102) عمار(طالبي) ص.93
103) عمر (بن الخطاب) ص 99
104) عمر الخيام ص 134
105) عمر بن الخطاب ص 99
106) عمر بن العاص ص 136

107) عمر كامل مسقاوي ص 20
108) عيسى (النبي) ص 113
109) غاليلى ص 52

110) غاندي (المهاتما) 125/19
111) غي مولى ص 20
112) فرانز (شوبرت) ص 162.
113) فرانس (فانون) ص 50-51-
114) فرحات عباس 33

115) الفرزدق 71
116) فريد (زين الدين) ص 19
117) فريديريك (نيتشه) ص 21
118) فوزية بريون ص 11

119) فولتر ص 104
120) فيوليت (بلوم) ص 28
121) كارل (ماركس) ص 158-161-178-196-197
122) كارل (يونغ).153
123) كسرلنج ص 176-177-204
124) كلود (ليفى ستروس) ص.89
125) كندياك ص 16

126) لخضر شرّيط ص 11:
127) لويس (ماسينيون) ص 18
128) ليفى بريل ص 88-95

129) ماركيوز ص 157
130) مالك (بن نبي) ص 03 -04 -06-07-08-10-11-14-16-18-20-
-22-23-25-32-42-44-45-46-49-50-5255-56-58-59-60-61-
-62-64-67-68-69-73-75-82-87-88-90-91-93-94-96-97-97-
-99-101-102-104-105-108-109-110-111-112-114-115-
-116-117-122-128- 161-163-165-168-170-071-176-177-
-179-182-183-186-192-194-195-198-200-202-203-204-
206-207-209-210-211.-213-214-219-220-222-223-
-224-226-227-228-231-232-234-235-237-239-240-
241-243-245- 246-249
131) محجوب بن ميلاد:ص 19

132) محسن عبد الحميد ص 116
133) محفوظ (قداش) ص 38.
134) محمد (اقبال) ص61-64-.113-213-215-215-222

135) محمد (ص) ص 48-69-98-99-104-113-168-189-208-225-235
136) محمد (الخامس) ص 20
137) محمد (الشبوكي ص.37
138) محمد (النورسي) ص.61
139) محمد (بوراس)ص 38
140) محمد (بوضياف) ص 34
141) محمد (خيضر) 34
142) محمد (عبده) ص24-35-112 -220
143) محمد الاخضر (السائحي) ص 37
144) محمد امير ص 37.

145) محمد بن موسى (الخوارزمي) ص 134-140-169
146) محمد حسين (هيكل) ص.91-144
147) محمد عزيز (لحبابى) ص 144
148) محمود (بن نبي) ص 16
149) محي الدين بلحاج ص 37
150) مراد على ص 37.
151) مصالى (الحاج) ص33/19
152) مصطفي(الاشرف)ص 34
153) موريس (ميرلوبونتى) ص 178
154) موريس (فيوليت) ص 28

155) موريس (بابون) ص 34
156) مورينيو ص. 24
157) موسى (النبي) ص 48-113

158) مولود(بن الموهوب) ص 16-25 .
159) ميخائيل (أنجلو) ص 192
160) نور الدين (اسكندر) ص 37
161) نورة (خالد السعد) ص 11
162) نيكيتا (خروتشوف) ص 114
163) هيروقليطس ص 106
164) ولسن (كولن) ص.145.
165) ويل (ديورانت) 134-143-145

166) يعقوب بن اسحاق (الكندي) ص 134-169

قيمة الرصيد الفكري عند مالك بن نبي

قبر المرحوم مالك بن نبي

الصورة مأخوذة من مقبرة بلكور (سيدي أمحمد) الجزائر في 2014/02/20م

الفهرس:

كلمة شكر.....ص.01

الإهداء.....ص.02

مقدمة.....ص03

الباب الأول مالك بن نبي: النشأة والتكوين وبوادر التغيير

الفصل الأول:النشأة والتكوين **.....ص16**
الفصل الثاني:بوادر التغيير **.....ص27**

الباب الثاني:مالك بن نبي فيلسوفا

الفصل الأول:فلسفة بن نبي وأهم خصائصها **..... ص42**
الفصل الثاني:التخلف وأسبابه **..... ص67**

الباب الثالث:حتمية التغيير

الفصل الاول:مفهوم التغيير وخصائصه**.....ص.87**
الفصل الثاني وسائل التغيير وأهدافه **.....ص101**

الباب الرابع: التغيير في الحضارة

الفصل الاول: الحضارة وأهم العوامل المؤثرة في التحضر **.....ص131**
الفصل الثاني :حركة التحضر فى فكر فلاسفة الحضارة **.....ص149**

الباب الخامس: البناء الحضاري عند مالك بن نبي:

الفصل الأول الحضارة عند مالك بن نبي **.....ص161**

الفصل الثاني:التجديد الحضاري عند مالك بن نبي**.....ص 213**

خاتمة البحث.....ص245

ملحق البحث

مؤلفاته..... ص252

من أقوال مالك بن نبي..... ص 253

قائمة المصادر والمراجع..... .ص256

فهرس الأيات القرانية.....ص261

فهرس المصطلحات الأساسية.....ص262

فهرس الأعلام.....ص263

فهرس الموضوعات ص270